

الرسائل والتأويل

في العقائد

- ١- شرح الفقه الأكبر لأبي منصور الماتريدي
 - ٢- شرح الفقه الأكبر لأبي المنشي أحمد بن محمد المغيرة
 - ٣- البجوة المنيفة في شرح وصية الإمام الأعظم أبي حنيفة
لملا حسين بن إسكندر الحنفي
 - ٤- كتاب الإبانة لأبي الحسن الأشعري البصري
 - ٥- المباح الأول في الأصول للمؤلف
 - ٦- الملحق الثاني للإبانة للمؤلف
 - ٧- رسالة في الذنب عن أبي الحسن الأشعري
- أبي القاسم عبد الملك بن قزوين

ومعه رسالة في التأويل

الإمام المصطفى شيخ الإسلام
العلامة صاحب النفاية النافذة

موفق الدين أبي عبد الله بن أحمد

بن محمد بن قدامة المقدسي

المعروف سنة ٥٦٠



الرسائل السبع

في العقائد

ومعه رسالة

وَمِ التَّوِيل

لأبي عبد الله محمد بن أحمد

بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد

بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد

بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٠٥/٢٢٩٩

الترقيم الدولي

LS.B.N. 978-977-6259-23-2

دار البصائر

القاهرة - زهراء مدينة نصر

هاتف: ٠١٠٥٠٤٨٩٨٢ - ٠١٦٨٨٢٢٥٢٥

مركز الفروع / ٢٢ غرب القصر، خلف الجامع الأزهر

هاتف: ٠١٠٢٤٢٦٦٦٢ - ٠١٦٨٨٢٢٥٢٥

• جميع الحقوق محفوظة للنشر •

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٩ م

يحظر الطبع أو النقل أو الترجمة أو التحويل إلى بيانات
إلكترونية لأي جزء من هذا الكتاب دون إذن كتابي من الناشر

المؤلف مسئول مسؤولية كاملة عن أفكار وأسلوب ولغة هذا الكتاب
ولتقتصر مسؤولية الناشر على الإخراج الفني فقط

الرسائل السبع

في العقائد

- ١- شرح الفقه الأكبر لأبي منصور الماتريدي
- ٢- شرح الفقه الأكبر لأبي المنصور أحمد بن محمد الفقيه الساجي
- ٣- الجوهرة السنية في شرح وصية الإمام الأعظم أبي حنيفة
لأبي الحسين بن أبي شاذان
- ٤- كتاب الروايات لأبي الحسن الأشعري الجعفي
- ٥- ملخص الفقه لأبي حنيفة لأبي محمد الجعفي
- ٦- الملخص لأبي حنيفة لأبي محمد الجعفي
- ٧- رسالة في عقائد من أبي الحسن الأشعري

في التأسيس مائة كتاب

ومعه رسالة

زم التأويل

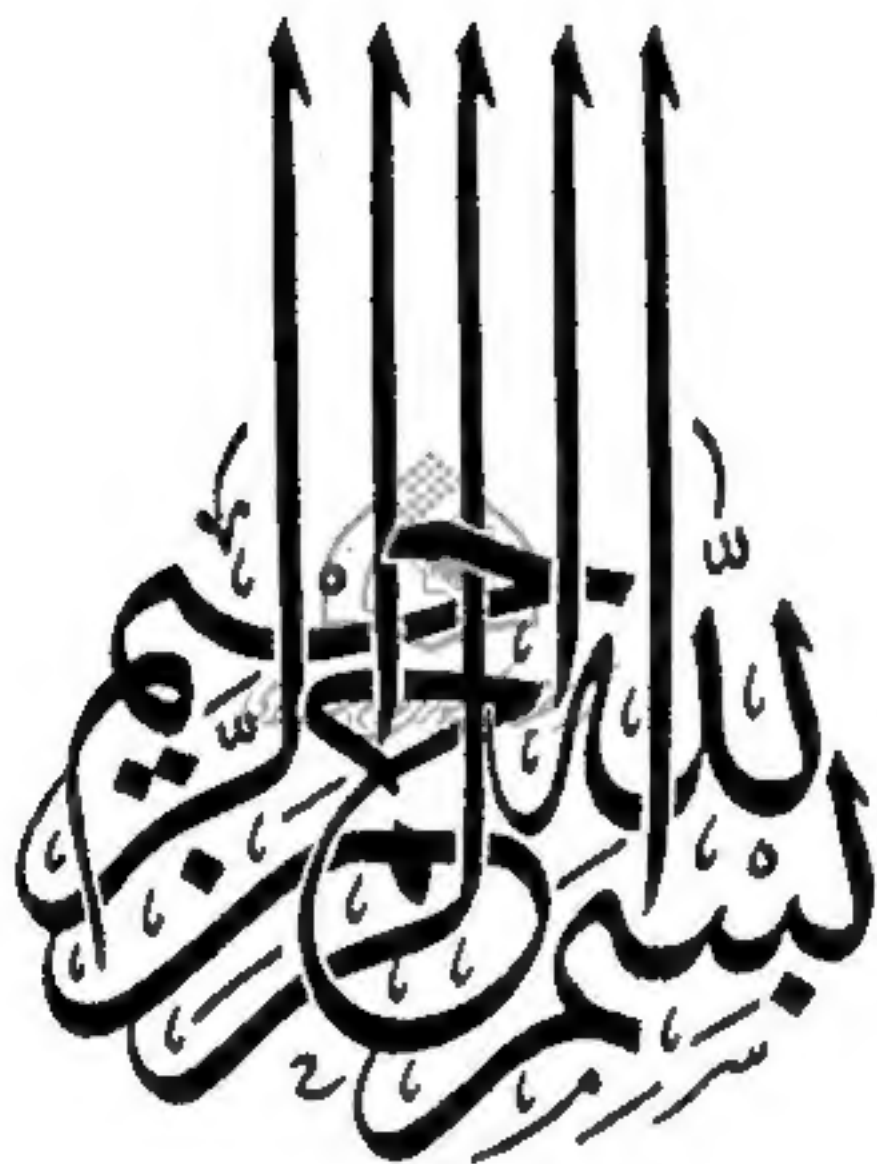
الكتاب المذكور في الفقه

هو كتاب الفقه لأبي حنيفة

سوف يمد إلى أبي محمد بن أحمد

بن محمد بن أحمد بن محمد

الكتاب المذكور



كتاب شرح الفقه الأكبر

المتن المنسوب إلى الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي
المتوفى سنة خمسين ومائة، والشرح للإمام المتكلمين ومصحيح عقائد
المسلمين علم الهدى رئيس أهل السنة أبي منصور محمد بن محمد بن
عמוד الحنفي الماتريدي السمرقندي صاحب التصانيف الجليلة المتوفى
سنة اثنتين أو ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، تفقه على أبي بكر أحمد
الجوزجاني عن أبي سليمان الجوزجاني عن محمد رحمهم الله، جمع فيه بين
الكلام والشرعة وأتقن المسائل وأوضحها غاية الإيضاح، تغمده الله
بالرحمة والرضوان.



مرکز تحقیقات و توسعه در مطالعات اسلامی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال أبو حنيفة رحمه الله: الحمد لله أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، توحيدًا وتمجيدًا وعقيدة وحقيقة وشرعية، والحمد لله مستحق الحمد قبل عباده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

أما بعد! قال أبو منصور الماتريدي رحمه الله: قد سألتوني - أكرمكم الله بالتقوى - أن أشرح لكم الفقه الأكبر الذي ينسب إلى أبي حنيفة رحمه الله بأسانيد صحيحة، فأجبت إلى ملتصكم بعون الله وحسن توفيقه إنه هو المعين الموفق، قال أبو حنيفة رحمه الله: (لا نكفر أحدًا بذنب ولا ننفي أحدًا من الإيمان) قال الفقيه رحمه الله: هذه مسألة تختلف فيها.

قالت الخوارج: إذا ارتكب الإنسان كبيرة من الكبائر فإنه يكفر ويذول عنه الإيمان، وقالت المرجئة: لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وقالت القدرية والمعتزلة: يخرج عما من الإيمان ولا يدخل في الكفر ويكون بين الكفر والإيمان؛ فإذا تاب إلى الله ورجع عنها فإنه يدخل في حيز الإيمان قبل الموت، وإذا مات قبل أن يتوب منها دخل في حيز الكفر ويخلد في النار، واحتجت بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا فَبِجْزَاءِ قَتْلِهِ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾^(١) أخبر الله تعالى أنه يخلد في النار، والخلود المقطوع إنها هو للكافر، إلا أنا نقول لهم: إنها قلتكم واحتججتكم بهذه الآية لو غادتكم وخالفتمكم الإجماع، فلو ساعدتكم السعادة لا تبعتم وما ابتدئتم، وما خالفتم الصحابة ومن بعدهم من أهل التفسير: أجمعوا على أن المراد بالآية استحلال القتل، وهكذا قال ابن عباس رحمه الله.

وهو ترجمان القرآن، وعلى هذا إنا لا نسلم أن الخلود يعبر به عن الأبد، وإنما يعبر به عن طول الزمان، وقد اجتمعت على هذا أرباب اللسان وأصحاب البيان لأنه يقال: أخلد فلان في الحبس إذا طال حبسه فيه، وقال الله تعالى خبراً عن بلعام: ﴿وَلْيَكُنَّ أَخْلَدٌ إِلَى الْأَرْضِ﴾^(١) أي مال إليها واطمأن بها.

فإن قيل: روي عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدًا فَقَدْ كَفَّرَ»^(٢)، وفي حديث آخر: «بَيِّنَ الْكُفْرَ وَالْإِيْمَانَ تَرْكُ الصَّلَاةِ»^(٣) قلنا: تأويل الخبر كتأويل الآية على ما بيناه، ومن الدليل على أن الإيْمَانَ لا يرفع بالكبيرة قول الله تعالى: ﴿إِنْ جَاءَ كُفْرًا فَاسِقٌ فَبَيِّنْهُ فَنُفِثُوا﴾^(٤) أمر بالتثبت في نأ الفاسق؛ فلو صار كافراً النهى عن قبول شهادته، وحديث معاذ بن مالك أيضاً حجة حين أقر بالزنا بين يدي رسول الله ﷺ؛ فلو صار مرتدّاً لأمر بقتله أو استرجعه إلى الإسلام، والمعنى فيه هو أن الإيْمَانَ محله القلب، والمعاصي محلها الأعضاء، وهما في محلين مختلفين فلا يتنافيان.

وقوله: إنا نأمر بالمعروف وننهي عن المنكر، هذه مسألة بيننا وبين المجبرة فيها خلاف؛ لأنها لا ترى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واحتجت بقوله تعالى: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا أَعْتَدْتُمْ لِلْغَنَةِ﴾^(٥) قلنا: الآية في نفي المضرة وبه نقول: إن

(١) الأعراف: ١٧٦.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط ح (٣٣٤٨) من طريق محمد بن أبي داود، عن أبي النضر هاشم بن القاسم، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أنس بن مالك به، وقال: «لم يروه عن أبي جعفر الرازي إلا هاشم بن القاسم، تفرد به محمد بن أبي داود». اهـ وقال الهيثمي في المجمع (٢٦/٢): «رجال موثقون إلا محمد بن أبي داود فإنه لم أجده من ترجمه، وقد ذكر ابن حبان في الثقات: محمد بن أبي داود البغدادي، فلا أدري هو هذا أم لا». اهـ وقال ابن حجر في التلخيص الحبير (١٤٨/٢): «مثل الدارقطني في العلل عه فقال: روى أبو النضر عن أبي جعفر عن الربيع موصولاً، وخالفه علي بن الجعد فرواه عن أبي جعفر عن الربيع مرسلاً، وهو أشبه بالصواب». اهـ

(٣) أخرجه مسلم ح (٨٢)، والترمذي ح (٢٦١٨) من حديث جابر بن عبد الله، واللفظ للترمذي.

(٤) الحجرات: ٦.

(٥) المائدة: ١٠٥.

مفسرة المعصية لا تعدو عن العاصي كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾^(١) وإنما وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد عرف بآية أخرى وهي قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٢) وقوله **فَقِيلَ**: ﴿وَأَعْلَمْ أَنَّمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُن لِّيُخْطِئِكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُن لِّيُصِيبِكَ﴾^(٣)، هذه مسألة بينا وبين القدسية والمعتزلة فيها خلاف، وهو أنها ينفيان إرادة الله ومشيئته عن فعل العبد إذا كان معصية، فقالوا: إن معصية العاصي وكفر الكافر ليسا بمشيئة الله وإرادته؛ لأنه لو أراد معصية العاصي وكفر الكافر ثم عذب عليهما كان ذلك جوراً منه، وحاشا أن يوصف الله بالجور والظلم، ومن هذا يسمون أهل الجور، ويسمون أنفسهم: أهل العدل، قلنا: هذا من سخافتكم وخرافتكم وجراتكم على الله تعالى، وقلة عقلكم وعدم فهمكم؛ حيث قلّبتُم إرادة المخلوق على إرادة الخالق، وحاشا أن تغلب إرادة المخلوق على إرادة الخالق، بل إرادته غالبية ومشيئته نافذة، ولا يكون بإرادته معصية العاصي وكفر الكافر جائزاً؛ لأنه **يَنْهَى** عن طريق الهداية والضلالة ويحدث لهم الاستطاعة ساعة فساعة، وليس لهم أن يعرفوا حقيقة الإرادة إذ لو عرفوها لكانوا أمثالها، وحاشا أن يوصف الرب جلست قدرته بالأمثال، ثم المذهب الصحيح - وهو مذهب أهل السنة والجماعة - أن أفعال العباد على نوعين: منها ما هو طاعة ومنها ما هو معصية؛ فالطاعة والمعصية بهذا كله دون رضاه وأمره.

فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ

(١) الأنعام: ١٦٤.

(٢) آل عمران: ١٠٤.

(٣) أخرجه أبو داود ح (٤٦٩٩)، وابن ماجه ح (٧٧)، وصححه ابن حبان ح (٧٢٧) من حديث زيد بن ثابت.

مِنْ سَيِّئَةٍ لِّمَنْ تُفْسِدُكَ^(١)؟ قلنا: معناه ألا يضاف الشر إلى الله عند الانفراد مراعاة للأدب وإن كان حصول ذلك من العبد بتخليق الله إياه، وذلك لأن الإضافة على نوعين: إضافة تحقيق وإضافة تكريم؛ فإضافة التحقيق مثل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢) وإضافة التكريم مثل قوله تعالى: ﴿بِئْسَ اللَّهُ﴾ و﴿ثَاقَةُ اللَّهِ﴾؛ فالطاعة والمعصية خارجتان عن إضافة التحقيق لأن ذلك مذهب المجبرة، وبقيت إضافة التكريم؛ فالطاعة مكرمة مرضية جاز أن تضاف إلى الله تعالى عند الانفراد؛ فيقال: الخير من الله، والشر ليس من عمل الإكرام عند الانضياف إلى الله عند الانفراد، ولكنه يضاف إلى الله عند الجملة كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾^(٣).

فإن أشكل هذا عليك في الأفعال فاحتبره بالأعيان أنه لا يقال: يا خالق الخنازير والحيات والمقارب مراعاة للأدب، ولكنه يقال: خالق كل شيء. قوله: (ولا نبرأ من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ) هذا بيننا وبين الرافضة فيه خلاف، إنهم يبرءون عن الصحابة ﷺ إلا عن علي فقط، فيرد عليهم بقوله ﷺ: «أَصْحَابِي كَالنَّجْمِ بِأَيْمِهِمْ اقْتَدَيْتُمْ اقْتَدَيْتُمْ»^(٤)، والأخبار في فضائل

(١) النساء: ٧٩.

(٢) الحديد: ١٠.

(٣) النساء: ٧٨.

(٤) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢ / ٩١)، وابن حزم في الأحكام (٦ / ٨٢) عن طريق سلام بن سليم عن الحارث بن حصين عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر مرفوعاً به. وقال ابن عبد البر: «هذا إسناد لا تقوم به حجة؛ لأن الحارث بن حصين مجهول». اهـ. وقال ابن حزم: «هذه رواية ساقطة، أبو سفيان ضعيف، والحارث بن حصين هذا هو أبو وهب الثقفي، وسلام بن سليمان يروي الأحاديث الموضوعة، وهذا منها بلا شك». اهـ. وقد روي من حديث جماعة من الصحابة غير جابر، وأسانيده كلها وإحدى، لا يصح منها شيء، تنظر في التلخيص الحبير (٤ / ١٩١).

الصحابة كثيرة يطول ذكرها ها هنا

قوله - (ولا نتوالى أحدًا دون أحد) - هذا بين الشيعة، أنها توالى عليًا
فحسب، وهذا قريب من مذهب الرافضة أيضًا، وقد يب فساد

قوله. (أن يرد أمر عثمان وعبي إلى الله وهو عالم بأسرار الخفيات) ولم يُرد بهذا
الشك في أمرهم ولكنه أخذ أسلم الطرق، وإن أسلمها أن تكف ألسنتنا عنهم كما
كف الله سيوفنا عن تلك العتة

قال أبو حنيفة - (العقيدة في الدين أصل من لفقه في العلم) لأن العقيدة في
الدين أصل والفقه في العلم فرع، وفصل الأصل على الفرع معلوم، قال الله
تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١) ولا شك أن لحد أو لا يلزمه الإسلام
لقوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢) أي ليوحدون، ثم العلم
بشي على الدين فصار الدين هو التوحيد والعلم هو الديانة يعني الشرائع، وهو
بعد التوحيد، ثم الدين عقد على الصواب والنيابة سيرة من الصواب

قال أبو مطيع رحمه الله 'قلت لأبي حنيفة - أجري عن أصل الفقه - يعني
عن أصل الفقه بعد الفقه - فأجاب أبو حنيفة - قال (يتعلم الرجل الإيمان)
أي أحكام الإيمان والثبات عليه يعني بمصالح الحال العدم الذي هو عليه من
الشرعية، وهو أن يعرف العدم بحسه من أي حال هو فيكون مستعدًا لإتيان ملك
الموت عليه، وعن هذا قال - (طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ

قال البرار كما في جامع بيان العلم (٩٠ / ٢) وهذا الكلام لا يصح من النبي صلى الله عليه وآله -

وقال ابن حزم في الأحكام (٥، ٦٤) - هذا حديث باطل مكذوب من تولد أهل الفسوق -

(١) آل عمران: ١٩

(٢) الداريات: ٥٦

وَمُسْلِمَةٌ»^(١) أراد به الحال والحالة التي يكون فيها عاملاً أي عاملاً عالمًا، وفتيها طالبًا فيعرف نفسه، وقال الشيخ أيضًا «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ»^(٢)، والشرائع والسنن أراد بهما الحلال والحرام.

(١) أخرجه ابن ماجه ح (٢٢٤) من حديث أس، وليس عنده «ومسلمة» وطرفه عن أنس كنها معلولة وأمية، وفي الباب عن جماعة من الصحابة
قال الإمام أحمد كما في العنبر المشابهة (١، ٧٥) «لا يثبت عندنا في هذا الباب شيء» اهـ. وقال ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١/٧) «هذا حديث يروى عن أس بن مالك، عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة، كنها معلولة، لا حجة في شيء منها عند أهل العلم بالحديث من جهة الإسناد» اهـ. وقال التبراني مسنده (١/١٧٢) «روى عن أنس من غير وجه، وكل ما يروى فيها عن أنس فغير صحيح» اهـ. وقال البيهقي في الشعب (٢/٢٥٣) «هذا الحديث شبه مشهور، وإسناده ضعيف، وقد روي من أوجه كنها ضعيفة» اهـ. وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/٧٢) بعد ما حرجه عن جماعة من الصحابة «هذه الأحاديث كلها لا تثبت» اهـ. ومثل به الحاكم في معرفة علوم الحديث (ص ١٥١)، وابن الصلاح في معرفة أنواع علوم الحديث (ص ٣٠٧) للمشهور الذي ليس بصحيح وقد صحح بعض الأئمة طرقه كما قال العراقي، وقال المزي إن طرفه يبلغ به رتبة الحسن ينظر المقاصد الحسنة للسخاوي (ص ٤٤٠-٤٤٢).
تنبيه: قال السخاوي قد ألحق بعض المستعبرين بآخر هذا الحديث «ومسلمة»، وليس لها ذكر في شيء من طرقه، وإن كان معناها صحيحًا

(٢) قال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (١٦/٣٤٩). «بعض الناس يروى هذا عن النبي ﷺ، وليس هذا من كلام النبي ﷺ، ولا هو في شيء من كتب الحديث، ولا يعرف له إسناد، ولكن يروى في بعض الكتب المتقدمة إن صح - يا إسماعيل اعرف نفسك تعرف ربك، وهذا الكلام سواء كان معناه صحيحًا أو فاسدًا، لا يمكن الاحتجاج بلفظه، فإنه لم يثبت عن قائل معصوم، لكن إن فسر بمعنى صحيح عرف صحة ذلك المعنى، سواء دل عليه هذا اللفظ أو لم يدل» اهـ.
وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص ٦٥٧). «قال أبو المظفر ابن السمعاني في الكلام على التحسين والتشجيع العقلي من القواطع أنه لا يعرف مرفوعًا، وإنما يحكى عن يحيى بن معاذ الرازي يحيى من قوله، وكذا قال النووي إنه ليس بثابت» اهـ. وقال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (١٦/٣٤٩) «بعض الناس يروى هذا عن النبي ﷺ، وليس هذا من كلام النبي ﷺ، ولا هو في شيء من كتب الحديث، ولا يعرف له إسناد، ولكن يروى في بعض الكتب المتقدمة - إن صح - يا إسماعيل اعرف نفسك تعرف ربك، وهذا الكلام سواء كان معناه صحيحًا أو فاسدًا لا يمكن الاحتجاج بلفظه، فإنه لم يثبت عن قائل معصوم، لكن إن فسر بمعنى صحيح عرف صحة ذلك المعنى، سواء دل عليه هذا اللفظ أو لم يدل» اهـ.

قوله: (والحدود) أراد به علم لاجتناب عن المعصية والاشتهار بالأوامر، قال
 الله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ بِنَفْسِهِ﴾^(١)

قوله (واختلاف الأمة رحمة) أراد به عدم النظر بدقائق المعاني قياساً
 واستحساناً واستنباطاً لا احتراعاً من جهة هوى النفس، وهذا لأن لأشياء
 تعرف بأصداقها: فمن لم يعرف الكفر لا يعرف الإيمان، ومن لا يعرف البدعة
 والصلاة لا يعرف الاهتداء والاستقامة

فصل

ثم احتلموا في الإيمان والإسلام، قال بعضهم هما واحد لقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ
 غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾^(٢)، وقال بعضهم هما متغايران لقوله تعالى ﴿قَالَتْ
 الْأَعْرَابُ: إِنَّمَا هُمْ قُلٌّ لِّمَنْ تُلَاحِظُوا وَتُلَاحِظُوا قُلُوبُهُمْ﴾^(٣)، فقد علم تغاير بين الإسلام
 والإيمان، إلا أن الأصح ما قال أبو منصور الماتريدي أن (الإسلام) معرفة الله تعالى
 بلا كيف وعمله الصادر مصادقة لقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَتَفَعَّلِ اللَّهُ حَذْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ
 عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ﴾^(٤)، و(الإيمان) معرفة الله تعالى بالالوهية، وعمله القلب لقوله
 تعالى ﴿وَلْيَكُنْ اللَّهُ حَبِيبَ إِلَيْكُمْ لَا يُحْسِنُوا قُلُوبَهُمْ﴾^(٥) والقلب داخل
 الصدر (والمعرفة) معرفة الله بصفاته ومعناها المزاد وهو داخل القلب (والتوحيد)
 معرفة الله تعالى بالوحدانية، وعمله السر وهو داخل المزاد، وهذا معنى قوله تعالى
 ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ﴾ الآية^(٦)، جعل الله الصدر بمنزلة

(١) الطلاق ٦.

(٢) آل عمران ٨٥.

(٣) الحجرات ١٤.

(٤) الرمز ٢٢.

(٥) الحجرات ٧.

(٦) النور ٣٥.

المشكاة، والقلب بمنزلة الزجاج، وللمزاد بمنزلة المصباح، والسر بمنزلة الشجرة، وداحل السر موضع يقال له: حصى، وهو موضع نور الهداية، ولا صنع للعبد فيه سوى أن الله تعالى إذا أراد أن يهدي عبده الصال يلقى نوره في الخفي فيتلأأ، وهو معنى قوله تعالى: ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾^(١) ثم يتلأأ ذلك النور إلى السر فيقوم للعبد فعل التوحيد فيوحده الله ويبرأ عن الأصنام، ثم لا يسكن ذلك النور بل يتلأأ إلى الفؤاد فيقوم للعبد فعل المعرفة لله تعالى فيصير عارفاً لله تعالى بجميع صفاته، ثم يتلأأ ذلك النور إلى القلب فيقوم للعبد فعل الإيمان، ثم يتلأأ إلى الصدر فيقوم له فعل الإسلام، ثم يتشر ذلك النور في جميع الأعضاء فيتقاصى العبد بالاجتناب عن المعاصي والالتزام بالأوامر، وبإحاطة العبد إلى ذلك صار مؤمناً تقياً حتى دخل تحت قوله تعالى: ﴿إِن أَكْرَمْتُمْ كَرَّمَ اللَّهُ عِندَ اللَّهِ أَنْفُسَكُمْ﴾^(٢) وقيل للبي: ﴿كَلَّا: مَنْ أَكَلَ؟ قَالَ: كُلُّ مُؤْمِنٍ﴾^(٣)، فإن لم يحبه إلى ذلك زال عنه التقوى واتسم بسمة الفسق بارتكابه للمعاصي، فيخاف عليه لصفه ويرحى له بمحض إيمانه.

فإذا صار هاهنا عقود أربعة: التوحيد والمعرفة والإيمان والإسلام، ليست هي بواحدة ولا متغايرة، فإذا اجتمعت صارت ديناً، وهو معنى قوله تعالى: ﴿إِنِ الَّذِينَ عِندَ اللَّهِ إِلَٰهٌ سَلَمٌ﴾^(٤) إلى الخبر المروي عن النبي ﷺ وهو ما روي عن

(١) الرمر، ٢٢.

(٢) المحجرات، ١٣.

(٣) أخرجه ابن الجوزي في العلل المشاهية من حديث أنس، وقال: «هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ». اهـ. وقال السجواني في المقاصد الحسنة (ص ٤٠) بعثنا ذكره من حديث أنس: «وفي الدلائل من حديث ابن الشخير ومن حديث شريك، عن أبي إسحاق السبيعي، عن الحارث الأعور، عن علي بن أبي طالب قال: قلت: يا رسول الله من أكل همد؟ قال: كل تقي. وأسانيدها ضعيفة، ولكن شواهده كثيرة، منها في الصحيحين قوله: «إِنْ أَلَ أَهِي فَلَا يَسُوِي بِأُولِيَاءِ، إِسْمَاءُ وَلِيِّي اللَّهِ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ» اهـ.

(٤) آل عمران، ١٩.

ابن عمر رضي الله عنه قال: «كما حلّوس عبد رسول الله ﷺ في مسجد المدينة إذ دخل أعرابي حسن الوجه حسن الهيئة أبيض الثياب، ووقف على طرف المسجد وسلم على النبي ﷺ؛ فرد جوابه ثم استأذن وقال: أدعو؟ فقال له النبي: «أذن!» فبدأ، ثم وقف واستأذن كالموقر ودنا إلى أن جث بين يدي النبي، وقال: يا رسول الله ما الإيمان؟ فقال النبي: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ اللَّهِ»، قال: صدقت، فعجب منه يسأله ويصدقه، ثم قال: يا رسول الله: فما الإسلام؟ فقال ﷺ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَصَوْمُ رَمَضَانَ وَحَجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قال: صدقت، ثم قال: يا رسول الله: ما الإحسان؟ فقال ﷺ: «لِإِحْسَانٍ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَلْيَنْتَهِ بِرَأْيِكَ»، فقال: صدقت ^(١) وهذا الحديث معروف، وأبو منصور رحمه الله إنما ذكر الحقيقة قال: فمن استيقن هذا وأقر به فهو مؤمن لأنه عقد على الصواب على ما بيناه، وإنما قال: إن استيقن هذا وأقر به لأن الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالقلب؛ فإذا صدقه بقلبه وأقر به بلسانه فإنه مؤمن، وإذا صدقه بقلبه ولم يقر بلسانه وهو في الإمكان من الإقرار فإنه لا يصير مؤمناً كما لو أقر بلسانه ولم يصدق بجهانه، قال: فإذن أكر شيء من خلقه فقال: لا أدري من خلق هذا فهو كافر؛ لأن الله تعالى خلق كل شيء، وكذلك إذا قال: لا أعلم أن الله تعالى فرض عليّ صلاة ولا صوماً ولا زكاة فقد كفر؛ لأن الفرض منصوص عليه، وهو قوله تعالى: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ» ^(٢) وإذا قال: أؤمن بهذه

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥٢/١) من حديث ابن عمر به، وقال الترمذي في الجامع (٦/٥) «والصحيح هو ابن عمر عن عمر عن النبي ﷺ» اهـ. وحديث ابن عمر عن عمر أخرجه مسلم ح (٨). والحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) النساء: ٧٧.

الآية ولا أعلم تأويلها وتفسيرها فيه لا يكفر؛ لأنه مصدق بالتزويل وإن كان مخطئاً في التأويل، قال: فإن أقر مجملته الإسلام في أرض الشرك ولا يعلم شيئاً من الفرائض ولا شرائع الإياد ولا الكتاب ولا يقر بشيء منها فإنه مؤمن، وإن كان لا يعلم شيئاً ولم يعمل به.

قال الفقيه رحمه الله: هذا يفيد فائدتين

(أحدهما) أن الإياد بالتقليد صحيح وإن لم يهتد إلى الإسلام، خلافاً للمعتزلة والأشعرية أسما لا بضمحا، الإيمان بالتقليد ويقولان بكفر العامة، وهذا قبيح لأنه يؤدي إلى تعريض حكمة الله تعالى في الرسالة والنبوة؛ لأن من أعطي الرسالة والنبوة أمر أولاً بعرض الإسلام على الكفرة، ولو كان الإسلام لا يصح بالعرض والتقليد لغابت الحكمة في الرسالة، إلا أن درجة الاستدلال أهل من درجة التقليد ألف مرة؛ فكل من كان في الاستدلال والاستنباط أكثر كان إيمانه أبور، وهذا كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لَوْ وُزِنَ إِيْمَانُ أَبِي بَكْرٍ - مِنْ جِهَةِ السُّورِ وَالصِّيَاءِ - مَعَ إِيْمَانِ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ لَرَجَعَ إِيْمَانُ أَبِي بَكْرٍ»^(١) من جهة السور والصياء لا من جهة الزيادة ولتقصان

(الفائدة الثانية) أن الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالحنان والعمل بالشرائع

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (٢٠١/٤) في ترجمة عبد الله بن عبد العزيز بن أبي رواد، وقال عن عبد الله: «يحدث عن أبيه عن نافع عن بن عمر بأحاديث لا يتابعه أحد عليه»، وأخرجه أيضاً بنحوه (٢٥٩/٥) في ترجمة عيسى بن عبد الله القرشي، وقال عن عيسى: «ضعيف يسرق الحديث». وقال أيضاً: «الضعيف على حديثه يمين». وله شاهد عن أبي بكر مرفوعاً: أن رجلاً قال: يا رسول الله رأيت كأن ميراً نزل من السماء فورت أنت وأبو بكر فرجعت أنت بأبي بكر، ووزن عمر وأبو بكر فرجح أبو بكر، أخرجه أبو داود (٤٦٣٤)، والترمذي (٢٢٨٧)، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح». وقد صح الحديث مرفوعاً على عمر عند البيهقي في الشعب (٣٦). ينظر المقاصد الحسنة (ص ٥٥٥).

لا من الإيمان.

قالت الشكاكية: العمل من الإيمان، وعن هذا قالت بزيادة الإيمان ونقصانه، واحتجت بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾^(١)، إلا أنا نقول: معنى الإيمان هاهنا هو التصديق بإيماننا أي تصديقنا؛ إذ الإيمان بجميع القرآن واجب، والقرآن كان ينزل على النبي ﷺ آية آية وسورة سورة؛ فكلها برئت آية وجب التصديق بها؛ فمن لم يصدق بآية من القرآن فقد كفر كما لو لم يصدق بجميع القرآن؛ فهذا تأويل الآية على ما يبدى، وقد ثبت العمل بخلقه فلم يعدسه على خلق نفسه؟

قلنا: الثواب والعقاب على استعمال العمل للخلق لا على أصل الخلق، ولهذا قال أبو حنيفة: إن الاستطاعة التي يعمل بها العبد المعصية هي بعينها تصلح لعمل الطاعة، وهو معاقب في صرف الاستطاعة التي أحدثها الله تعالى فيه وأمره بأن يستعملها في الطاعة لا في المعصية صرفها إلى المعصية لا على إحداث الاستطاعة، ولهذا قلنا: الاستطاعة مع العمل لا قبله ولا بعده؛ لأن كل جزء من الاستطاعة مقرون بكل جزء من العمل.

وقالت القدرية: الاستطاعة قبل العمل وهي موجودة في العبد استعمالها كيف شاء، قلنا: هذا يوجب استعلاء العبد على الله حيث يختار لنفسه ما شاء، والاستعلاء على الله كفر.

فإن قيل: نحن لا ننفي المشيئة ولكننا نقول المشيئة على نوعين: مشيئة جبر ومشيئة تعريض، فمشيئة الجبر كخلق السموات والأرض وما فيها وما بينهما، ومشيئة التعريض مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ

(١) التوبة: ١٢٤.

يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ»^(١) وقوله «وَلَوْ شَاءَ» مشيئة جبر أي لو شاء الله يجرركم على الإسلام، وقوله «وَنَسِيكَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ»، مشيئة تفويض، وهذا اعتقاد العدوية. قلنا المحب من ترهتكم ووعدتكم حيث قسمتتم مشيئة الله تعالى قسمين كأنيكم شركاء الله تعالى، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ثم نريكم فسخ هذه المقابلة أن الرجل إذا حَيَّرَ إنساناً بين أمرين وموضع العمل بين الطريقين يعني بين الخير والشر فإن احتار الشر كان معذوراً، وإذا جعلتم العباد معدورين في ارتكاب المعاصي وإن احتار الخير يكون له ممة على المفوض والمحصير، وإذا جعلتم للعباد ممة على الله تعالى من أنه لو حَيَّرَ الرجل أمراته^(٢) صافهم إن شاء الله تعالى، ثم المذهب الصحيح وهو مذهب أهل السنة والجماعة أن للعبد فعلاً حقيقياً لا مجازاً.

وقالت المجبرة لا فعل للعبد وله فعل على وجه المجاز لا على وجه الحقيقة، ويرد عليهم فنقول إن قولكم هذا يزدي إلى إسقاط الرجاء والخوف من العبد فلا يخاف من سوء فعله ولا يرجو على خيره عمله وهذا كفر، لأن في زوال الرجاء قوطاً قال الله تعالى «لَا تَقْطُوعُوا مِنَ رَحْمَةِ اللَّهِ»^(٣) وقال في آية أخرى: «إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ»^(٤) وفي زوال الخوف إسقاط العبودية وتعويت الربوبية وهذا ضد من الأول، وقد صل العريقان، الفدرية بإضافة صفة الله تعالى إلى العبد وهي خلق الأفعال، والمجبرة بإضافة أفعال القبيحة إلى الله تعالى تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

(١) السجل ٩٣

(٢) كذا والظاهر أن هناك سقط

(٣) الرمر ٥٣.

(٤) يوسف ٨٧.

ونوسط أبو حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم فقالوا: الخلق فعل الله وهو إحداث الاستطاعة في العبد، واستعمال الاستطاعة المحدثه فعل العبد حقيقة لا مجازاً على ما بيناه، فسلموا من القدر والخبر، واختلاف آخر يساوي بين الأشعرية أنها تقول: إن الاستطاعة التي تصلح للشر لا تصلح للخير، وهذا قريب من الخبر بل عين الخبر؛ لأن استطاعة الشر إذا كانت لا تصلح للخير صار مجبوراً في فعل الشر، ومن هذا جوز الأشعرية تكليف ما لا يطاق، وسرد عليهم بقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(١)

فإن قيل: قال الله تعالى خبراً عن المصطفى عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ فلو كان الأمر فرق الطاقة لكان هذا السؤال من المصطفى عليه السلام كقراءة كما قال: «لا تطعوا ولا تمهر علينا»، قلنا: سؤل النبي صلى الله عليه وسلم كان على سبيل التخفيف لا على سبيل نفي الطاقة أصلاً دليله سياق الآية: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ حملت على الدين من قبلنا، ألا ترى أنك إذا رأيت دابة قد حملت حملاً ثقيلاً قلت هذه الدابة حملت فوق طاقتها، قلت: إن تعلمهم بهذه الآية من الوعظة وقلة العزم، وذكر في كتاب الأسئلة وجوابها وكل ذلك يرجع إلى ما بينا، ثم ذكر بعض هذا الخبر وجوابها معروفاً به^(٢) ولكن المراد من الخبر أن الشقاوة المكتوبة في اللوح المحفوظ تتبدل سعادة بأفعال السعداء، والسعادة المكتوبة فيه تتبدل شقاوة بأفعال الأشقياء.

وقالت الأشعرية: لا تتبدل عن ذلك، ومن هذا قالوا: إن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا مؤمنين في حال سجودهم بنصم، وسحرة فرعون كانوا مؤمنين في

(١) البقرة: ٢٨٦

(٢) ما مر ذكر الخبر، ولعل في عبارة لأصل نص.

حال خلفهم معرة فرعون وإقرارهم بأبوهم

قلنا هذا مردود عليكم بقوله تعالى ﴿قُلْ لِلدِّينِ حَكْمُ اللَّهِ إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾^(١) أنت العفران لما سيف قبل الإسلام؛ فلو كان الكافر مؤمناً قبل الإيمان لفانت فائدة العفران ونعطل كلام الرحمن، وهذا من أقبح القبائح، وقال الله: «الإسلام يجب ما قبله»^(٢) ومن الدليل على ما قلناه قوله تعالى: ﴿يَمَحُوْا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾^(٣) يعني يمحو المعاصي عند التوبة ويثبت النعمة، وهذا قد اجمعت عليه المصرون

فإن قيل: القول بالتبديل يؤدي إلى تحوير البقاء على الله تعالى، تعالى عن ذلك علواً كبيراً

قلنا هذا من قلة فهمكم وسخافة عقولكم؛ أمحسنتم أن المكتوب في اللوح المحفوظ صفة الله تعالى بل هي صفة العبد بمعادة وشقاوة، والعبد يحوّل عليه التعبير من حال إلى حال ولذلك صفة متغيرة، وأما قصاء الله وقدره فلا يتغير ولا يتبدل، والقصاء صفة القدسي، والمقتضي المكتوب في اللوح المحفوظ، والقصاء صفة الرب غير محدثة والمقتضي محدث، والحكم غير محدث والمحكوم به غير محدث، والمقدور محدث، وتعبير لمقتضي عليه لا يوجب تغير القصاء؛ إذ الناس على أربع فرق (فريق) منهم قصي عليه بالسعادة ابتداء وانتهاء مثل علي وولديه الحسن والحسين (وفريق) قصي عليه بالشقاوة ابتداء وانتهاء مثل أبي جهل وأصحابه (وفريق) منهم قصي عليه بالسعادة انتهاء مثل أبي بكر وعمر

(١) الأنعام ٢٨

(٢) أخرجه مسلم ج (١٢١)، وأحمد في مسنده (٢٠٤، ٢٠٥) من حديث عمرو بن العاص،

ولفظ مسلم «الإسلام يبدى»

(٣) الرعد ٣٩.

﴿يَتَّبِعُونَ سِحْرَ فِرْعَوْنَ﴾، فعند فضاؤه على ما كان في الأول جرى؛ فالتغير للمقضي عليه لا للقضاء - والله لموفق

وقوله: فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيتبعه على ذلك أناس فخرج على الجماعة هل ترى ذلك؟ قال إسماعيل في ذلك: لا، فهذا يفيد أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ارتفعاً في هذا الزمان لأنه ذكر بعده، فقال: إن ما يفسد من استحلال المحارم وانتهاج الأموال أكثر مما يصلح، وعن هذا قلنا: إن السلطان إذا كان جائراً فإنه لا يجوز أن يخرج عليه بالسيف لما فيه من الفساد من سفك الدماء وانتهاج الأموال

قال أبو حنيفة رحمه الله: (لا يضركم حور من جاد ولا عدل من عدل لكم أجركم وعليه وزره) قال: هذا القول يفيد أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذا الزمان مرتفع؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذا الزمان ليس إلا على هذا الوجه لا على وجه الخشية لله تعالى

ثم ذكر بعد هذا أحكام الخوارج ولا تحتاج إليها
وقوله فيمن قال: لا أعرف الكافر كما نراه هو مثله؛ لأن الأشياء تعرف بأصداها، فلما لم يعرف الكفر لم يعرف الإيمان، وكذلك لو قال: لا أدري أين يصير الكافر فإنه يكفر؛ لأن الله تعالى أعلم أن مصيره إلى النار، ثم بعد هذه المسألة الاستثناء في الإيمان وهي بينا وبين الشكاكية فنرد عليهم بقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) وما استثنى وقال خبراً عن السحرة ﴿أَمَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢) من غير استثناء، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ

(١) البقرة ١٣٦

(٢) الأعراف: ١٢١

أَلْمُؤْمِنُونَ خَفَاءً»^(١) وقال: «وَلَيْسَ هُمْ الْكَافِرُونَ خَفَاءً»^(٢) وقال: «مُذْهَبِيْنَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ» الآية، وهم المسافقون فصاروا على ثلاثة أصناف، ولم يذكر الصف الرابع لأن الإيمان عقد - من ما يشاء - فالاستثناء يبطله كسائر العقود.

فإن قيل: روي عن النبي ﷺ أنه مر بمقبرة فسلم عليهم وقال: «إنا لاحقون بكم إن شاء الله»^(٣) فاستثنى في الموت أوزى أن الموت مشكوك فيه؟ فكذلك نحن لا نشك في إيماننا ولكن يجوز الاستثناء فيه.

قلنا: سكونكم كان حيزاً لكم من تعففكم هذا الخبر؛ لأن النبي ﷺ لم يشك في الموت وإيمان النبي في اللعنات، ولحق مشكوك فيه؛ إذ الفريقان فريقان فريق في الجنة وفريق في النار، فكل ما كان مشكوكاً فيه يجب الاستثناء عليه لقوله تعالى: «وَلَا تَقُولُوا لِمَا يُذَمَّرُ أَنَّهُ مُكَذَّبٌ وَلَا تُدْعَى الْكُفْرُ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ»^(٤)، وكل ما كان متحققاً لا يجوز الاستثناء فيه كظنونه. هذا رجل وهذه امرأة إن شاء الله، ولا من حور الاستثناء في الإيمان حور الاستثناء في الكفر، وقد ذكرنا أن الاستثناء في الكفر كغير مثله.

فإن قيل: إيمان الاستثناء للمخافة لا ندري أن يموت على الإيمان أم لا. قلنا: هذا الاستثناء في الشك عن الإيمان وذلك مشكوك فيه، والاستثناء فيه واجب عندما أيضاً، وكلامنا إنما وقع في الاستثناء للإيمان؛ فإذا بطل الاستثناء فيه في حان بطل في جميع الأحوال، والذي روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه من جواز

(١) الأنعام ٤

(٢) النساء ١٥١

(٣) أخرجه مسلم ح (٢٤٩) من حديث أبي هريرة، ح (٩٧٤) من حديث عائشة

(٤) الكهف ٢٣-٢٤

الاستثناء فهو محمول في الثبات على الإيمان وكان ذلك رتبة منه فرجع عنها، وقوله. فمن قال أنا من أهل الجنة فقد كذب؛ لأنه إذا قال: أنا من أهل الجنة فقد أسقط الخوف عن نفسه، وإذا قال: أنا من أهل النار فقد أسقط الرجاء عن نفسه، وكلاهما لا يجوز كما بينا.

ثم اعلم بأنه يجوز أن يقال في الحملة، إن المؤمنين في الجنة بلا شك؛ لأن في جملة المؤمنين الأنبياء والرسل والأولياء، ويجوز أن يقال، إن الكافرين في النار من غير شك، فإذا شك فيه فقد كفر لأنه أنكر النص، وأما إذا أشرت إلى واحد بعينه فإن كان المشار إليه من الأنبياء والرسل أو ممن شهدت له الرسل والأنبياء بالجنة وهم أصحاب النبي ﷺ وهم عشرة مبشرة، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية^(١) إنه يجوز لك أن تقول: هذا في الجنة، من غير شك، فإذا شككت فيه فقد كفرت وكلمت على الله تعالى، وإن كان ذلك المشار إليه من غير الأنبياء أو ممن لم يشهد له الأنبياء بالجنة فلا يجوز لك أن تقول: هذا في الجنة، إلا بالشرط، وهو أن تقول: إن كان هذا على الإيمان فهو في الجنة، وكذلك إن كان المشار إليه ممن نطق الكتاب أنه من أهل النار جاز لك أن تقطع القول بأنه في النار وإلا فالشرط.

قال أبو حنيفة رحمه الله: (من آمن بجميع ما يؤمر به إلا أنه قال: لا أعرف موسى وعيسى عليهما السلام آمن المرسلين أم من غير المرسلين فإنه يكفر) لأنه أنكر النص. قال أبو حنيفة: (من قال: لا أعرف الله أي السماء أم في الأرض فقد كفر) لأنه بهذا القول يوهم أن يكون له مكان فكان مشركاً، قال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٢) فإن قال: أقول هذه الآية ولكن لا أدري أين العرش في

(١) الفتح ١٨.

(٢) طه: ٥.

السماء أم في الأرض فقد كفر أيضاً، وهذا يرجع إلى المعنى الأول في الحقيقة؛ لأنه إذا قال: لا أدري أن العرش في السماء أم في الأرض فكأنه قال لا أدري أن الله تعالى في السماء أم في الأرض

قال العقيد أبو الليث رحمه الله احتجوا في هذه المسألة، قالت الكرامية والمشبهة بأن الله على العرش علواً مكاباً محكماً وأن العرش له مستقر، ويصفونه بالبرول والمحي، والذهاب ويقولون هو جسم لا كالأجسام - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، واحتجنا بقول تعالى: ﴿الرُّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ إلا أننا نرد عليهم بقول: إن العرش لم يكن فكان بتكوينه؛ فلا يخلو إما أن يكون كونه لإظهار عظمته وجبروته على خلقه وإما لاحتياجه إلى القعود عليه، ولا يجوز أن يقال: لاحتياجه إلى القعود عليه، لأن المحتاج لا يكون حائفاً لأنه محاح مقهور لحاجة، والمقهور لا يكون آمراً فكيف يكون إلهاً؟ فإذا بطل هذا الوجه صح الوجه الأول وهو كونه لإظهار عظمته وجبروته على خلقه ولا حاجة له إليه، ثم معنى الاستواء استواء المملكة لأن كل شيء مقهور العرش والعرش مقهور الرب، وهذا كما يقال فلان استوى على سريره ومد عليه رجله، يعنون بذلك استواء أمور الولاية له وانقطاع المداخلة في الإمارة عنه، وتأويل آخر: وهو معنى الاستواء خلقه على عرشه كما قال تعالى: ﴿إِبْرَاهِيمَ أَنِ ابْنِ خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ فِي سِتَّةِ اَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ﴾^(١) أي استوى فعل التحليق على عرشه، فقد مررنا على المشبهة فلم يبق لهم شبهة في الاستواء، ونرد عليهم في قولهم: «الجسم لا كالأجسام» بقول: إن الجسم من عرض وجوهر، والله تعالى خالق الأعراض والجوهر فلا يوصف بهما.

فإن قيل: أليس يقال له شيء لا كالأشياء؟ فكذلك يقال، جسم لا كالأجسام.
قلنا، الشبهة عبارة عن الوجود في معنى الوجود، وذا لا يجوز وليس الجسم
بمثابته، ألا ترى أنه لا يقال: الكلام جسم، ويقال له شيء، لأنه عبارة عن
وجوده، وعن هذا قلنا: إنه لا يجوز للمعدوم أن يقال له شيئاً خلافاً للمعتزلة.

فإن قيل أيش تقولون في قوله تعالى: ﴿خُلِقْتُ بِهْدَى﴾^(١)

قلنا اليد صفة وصف بها نفسه ونؤمن بها وبجميع أوصافه، وعلى أن تأويل اليد
صفة وهيرها من الوجه والعين والقدم وهو لقدرته والقوة؛ لأن زوال هذه الأشياء
في الخاصة توجب الضعف وزوال القوة، والله تعالى قوي بفن الخوارج، والمعلقة
تنكر أن تكون اليد واليمين والوجه صفة الله تعالى فلا حاجة لإنكارها؛ لأن في ذلك
تعطيل كلامه وتفتيت صفاته مع أن له تأويلاً صحيحاً، والمشبهة طائفة وصفت
الله ~~بأنه~~ باليد والقدم، والخارجية خالفت كلاماً لم يرق.

وقالت القدرية والمعتزلة: إله الله تعالى لي كل مكان، واحتجنا بقوله تعالى:
﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾^(٢) أخبر أنه في السماء وفي
الأرض، إلا أنا نقول: لا حاجة لكم في الآية لأن المراد من الآية لو كان ما قلتم
لكان وهو الذي كل فيهما وصف بالشبهة دل على أن المراد به نفوذ الإلهية في
السماء وفي الأرض، وبه نقول، ونقول المعتزلة والقدرية في هذا أقبح من قول
المشبهة لأن قولهم يؤدي إلى أن الله تعالى في أجواف السباع والهوام والحشرات -
تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وأما مذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى على
العرش علو عظيمة وربوبية لا علو ارتفاع مكان ومسافة

(١) ص ٧٥.

(٢) الزخرف: ٨٤.

قال أبو حبيبة رضي الله عنه، (ونذكره من أعني لا من أسفل) لأن الأسفل ليس من الربوبية والألوهية في شيء، وروى في الحديث أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله بأمة سوداء فقال: وجب علي عتق رقبة مؤمنة أمجري أن أعتق هذه؟ فقال لها النبي صلى الله عليه وآله: «أؤمنة أنت؟» قالت نعم، فقال «أبى الله؟» فأشارت إلى السماء، فقال «أعتقها فإنها مؤمنة»^(١)!

والمتعزلة تنكر هذا الخبر وترده، وذكر في الكتاب حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن شاباً سأله فقال: ما تقول فيما يصلي ويصوم ويحج البيت ويجاهد في سبيل الله ويؤدي زكاته ويعتق غير أنه يشك في الله ورسوله؟ قال معاذ: هذا له الباري قال: هما تقول فيما لا يصلي ولا يصوم ولا يحج البيت ولا يؤدي زكاة ماله غير أنه يؤمن بالله ورسوله؟ قال هذا أرجو له وأحاف عليه، فقال الشاب: يا أبا عبد الرحمن كما لا ينفع مع الشرك عمل فكذلك لا يضر مع الإيمان شيء. ثم مضى، فقال معاذ: ليس في هذا ألويدي أفقه من هذا الشاب

قال رضي الله عنه وقد ذكرنا في هذا اختلافاً بين الخوارج والقدرية في ارتكاب الكبيرة، غير أن هاهنا اختلافاً آخر بين المرحنة أهما قالت: إن المؤمن في الجبة ولو ارتكب الكبائر والمعاصي وبها لا تضر مع الإيمان، واحتججت بقول الشاب وترك إكثار معاذ، إلا أنا نقول حرج قول الشاب عقيب قول معاذ «أرجو له وأخاف عليه»، وكان المراد من قول معاذ أن الإيمان لا يرتفع بالكبيرة، والدليل على أن الخوف واجب أن الله تعالى أمر عباده بالتقوى في غير آية من القرآن وهو يوجب الخوف، وإن زوال الخوف يوجب إسقاط العبودية وتعطيل

(١) أخرجه أبو داود ح (٣٢٨٤) من حديث أبي هريرة، ومسلم ح (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي، كلامه بجملة، ونظير أبي داود أقرب للفظ المصنف

الربوبية وذلك غير جائز.

قال أبو حنيفة رحمه الله (من قال لا أعرف عذاب القبر فهو من العليقة الجهمية والهلالية) اعلم أن هذه مسألة فرع لمسألة أخرى، وهي أن الجهمية والقدرية والمعتزلة يجعلون العقل حاسة سادسة كالسمع والبصر والشم والذوق واللمس ويشنون الأمور على عقولهم ويقولون بما يرى وشاهد أن الميت لا يتألم بها يؤلمها في الشاهد فكذلك في العائب، وعن هذا أنكروا عذاب القبر وتسييح الجهاد لأنهم يقولون لو كان لها تسبيح لسمع، وعن هذا أنكروا الميزان والصراط وخروج أهل الأيمان من النار والمراح ورؤية لاري جل جلاله.

ونرد عليهم بقول: إن العقول محدثة معرضة للمعجز والضعف والكلال والتلاشي كما قال لفظاً: «تفكروا إلى خلق الله ولا تفكروا في الخالق»^(١) لا يحتاجون إلى التفكير في الله تعالى لتلاشي أوهامهم وذهول عقولهم فلمعري إنه بيت الحس للعلل، فللمعقولات المتركات لا تغير المعقولات وهو يتوقف في غير المعقولات حتى يرد السمع فينبهه إن كان سلبياً غير سقيم اتباعه إياه في المنافع والمضار، فأراد القدرية والمعتزلة أن يتركوا كنه الربوبية بعقولهم العاجزة الكالة حتى مرضت عقولهم وسقمت ففوتوا المعرفة، وزاحم المنافقون في هذا: قال الله تعالى في شأن المنافقين: «في قلوبهم مرض فرآهم الله مرحاً ولهم عذاب»

(١) أخرجه أبو الشيخ في العظمة ح (١) من حديث أبي در، وأبو يعين في الحلية (١٦٦/٦-٦٧)، وأبو الشيخ في العظمة ح (٢١) من حديث عبد الله بن سلام، وأبو الشيخ في العظمة ح (٣) من حديث ابن عباس، واللفظ لحديث أبي در

وأخرجه الطبراني في الأوسط ح (٦٣١٩)، والبيهقي في الشعب ح (١٢٠) من حديث ابن عمر بلفظ: «تفكروا في آلاء الله، ولا تفكروا في الله»، وقد البيهقي عقبه: «هذا إسناد فيه نظر» اهـ وقال السنخاوي في المقاصد الحسنة (ص ٢٦٦) وأسانيدها ضعيفة، لكن اجتماعها يكتب قوة. اهـ.

أليهم^(١)، وكل عقل إذا كان سليحاً يتوقف فيما لا يستدركه بالعقل حتى يرد السمع فإذا أورد السمع تبعه، ومن لدليل على عذاب القبر أنه كائن قول الله تعالى: «سَنُعَذِّبُهُمْ مُّرتين»^(٢) جاء في التفسير مرة في القبر ومرة في القيامة، فقال: «وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ»^(٣) وهو عذاب القبر، وقال: «وَلَنُعَذِّبَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ»^(٤)، جاء في التفسير أن العذاب الأدنى هو عذاب القبر، والدليل على تسبيح الجهاد قوله تعالى: «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُنصِّحُ بِهِمْذِهِ»^(٥) وقال تعالى: «وَنَصَّحُ الْمُؤْمِنِينَ الْفِطْرَةَ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ لِلنَّاسِ»^(٦) والأخبار في هذا كثيرة ما لا يمكن ردها

ثم أصحاب الأهواء والبدع فرق شتى كلهم في النار، وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «افترقت بنو إسرائيل على اثنتين وصيحين فرقة وسعترق أمتي على ثلاث ومسمين فرقة كلهم في النار إلا السواد الأعظم»^(٧)، وقال: «من أحدث حدثاً في الإسلام فقد هلك»، ومن ابتدع بدعة فقد حبل، ومن ضل لقي النار، إلى آخر ما ذكرناه اعلم أن المشيئة صفة الشئ، والإرادة صفة المريد، والأمر صفة الأمر، والعلم صفة العالم، والكلام صفة المتكلم، إن قال قائل لك صفت الله واحدة أو متعددة؟ قيل: هي ليست واحدة ولا متعددة، لأنها لو قلنا هي واحدة فقد عطلنا

(١) البقرة: ١٠

(٢) التوبة: ١١١

(٣) الطور: ٤٧

(٤) السجدة: ٢١

(٥) الإسراء: ٤٤

(٦) الأنبياء: ٤٧

(٧) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٦٨/٨، ٢٧٤)، والأوسط (٧٢٠٢) من حديث أبي أمامة بهجوه.

قال الميمني في المجمع (٥١٢/٧) «فيه أبو غالب وثقه ابن معين وغيره، وحقه رجال الأوسط

ثقات، وكذلك أحد إسنادي الكبير» اهـ

صفاته تعالى وهو مذهب القدرية والمعتزلة؛ لأهم يجعلون الإرادة والمشية والقضاء والقدر والحكم كلها على معنى العلم، وعن هذا أنكروا المشية والإرادة والقضاء عن الشر، وكلام الله تعالى يرد عليهم في غير موضع من القرآن - وقد بينا ذلك - ولو قلنا هي متعايرة فقد أرقعنا المعايرة بين الذات وبين الصفات وهو مذهب المعتزلة والأشعرية، أهم يجعلون صفات الفعل محدثة ودا لا يجوز فكذلك المعايرة بين الصفات، ثم صفات الله لا هي هو ولا غيره عند أهل السنة والجماعة، ولا هي محدثة سوء كانت من صفات الذات أو من صفات الفعل، ولا توصف بالسبق على بعض، وقوله في الكتاب ولكن سبقت مشيئته أمره يعني مأموره.

وقالت القدرية: هي غيره، وتاسعها الأشعرية، وهذا فرع لمسألة أخرى وهي أن صفات الفعل محدثة عندهم، وقالوا: إنما يرى في الشاهد أنه لا يكون المكتوب مكتوباً إلا بالكاتب ولا يحصل البناء إلا بفعل البناء ولا المقعول إلا بالفاعل فكذلك في العائب، وعن هذا أنه تعالى خالق مخلوق يورثق برزقه وأمره ومريد بإرادته، ونحن نقول: خالق لم ير خالق ورارق لم يرل رارقاً ومريد لم يرل مريداً كما يقول: عالم لم يرل عالماً وقدر لم يرل قادراً وسميع لم يرل سميعاً وبصير لم يرل بصيراً، وفي هذا اتفق لأن هذا من صفات الذات، ثم من صفات الذات الحلال والكبرياء والقدرة والعلم والسمع والبصر والكلام، وما سواها من صفات الفعل كائن للتحليق والتكرين والرزق والفعل والإرادة والمشية والقضاء والحكم.

ويرد على القدرية والأشعرية برهانهم فنقول: إن الباني باني وإن لم يبن، والكاتب كاتب وإن لم يكتب، وليس من ضرورة صيرورة الكاتب كاتباً أن يحصل منه فعل الكتابة؛ فلذلك جاز أن يكون الرب خالقاً وإن لم يخلق.

ثم الدليل على ما قلنا أنه لو لم يكن حائلاً من قبل ثم أحدث لنفسه فعل الخلق مخلق الخلق به بطلت تلك الصفة عند مراغمة من الخلق ففنى عاجراً عن الخلق - تعالى الله عن ذلك عنواً كبيراً، وقد الله تعالى. «كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ»^(١) ولأن الشيء المحدث محل التغير، فكيف لا يجوز التعبير على ذاته وصفاته الذاتية فكذلك لا يجوز التعبير على صفاته الفعلية، ولأنه لو كان يُحدث لنفسه صفة اسم لكان شبيهاً بخلقه وهو: «لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ»^(٢) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»^(٣)

ثم المذهب الصحيح أن الله تعالى موصوف بجميع صفاته في الأزل ذاتية أو فعلية، وأن صفة لا هو ولا غيره على معنى أنه لا يزاله كون الشيء لا هو عين الشيء ولا غيره، ولم يرد به الشيء وإنما أردنا به لطف الكلام.

وسئل أبو منصور عن صفات الله تعالى، ما هي؟ قال: لا هو ولا غيره، قيل له: لا هو ولا غيره، ما هو؟ قال: صفاته لا يجوز أن هذا، ثم يجوز أن يقال: عالم بعلمه وقادر بقدرته، وكذلك في جميع صفاته الذاتية لأن صفاته الذاتية كما كانت أزلية من غير خلاف لم يكن في هذا اللفظ جدل، ولما في صفاته الفعلية فلا يجوز أن يقال: خالق بخلقه لتمكن اختلاف أصحاب الأهواء فيه لكي لا يقع في الشبه.

واختلف مشايخ مذهبنا من هذا أيضاً قالوا: عالم هو وله علم، وموصوف به في الأزل، وقادر وله قدرة، وهو موصوف بها في الأزل، ومتكلم وله كلام، وهو موصوف به في الأزل، قالوا: لأن الباء توهم الآلة كما يقال: قاطع بالسكين وضارب بالسيف، ثم هاتان اختلاف آخر في أن الكلام محدث ولم يطلقوا عليه اسم الخلق ولا فرقوا بين اللغطين احتجوا بقوله تعالى: «إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا

(١) الرحمن: ٢٩.

(٢) الإخلاص: ٢-٣.

عَرَبِيًّا»^(١) فالجعل إنما هو في الخلق إلا أنهما هو من القدرة والمعتزة لأن الجعل لا ينبئ عن الخلق؛ ألا ترى إلى قوله تعالى خبراً عن المحدثين: «الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ»^(٢) فترى أن الجعل ماهما للخلق، وقد: «وَجَعَلُوا الْمَكِّيَّةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِسْكَاءً»^(٣)، وقال: «وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ»^(٤)

والدليل على ما قلنا أنه لو جعل الكلام محدثاً حار الحرس عليه قبل إحداث الكلام، والأحرس عاجز عن أن يكون أميز فكيف يصلح أن يكون إلهياً؟!

فإن قيل: المكتوب في المصاحف هو؟ فبما هو كلام الله تعالى، وكذلك المقروء في المحاريب والمحفوظ في الحناجر، ويكن الحروف والمجاء والألوان والصوت كلها مخلوقة، وكلام الله تعالى لا صوت فيه ولا نعمة ولا حروف ولا هجاء، وعن هذا احتزرت مشايخ سمرقند فقالوا: القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ولكن لا يقع على الحروف والمجاء واللون

وقالت الأشعرية: ما في المصحف ليس بكلام الله تعالى وإنما هو عبارة عن كلام الله تعالى حكاية عنه، وعن هذا جاوروا إحراق ما في المصاحف، قالت: لأن الكلام صفته، والصفة لا تزايل عن الموصوف، إلا أنا نقول: هذا الخوس من نفس الأشعرية أكثر من هو من المعتزلة؛ لأن المعلوم معلوم بعلم الله تعالى، أفترى أن صفة العلم زائلة بكون المعلوم معلوماً فكذلك الكلام لا يوصف بالمزايلة بظهور المكتوب في المصاحف، ولنا نقول: إن الكلام حال في المصاحف حتى يكون قولاً بالمرألة، يدل عليه أنه لو لم يكن المكتوب كلام الله

(١) الزحرف: ٣

(٢) الحجر: ٩١

(٣) الزحرف: ١٩

(٤) الأنعام: ١٠٠

تعالى لكان الكلام معدوماً فيها ببر عبادة يؤذي إلى تعزيت خطاب الله تعالى.
وأما الأحدية والواحدية، فإن الأحدية صفة الذات والواحدية صفة الفعل
فيقال: أحد بذاته، وواحد بفعله ثم أحديته ووحدانيتها ليست من جهة العدد
محتملة بالزيادة والنقصان والشركة والحد، فيقال: العدد أحد وأحاد وواحد
ووحدان، حتى قيل: فلان وحيد زمانه وفريد أوانه، فأما وحدانية الرب حل
جلاله فمن جهة نفي الأمثال والأعداد عنه كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١).

قال أبو منصور رحمه الله انكاف هذه رائدة لأنها لو لم تكن رائدة لتوهم أن
له مثلاً ثم ليس لك مثله بل معناه وليس مثله شيء، وأما وحدانيته من جهة
نفي الشركة عنه في أعماله كما قال تعالى: ﴿فَعَالٌ لِّمَآئِدٍ﴾ (٢) فلهذا قيل في
التمجيد: أحد لا مثل له وواحد لا شريك له، ثم مسألة المشيئة والإرادة قد
ذكرناها من قبل إلا أن ما هنا مسائل سؤالاً فقال: أمر الله تعالى بشيء ولم
يشأ بحلقه أو شاء ولم يأمر به حلقه، وهذا أيضاً قد ذكرناه أنه خلق الكفر وشاءه
وأمر الكافر بالإيمان ولم يشأ له.

فإن قيل: مشيئة الله مرضية أو غير مرضية؟ قلنا: هي مرضية.
فإن قيل: إذا يعاقب الله عباده على ما يرضى؟ قلنا: لا، بل يعاقبهم على ما لا
يرضى لأنه يعاقب الكافر على كفره، والكفر غير مرضي، وكذلك المعاصي غير
مرضية بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ (٣).
فإن قيل: أليس قلت: المعاصي والكفر بمشيئة الله تعالى، ومشيئته مرضية؟

(١) الشورى: ١١

(٢) البروج: ١٦

(٣) الزمر: ٧

قلنا نعم، إن المشيئة والإرادة والقصاء وجميع صفاته مرصية غير أن العمل الحاصل من العبد بمشيئته قد يكون مرضياً بحسب الطاعة، وقد يكون مسحوطاً غير مرصّي كالمعاصي، اعتبر هذا بالأعيان لأنه خلق بحسب الكافر بلا خلاف وليس يرضى بنفس الكفر، وكذلك الخمر والخناير فكذا هذا في الأفعال.

فإن قيل هل كان الله قادراً على أن يخلق لخلق كلهم مطيعين كالملائكة؟ قلنا نعم لقوله تعالى ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَاطِنَةُ فَنُوحِشْهُمْ لَهَا أَنْ يُدْعَى الْأَنْعَامُ﴾ (١)، وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِنَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ (٢).

إن الملائكة حلما للطاعة وهم معصومون عن المعاصي إلا هاروت وماروت فإيهما محصومان من بين الحملة، وانشياطين خلقوا للنشر إلا واحداً منهم قد أسلم ولقي النبي ﷺ هو هام بن هيم بن لاقيس بن رليج فعلمه الله سورة الواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت، وقل يا أيها الكافرون، والإخلاص، والمعوذتين، فإنه مخصوص من جملة الشياطين، وأما الإنس والجن فخلقوا على العطرة.

ثم اختلما في تفسير العطرة

قالت المعتزلة هي الإسلام، وعن هذا أن الكافر بكفره نبذ الإسلام وراه ظهره بعمله من غير مشيئة الله - وقد مر الكلام في المشيئة.

وقال أهل السنة والجماعة: إن العطرة كما قال الله تعالى: ﴿فَخَلَقَ اللَّهُ الْبَشَرَ عَلَى طَرَفِ النَّاسِ عَلَيْهِمْ﴾ (٣)، وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٤). الآية، أي خالقها، وقول النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة إلا أن أبواه يهودانه أو

(١) الأنعام: ١٤٩

(٢) المائدة: ٤٨.

(٣) الروم: ٣٠

(٤) طه: ١

ينصرانه أو يمجسانه حتى يعرب عنه لسانه إما شاكراً وإما كهوراً^(١) إما بحق وإما باطل، لو ترك على الخلق التي ود عليها لاستدل بها على حاله إلا أن أبويه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه أي يهبران سبياً لليهود والنصر، كما قال تعالى في شأن الأصم ﴿يُحْيِي الضُّلَّالَ مِنَ الْإِنْسَانِ﴾^(٢) أي حزن سبياً للصلالة؛ فإذا الإنس واحس حنعوا على صفة الإسلام لا على صفة الكفر، ثم من اهتدى فقد اهتدى بهداية الله، ومن ضل فقد ضل بإضلال الله كما قال تعالى ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٣)، فلهذا صفة الرب جلّت قدرته، والاهتداء صفة العبد، والإضلال صفة الرب تعالى، والضلّال صفة العبد، والرب بجميع صفاته خالق لم يزل لم يبد ولم يولد ولم يحدث له صفة على ما يشاء، والعبد بجميع صفاته مخلوق، ثم الإنس والجن غير معصومين إلا الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين فلاهم معصومون عن الكفائر؛ فلاهم لو لم يكونوا معصومين عنها لم يمكنوا عن الكذب، والكاذب لا يصلح للرسالة، وغير معصومين عن الصغائر لأن الله تعالى أثبت لهم مقام الشفاعة، فلو عصموا عن الصغائر لوقع الضعف في مقام الشفاعة؛ لأن من لم يُثبَل ببلية لم يرق على

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤٣٥/٣)، (٤١٤/٢)، والطبراني في الكبير (٢٨٣/١)، وأبو يعلى في مسنده (٩٤٢) من حديث الحسن البصري عن الأسود بن مريخ، وليس فيه «إما شاكراً وإما كهوراً»، قال الهيثمي في المجمع (٥٧٠/٥) «بعض أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح». اهـ. والحسن لم يسمع من الأسود بن مريخ كما في المراسيل لابن أبي حاتم (ص ٤٠)، وجامع التحصيل للعلائي (ص ١٦٣-١٦٤).

وقد ورد قوله «إما شاكراً وإما كهوراً» من حديث الحسن عن جابر عبد أحمد في مسنده (٣٥٣/٣)، وليس فيه «إلا أن أبويه يهودانه أو ينصرانه»، وقال الهيثمي في المجمع (٤٤١/٧) «فيه أبو جعفر الرازي وهو ثقة وفيه خلاف وبقية رجاله ثقات». اهـ. والحسن لم يسمع من جابر كما في المراسيل لابن أبي حاتم (ص ٣٨)، وجامع التحصيل (ص ١٦٣-١٦٤).

(٢) إبراهيم ٣٦

(٣) الحسن ٩٣

المبتلى، فهذا هو الحكم في زوال العصمة عن الأنبياء في الصفات، وبعض أصحابنا لم يلمظ الصغار وإنما يسمونها الرتل، ولا فرق بين اللمظتين في الحقيقة. قالت المعتزلة: الأنبياء معصومون عن الكبائر والصغائر؛ لأنهم لا يرون الشفاعة مع الرسل وهم الذين أوحى الله إليهم بجبريل عليه السلام، والأنبياء هم الذين لم يوحَ إليهم بجبريل وإنما أوحى إليهم بملك آخر أو أرى في المنام أو شيء آخر من الإلهام، ثم الرسل من له درجة الرسالة والنبوة جميعاً غير أنه لا يؤمر باستعمال ما ظهر له في درجة ما لم يروح جبريل بذلك يكون ذلك زلة صغيرة كما فعل ذلك داود عليه السلام وهو تروح امرأة أوريا من غير انتظار الرحي سجي. جبريل عليه السلام فكان ذلك زلة منه كما قال تعالى: ﴿وَوَلَّى دَاوُدَ أُنثَى فَتَنَّهُ فَاسْتَعَفَزَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾^(١) والمصطفى عليه السلام لما انتظر الوحي بجبريل في تروح امرأة زيد زيب ولم يتروح بها ظهر في درجة النبوة نجا من الزلة، قال تعالى في قصته: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِن يَدَيْهَا وَطَرَآؤُهَا بَلَغَتْهَا﴾.

فهذا هو الوجه في وقوع الأنبياء في الزلل والصغائر، وفيه وجه آخر وهو إن تركوا الأفضل ومالوا إلى العاقل - أي للمأخ - باجتهاد يكون ذلك زلة منهم كما أن آدم عليه السلام قال له ربه: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾^(٢)، ثم إن إبليس وسوس لها وقاسمها وناشدتها الله حتى نسي آدم من طريق الأفضل، وطمس أنه يحترم الله تعالى بقربان الشجرة فكان تاركاً للأفضل له، أن يرعى الأمر ولا يدخل في الاجتهاد فكان ذلك زلة منه حتى قال جل جلاله: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾^(٣)، هذا من الله تعالى على وجه الرجوع والتنبه لا على وجه تحقيق الكبيرة

(١) ص ٢٤.

(٢) الأحزاب ٣٧.

(٣) البقرة ٣٥.

(٤) طه ١٢١.

والعراية فيه، ألا ترى أن آدم لما انتبه مع حواء صلوات الله عليهما قالوا: ﴿زَيْنًا ظَلَفْنَا أَنْفُسَنَا﴾^(١) قال الرب جلّت قسرتة ﴿فَتَسَيَّ وَلَمْ تَجِدْ لَهُ عَرْمًا﴾^(٢) فهذان الوجهان في وقوع الأنبياء في الركن والصفاة.

ثم اختلفوا في تفضيل آدم ومحمد، قال بعضهم: آدم أفضل من محمد، وقال بعضهم: محمد أفضل من آدم، وهذا أصح من الأول، فهذا الاختلاف فيما بين مشايخنا، واختلف آخريّا وبين المعتزلة، قالت المعتزلة: الملائكة أفضل من المؤمنين، وقال أهل السنة والجماعة: إن المؤمنين أفضل من الملائكة؛ لأن المؤمنين ركب فيهم الهوى مع العقل، والملائكة ركب فيهم العقل دون الهوى، ولهذا يشاب المؤمنون على أعمالهم ولا ثواب لأعمال الملائكة، وحسنت المعتزلة أن الفصل بالأعمال حتى قالت بتفضيل الملائكة على المؤمنين، وليس كما حسنت بل الفصل بالتفضيل كما قال تعالى ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(٣) أضاف التفصيل إلى داته، وهذا اختلاف يرجع إلى اختلافنا معهم في تمييز الأعمال إلى العباد ونفي خلق أعمالهم وقد بينّا دليلنا في أسماء الأنبياء والمرسلين أبو بكر وعمر عليهما السلام، واختلفوا في عثمان وعبي عليهما السلام، قال بعضهم: عثمان أفضل من علي عليهما السلام، كما في مراتب الخلافة، وقال بعضهم: علي أفضل من عثمان، وقال بعضهم بتفضيل الشيخين وبعب الختتين، واختلفوا في تفضيل فاطمة وعائشة عليهما السلام، قال بعضهم: عائشة أفضل من فاطمة لأن درجتها مع النبي في الجنة، وقال بعضهم: فاطمة أفضل من عائشة لأن درجة عائشة إنما ارتفعت تبعاً للنبي عليه السلام.

(١) الأحرف: ٢٣.

(٢) طه: ١١٥.

(٣) البقرة: ٢٥٣.

باب آخر

قال الفقيه رحمه الله قد ذكرنا مسائل هذا الباب إلا مسألة واحدة وهي مسألة خلق الجنة والنار، قلنا مخلوقتان، وقالت اجهمية والمعتزلة هما غير مخلوقتين؛ لأن الله تعالى ليس بعاجز عن خلقهما فبخلقهما وقت افتراق الفريقين، وورد عليهم بقوله تعالى في شأن الجنة ﴿وَأَزَلَفْتُ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١)، وفي شأن النار بقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾^(٢)، ولأن قولهم يؤدي إلى تكذيب الله في خبره؛ لأنه تعالى خوف الكافرين بالنار ورعب المؤمنين في الجنة، والتخويف بالمعدوم والزعيب فيه لمع وعب - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وقوله في الكتاب. أمما شيء أم ليس شيء؟ هذا أيضاً يختلف فيه أن المعدوم شيء أم لا؟ قالت المعتزلة: هو شيء واحتجت بقوله تعالى ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾^(٣) والزلزلة معدومة فسيهاها الله شيئاً، إلا أننا نقول معناه: أن تكون الزلزلة شيئاً عظيماً وقت كونها ووجودها، لا أنه سيهاها في الحال شيئاً

فإن قيل. لو كان المعدوم يسمى معلوماً لوصفها الله بالجهل وحاشا أن يوصف الرب جل جلاله بالجهل، ولو سميناه شيئاً لقلنا بحدوث الأشياء بنفسها بقدومها وأرليتها، وهو معيه مذهب الدهرية والرنادقة والأفلاكية وهم أشر من الدواب وأخبثها؛ لأنهم ينكرون الصانع ويقولون بقدوم الدهر ويضيفون الأمور إلى الطبائع، فنرد عليهم مقول: بأن العالم محدث وأن له محدثاً، والدليل على هذا تغير الأشياء ونكوبها من حال إلى حال من رطوبة إلى يومية ومن صحة إلى سقم ومن قوة إلى ضعف ومن استواء إلى اهوجاج، فلو كانت

(١) الشراء ٩٠

(٢) البقرة ٢٤

(٣) الحج ١

نفسها لما تعبرت عن حالها فلما تعبرت عن حالها دل أن لها مغيرًا ومحدثًا.
وروي عن أبي حنيفة رحمه الله أنه باظر دهرًا وألقى عليه الحجة، فقال الدهري:
إيما تغيرت الأشياء من حال إلى حال لأن بها على الطوائع الأربعة: رطوبة
وبسوسة وبرودة وحرارة، فما دامت هذه الطوائع الأربع مستوية فصاحبها مستوي
أيضًا، ومتى علت طبيعة منها على سائرها رالت عن الاستواء فزال استواء
صاحبها أيضًا.

قال أبو حنيفة رحمه الله: أقررت بالصانع والمصروع والغالب والمغلوب من حيث
أنكرت؛ لأنك قلت: إحدى الطوائع تعلب على سائرها، وسائرها تصير مغلوبة،
فثبت أن للعالم غالبًا في الحكمة، فقد تعدى عن مآلنكم فقلنا الغالب ليس هو
إلا الصانع جلّت قدرته، الدهري يهذي فقال أبو حنيفة: لي أن أتكلم مع الخصم
حتى يهذي وليس لي أن أتكلم حتى يخرس لأن الإخراس معجزة والمعجزة
للأنبياء لا لغيرهم، فإذا الجنة والنار موجودتان ههنا والساعة لا تسمى شيئًا
لأنها غير مخلوقة وغير موجودة ههنا علقًا للمعتزلة؛ لأنها قالت: إن الساعة
مخلوقة إلا أنها لا تظهر للأحياء فإد مات الإنسان ظهرت له، واحتجت
بقوله لفظًا: «من مات فقد قامت قيامته» إلا أنا نقول: إن معناه أنه يظهر له
حال سعادته وشقاوته من صيق القبر وسعته وكوبه روضة من رياض الجنة أو
حفرة من حفر البيران وانتزاع الروح هل الإيمان أو هل الكفر، والدليل على ما
قلنا أن الساعة منتشرة في السماء والأرض غير مقنصرة فلو كانت موجودة
لكانت ظاهرة، قال أبو منصور: ما أهون القيامة في قول المعتزلة أنها موجودة فيها

(١) قال العراقي في تخرّيج الأحياء (٢٥ / ١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث
أنس بن مالك رضي الله عنه وأبو هريرة السعدي في المصنف (ص ٦٧٠) إلى السيلمي من
حديث أنس أيضًا.

بيتنا ولا تظهر أهوالها، واختلاف آخر في الحجة والبر أنها يميّزان عند الجهمية والقدرية والمعتزلة، إلا أن المعتزلة لا يصرحون بذلك، لأنهم يجعلون الثواب بإزاء الأعمال الصالحة والعقاب براء الكفر والمعاصي، والأعمال متناهية فكذلك ثوابها وعقابها إلا أنها ترد عليهم بقوله تعالى ﴿فَبِمَا أَجْرُ غَيْرِ مَمْنُونٍ﴾^(١)، وقال في نعم الحجة: ﴿لَا مَقْطُوعَ غَوْ وَلَا مَمْنُونَةٍ﴾^(٢).

فإن قيل، القول بقاء الحجة والبر على الأبد يؤدي إلى الشراكة في بقاء الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَابِكُمْ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(٣).

قلنا: هذا من ترهاتكم لأن الحجة والبر لم يكوسا فكانتا يتكويّن الله إياهما وتدومان بدوام الله إياهما أيضًا، وقوله لا يوصف الله تعالى بصفات المخلوقين ألتة، وقد ذكرنا الكلام في الصفات، وهو يعصب ويرصى لأن من لا يعصب ولا يرصى لا يكون أمرًا ولا نهيًا - تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا - غير أن غضبه ورضاه صفة لا هو ولا غيره، وقوله في الكتاب: غضبه عقوبته ورضاه ثوابه؛ لأن عقوبته بآله وثوابه جته ونهاية محذرتان، إلا أن عقوبته لما كانت بعصبه وتوانه لما كان برضاه جاز أن يقال: عصبه عقوبته ورضاه ثوابه.

• • •

(١) التين: ٦.

(٢) الواقعة ٣٣.

(٣) القصص ٨٨.

باب آخر

قد ذكرنا الإيمان مع تفاصيله وفروعه من قبل وقول ما هو في إصبعك، قد ذكرنا في الكتاب انتشار نور الإيمان أيضًا في جميع الأعضاء من قبل، وقوله: إذا قطعت الإصبع يذهب الإيمان منها إلى القلب

قلنا: نعم، وهذا صحيح لأن المعنى الذي قاربه الإيمان في الجسد هو لا يتجزأ فقام بذلك المعنى.

فإن قيل: إذا مات العبد أين يذهب إيمانه، يكون مع روحه أو يكون مع بدنه؟ قلنا: لا بهذا ولا بذلك، ولكن بالمعنى الذي صار به العبد أهلًا للإيمان ولأنه صار صالحًا لعبادة ربه في حال حياته وجعله صالحًا لعبادته بعد مماته.

فإن قيل: أين ذلك المعنى؟ قلنا: هو تنوير الله تعالى حقيقة على ما بيناه من قبل، فإن قيل: أين تذهب مائر أحواله؟ قلنا: اتصلت بثواب الله تعالى أو بعقابه.

فإن قيل: بأي شيء يُعرف الله؟ قلنا: فيه اختلاف، قال بعضهم: يعرف بالعقل، وبه قالت المعتزلة، وعن هذا قلوا: إن الإيمان بالتقليد لا يصح، وقالوا بكفر العوام لأن الناس عندهم في العقل سواء، وسروا عقول الكفرة والفجرة مع عقول الأنبياء والرسل والأولياء، وقالت الأشعرية يعرف الله بالله لا بغيره، وعن هذا قالوا: إن أحدًا لا يعرف الله حق معرفته وإن كان نبيًا مرسلًا أو ملكًا مقربًا وهو يعرف نفسه حق معرفته، وغيره من الملائكة والمؤمنين يخالون عنه ولا يتعجب منهم هذا لأنهم شاكون في إيمانهم

ونرد عليهم بقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَابِئًا بِأَلْفِ سِدَّةٍ﴾... الآية؛ فإله يئن شهادة نفسه والملائكة وأولي العلم؛ فمن

أوجب الشك في شهادة العبد فقد أوجب الشك في شهادة الرب أيضاً، وقال الله تعالى في شأن الكفر ﴿صَعَفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْبُوبُ﴾ (١) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ (٢) أي ما عرفوا الله حق معرفته، فمن قال بأن المؤمن لا يعرف الله حق معرفته فقد أوقع التسوية بين المؤمن والكافر وكفى به قسحاً وسيئاً

وأما مذهب أهل السنة والجماعة فهو أن الله يعرف بتعريفه بيان طريقه ودلائله، إليه أشار بقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (٣) وكما قال تعالى: ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ (٤) فإذا كانت المعرفة بتعريف الله ﷻ وقعت موقع الحقيقة، ولكن بحس لا تعدد حق عبادته، لأن لواحد ما وإن جمع عبادات أهل السموات والأرض وقوبلت تلك العبادات كلها منظر واحدة التزمته.

فإن قيل: إن العبادات بتوقيفه علم تقع موقع الحقيقة، قلنا لا نقول بأن العبادة الخالصة لا تقع موقع الحقيقة وليست هي بحق الله بل هي حق الله، ولكن معنى قولنا: لا يعبد حق عبادته أننا صنفاء عاجزون لا نتمكن من التقصير وإيماح الخلل في العبادة، وهذا المعنى مندوم في المعرفة، وبالله التوفيق تمت الرسالة بحمد الله وحسن توقيفه.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) الحج ٧٣-٧٤.

(٢) البلد ١٠.

(٣) الرمر ٢٢.



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی

كتاب شرح الفقه الأكبر

صنفه العلامة النبيل والفهامة الحليل الذي فاق الفضلاء من أبناء
زمانه واشتاق العلماء إلى استماع بيانه محيي الشريعة السوية والملة
الحنيفية علم الهدى:

الشيخ أبو المنتهى أحمد بن محمد المقتيساوي الحنفي.
برد الله مضجعه، وروح الله روحه في أعلى عليين.



مرکز تحقیقات کتاب و اطلاع رسانی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدا إلى طريق أهل السنة والجماعة بمصله العظيم، والصلاة والسلام على رسوله وحبيبه محمد الذي كان على خلق عظيم، وعلى آله وأصحابه الداعين إلى صراط مستقيم.

أما بعد! فيقول العبد الضعيف المذنب أبو المنتهى - عصمه الله الكبير الكريم من الخطايا والمعاصي ومن الاعتقاد العاصد اعفيم إن كتاب الفقه الأكبر الذي صنفه الإمام الأعظم كتاب صحيح مقبول، قد الشيع الإمام فخر الإسلام علي البردوي في أصول الفقه العلم بوعده علم التوحيد والصعوات، وعلم الفقه والشرائع والأحكام، والأصل في النوع الأول هو التمسك بالكتاب والسنة، ومجانبة أهوى والبدعة، ولروم طريق أهل السنة والجماعة، الذي كان عليه الصحابة والتابعون، ومضى عليه السلف الصالحون، وهو الذي عليه أدركنا مشايخنا، وكان على ذلك سلفنا، أعني أبنا حنيفة وأبا يوسف ومحمدًا وعمامة أصحابهم رحمهم الله تعالى.



والفقه الأكبر للإمام الأعظم رضي الله تعالى عنه»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أصل التوحيد وما يصح الاعتقاد فيه يجب أن يقول: آمست بالله وملائكته
وكتبه ورسوله والبعث بعد الموت والقدر خيره وشره من الله تعالى

وقد صنف أبو حنيفة رحمه الله في ذلك (الفقه الأكبر) وذكر فيه إثبات
الصعقات وإثبات تقدير الخير والشر من الله تعالى، وأن ذلك كله بمشيئة الله تعالى -
إلى هذا كلامه، فأردت أن أجمع كلمات من الكتاب والسنة ومن الكتب المعتمدة
حتى تكون شرحاً لهذا الكتاب الشريف اللطيف، قال الإمام الأعظم أبو حنيفة
رحمه الله: (أصل التوحيد) أي هذا الكتاب في بيان حقيقة التوحيد، وهو في
اللغة الحكم بأن الشيء واحد والعلم بأنه واحد.

وفي الاصطلاح: التوحيد هو توحيد الذات الإلهية عن كل ما يتصور في
الأمهام ويتحيل في الأوهام والأدهان

ومعنى كون الله تعالى واحداً نفى الانقسام في ذاته تعالى ونفى الشبيه والشريك في
ذاته وصفاته، والاعتقاد في قوله (وما يصح الاعتقاد عليه) يعنى العلم وهو حكم
جارم لا يقبل التشكيك، والاعتقاد المشهور وهو حكم جارم يقبل التشكيك، وبعد
البعض يعنى الظن أيضاً أي كما يعنى الاعتقاد المشهور؛ فإن الظن الغالب الذي لا يخطر
معه احتمال النقيض معتبر في الإيمان؛ فإن إيمان أكثر العوام كذلك، (يجب أن يقول)
بياء العمية أي يحرص على المعتقد أن يقول: (آمست بالله وملائكته وكتبه ورسوله
والبعث بعد الموت والقدر خيره وشره من الله تعالى).

قال: أن يقول، ولم يقل: أن يؤمن بالله، ليدل على أن الإقرار ركن في الإيمان؛

لأن أصل الإيها الإقرار والتصديق بالأشياء الستة المذكورة لقوله عليه السلام: «الإيها أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»^(١)، (والملائكة) عند أكثر المسلمين أجسام لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، منقسمة إلى قسمين: قسم شأهم الاستغراق في معرفة الحق والتتريه وهم العلويون والملائكة المقربون، وقسم يدبر الأمر من السماء إلى الأرض على ما سبق به القضاء وجرى القلم الإلهي، فمهم سهاوية ومنهم أرسية.

(وإيها بالكتب) هو التصديق بحارم بوحودها وأنها كلام الله تعالى، وجميع الكتب المرسلة على الرسل مائة وأربعة كتب، أرسل على آدم عليه السلام منها عشر صحائف، وعلى شيت عليه السلام خمسون صحيفة، وعلى إدريس عليه السلام ثلاثون صحيفة، وعلى إبراهيم عليه السلام عشر صحائف، والتوراة على موسى عليه السلام، والزبور على داود عليه السلام، والإنجيل على عيسى عليه السلام، والفرقان على نبي محمد ﷺ.

(والرسول) من له شريعة وكتاب فيكون أحسن من النبي، وعند بعض العلماء هو مرادف للنبي، وإيها لأرم بكل نبي سواء أرسل عليه كتاب أو لم ينزل، (والعث) هو أن يبعث الله الموتى من القبور بأن يجمع أجزأهم الأصلية ويعيد الأرواح إليهم، (القدر) مصدر بمعنى المقدور، والمقدور بمعنى القدر (خيره) مجرور، بدل من القدر بدل البعض من الكل (وشره) معطوف عليه؛ روي أن أبا بكر الصديق، وعمر بن الخطيب صنع باظرا في مسألة القدر فكان أبو بكر يقول: الحسبات من الله تعالى والسيئات من أنفسنا، وكان عمر يضيف الكل إلى الله ﷻ، فذكر أدلت لرسول الله ﷺ، فقال عليه السلام: «إِنَّ أَوَّلَ مَنْ

(١) أخرجه مسلم من حديث عمر بن الخطاب، وحديث معمر بن عمار من حديث أبي هريرة بنحوه، وقد تقدم ترجمته.

والحساب والميزان والجنة والنار وذلك، كله حق
والله تعالى واحد لا من طريق العدد ولكن من طريق أنه لا شريك له لم
يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد،

تكلّم بالقَدَر من جميع الخلق كلهم جبريل وميكائيل، فكان جبريل يقول مثل
مقاليتك يا عمر، وكان ميكائيل يقول مثل مقاليتك يا أبا بكر، فتحاكما إلى إسماعيل
ففضى بينهما أن القدر كُله خَيْرُهُ وَشَرُّهُ من الله تعالى، ثم قال **عليه السلام**: «وهذا قضائي
بينكما»، ثم قال: «يا أبا بكر لو أراد الله تعالى أن لا يصي أحداً لما خلق إبليس
عليه اللعنة»^(١)، (والحساب والميزان والجنة والنار كله حق) الميزان عبارة عما
يعرف به مقادير الأعمال، والعقل قاصر عن إدراك كيفيته، (والله تعالى واحد لا
من طريق العدد ولكن من طريق أنه لا شريك له)؛ قد يقال: واحد، ويراد به
نصف الاثنين وهو ما يفتح به العدد، وهذا معنى الواحد من طريق العدد، وقد
يقال: واحد، ويراد به أنه لا شريك له ولا نظير له ولا مثل له بحسب ذاته
وصفاته أو جميع ذلك، فإله تعالى واحد من معنى أن لا شريك له ولا نظير له
ولا مثل له في ذاته وصفاته (لم يلد) أي لا ولد له (ولم يولد) من الأب والأم،
هذا رد لقول النصارى واليهود في ولدية المسيح وعمره، وقول العلاسفة في تولد

(١) أخرجه البزار في مسنده (٢٤٩٦)، والطبراني في الأوسط (٢٦٤٨) من حديث عمرو بن
شعب عن أبيه عن جده قال: «سُئِلَ في المجمع (١٩٢/٧) شيخ البراء السكي عن سعيد لم
أعرفه، وبقي رجال البراء ثقات، وفي بعضهم كلام لا يضر» اهـ.
وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٢٧٤/١-٢٧٥) من حديث جابر، وقال: «هذا حديث
موضوع بلا شك، والتهمة به يحيى أبو ركره»، قال يحيى بن معين: «هو رجال هذه الأمة قال يس
عدي: كان يضع الحديث ويسرق» اهـ. وتعليه ابن حجر في لسان الميراث (٢٥٤/٦) فقال:
«مكننا نقل عن يحيى بن معين، ولم نجد ذلك منه، ويظهر في حكمه على هذا الحديث بالوضع،
وقد وجدت له شاهداً أخرجه البراء في مسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده» اهـ.

لا يشبه شيئاً من الأشياء من خلقه ولا يشبه شيء من خلقه، لم يزل ولا يزال بأسماؤه وصفاته الذاتية والمعلية؛ أما الذاتية فالحياة والقدرة والعلم والكلام

عقل من واجب الوجود فإن قولهم في ذلك باطل؛ لأن الله تعالى هو الصمد، يعني السيد الغني عن كل شيء الذي يفتقر إليه كل شيء سواء، (ولم يكن له كفواً أحد) أي ولم يكن شيء من الموجودات يماثله، وهو ليس بجسم فيقدر ويتصور وينقسم، ولا مجوهر فتحله الأعراض، ولا معرض فيحل في الخواهر (لا يشبه شيئاً من الأشياء من خلقه) أي لا يشبه الله تعالى شيئاً من المخلوقات والمخلوقات كلها له (ولا يشبهه شيء من خلقه) أي ولا يشبهه تعالى شيء من مخلوقاته، لا في الوجود لأنه لا واجب لذاته إلا الله وما سواه محسوس، ولا في العلم ولا في القدرة ولا في سائر الصفات مثابه، له وهو ظاهر.

اعلم أن الله تعالى واحد لا شريك له، قديم لا أول له، دائم لا آخر له، (لم يزل ولا يزال بأسماؤه وصفاته الذاتية والمعلية) أي لم يحدث له اسم من أسماؤه ولا صفة من صفاته، والفرق بين صفات الذات وصفات الفعل أن كل صفة يوصف الله تعالى بصلها فهي من صفات الفعل كالتالي، وإن كان لا يوصف بصلها فهي من صفات الذات كالحية والعزة والعلم، وفي الفتاوى الظهيرية: إن حلف على صفات الله تعالى ينظر إلى تلك الصفة إن كانت من صفات الذات يكون يميناً وإن كانت من صفات الفعل لا يكون يميناً، فإذا قال: وعزة الله تعالى يكون يميناً لأن الله تعالى لا يوصف بصلها، ولو قال: بنصب الله تعالى، وسخط الله تعالى لا يكون يميناً لأن الله تعالى يوصف بصلها وهو الرحمة.

(أما صفاته الذاتية فالحية) فإن الله تعالى حي بحياته التي هي صفة أزلية، (والقدرة) فإنه تعالى قادر على كل شيء بقدرته التي هي صفة أزلية، (والعلم) فإنه تعالى عالم بجميع الموجودات ويعلم لجهر وما يخفى بعلمه الذي هو صفة

والسمع والبصر والإرادة، وأما العملية، فالتحليق والترزيق والإشياء والإبداع والصنع وغير ذلك من صفات العمل، لم يرل ولا يزال بصفاته وأسمائه، لم يحدث له صفة ولا اسم

أزلية، (والكلام) فإنه تعالى متكلم بكلامه الذي هو صفة أزلية، وكلام الله تعالى لا يشبه كلام الخلق لأنهم يتكلمون بالآلات والحروف، والله تعالى يتكلم بلا آلة ولا حروف، (والسمع) فإنه تعالى سميع بالأصوات والكلمات بسمعه القديم الذي هو له صفة أزلية، (وابصر) فإنه تعالى بصير بالأشكال والألوان ببصره القديم الذي هو له صفة في الأزل، (والإرادة) فإنه تعالى مريد بإرادته لقديمة ما كان وما يكون؛ فلا يكون في الدنيا ولا في الآخرة شيء صغير أو كبير قليل أو كثير خير أو شر مع أو صر فور أو حسر ان زيادة أو نقصان إلا بإرادته ومشيئته، فما شاء الله تعالى كان وما لم يشأ لم يكن، والله تعالى فعال لما يريد لا راد لإرادته ومشيئته ولا معقب لحكمه، ومن صفاته الذاتية الأحدية والصدية والعظمة والكبرياء وغيرها.

(وأما) صفاته (العملية) فالتحليق والترزيق والإشياء والإبداع والصنع وغير ذلك من صفات العمل) كالإحباء والإماتة والإبسات والإنشاء والتصوير وغيرها، والتحليق والإشياء والصنع بمعنى واحد وهو إحداث الشيء بعد أن لم يكن سواء كان على مثال سابق أو لا، والإبداع إحداث الشيء بعد أن لم يكن على مثال سابق، والترزيق: إحداث رزق لشيء وتمكينه من الانتفاع به.

(لم يرل ولا يزال بصفاته وأسمائه) يعني أن الله تعالى مع صفاته وأسمائه كلها أزلي لا بداية له وأبدي لا نهاية له، (لم يحدث له صفة ولا اسم) لأنه لو حدث له تعالى صفة من صفاته أو زالت عنه فكان قبل حدوث تلك الصفة وبعد زوالها ناقصاً وهو محال، فثبت أنه لم يحدث له صفة ولا اسم لأن من كان له علم في

لم يزل عالمًا بعلمه والعلم صفة في الأزل، وقادرًا بقدرته والقدرة صفة في الأزل، ومتكلمًا بكلامه والكلام صفة في الأزل، وخالقًا بتخليقه والتخليق صفة في الأزل، وفاعلًا بفعله والفعل صفة في الأزل، والفاعل هو الله تعالى والفعل صفة في الأزل والمفعول محبوق وفعل الله تعالى غير مخلوق.

وصفاته في الأزل غير محدثة ولا محسوقة، ومن قال إنها مخلوقة أو محدثة أو

الأزل كان عالمًا في الأزل، (لم يزل عالمًا بعلمه والعلم صفة في الأزل) أي في القدم، (وقادرًا بقدرته والقدرة صفة في الأزل، ومتكلمًا بكلامه والكلام صفة في الأزل، وخالقًا بتخليقه والتخليق صفة في الأزل، وفاعلًا بفعله والفعل صفة في الأزل)؛ العمل بالفتح مصدر وبالكسر نسيم، وهذا بالفتح بمعنى الكسب والتخليق والإيجاد، وقول الإمام الأعظم: لم يزل عالمًا بعلمه.. إلخ يرد قول المعتزلة، فإنهم قالوا: صفات الله عين ذاته وهو عالم قادر بمجرد الذات لا بالعلم والقدرة، ويكفي لنا دليلًا قول الإمام الأعظم ومائة أئمة الهدى والدين من أهل السنة والجماعة، ونقول كما قال هؤلاء الأئمة رحمهم الله: صفات الله تعالى ليست عين ذاته ولا غير ذاته ولا يجب علينا الاستقصاء في مثل هذه المسألة.

(والفاعل هو الله تعالى والفعل صفة في الأزل، والمفعول مخلوق وفعل الله تعالى غير مخلوق) يعني أن الله تعالى إذا فعل شيئًا يفعله بفعله الذي هو له صفة أزلية لا بفعل حادث؛ لأن الحادث هو أثر فعله لا فعله بخلاف المفعول فإنه محل لوقوع أثر الفعل وهو مخلوق بالاتفق بلا خلاف، (وصفاته) مبتدأ (في الأزل) خبره، أي صفاته الذاتية والفعلية ثابتة في الأزل (غير محدثة) خبر بعد خبر، (ولا مخلوقة) عطف تفسير، (ومن قال إنها) أي صفاته ذاتية كانت أو فعلية (مخلوقة أو محدثة أو وقف) وهو أن لا يحكم بوجود الصفات ولا بعدمها إمّا لمعاد أو

وقف أو شك فيهما فهو كافر بالله تعالى، والقرآن كلام الله تعالى في المصاحف مكتوب وفي القلوب محفوظ وعلى الألسن مقروء وعلى النبي عليه الصلاة والسلام مرسل، ولغظنا بالقرآن محبوق وكتابت له مخلوقة وقراءتنا له مخلوقة، والقرآن غير مخلوق، وما ذكر الله تعالى في القرآن حكاية عن موسى وغيره من

لجهل (أو شك فيهما) أي في وجود صفته أو أربيتها، والشك في اللغة خلاف اليقين، واليقين العلم وزوال الشك، وإنما قال الإمام الأعظم (هو كافر بالله تعالى) لأن الإيهام هو التصديق بمعنى إذعان القلب وقبوله لوجود الساري تعالى ووحدانيته وسائر صفاته فإن صفته تعالى من حلة المؤمن به؛ فممن لم يؤمن بها يكون جاهلاً بالله تعالى وصفاته كافرًا به وأسباه، (والقرآن كلام الله تعالى) وهو في اللغة مصدر بمعنى الجمع والضم يقال: قرأت الشيء قرأتًا، أي جمعته جمعًا، وبمعنى القراءة، يقال: قرأت الكتاب قراءةً وقرأتًا؛ فالقرآن ما يجمع السور ويضمها ولهذا سمي قرآنًا فيكون بمعنى اسم الفاعل، ويجوز أن يكون القرآن بمعنى المقروء لأنه يقرأ ويُنزل فيكون مصدر بمعنى اسم المفعول، والمراد به هاهنا كلام الله تعالى الذي هو صفته لا المطبوع العربي، وقيل: هو النظم والمعنى جميعًا (في المصاحف مكتوب) مع مصحف بضم الميم يعني أن كلام الله تعالى الذي صفته تعالى مكتوب في المصاحف بواسطة الحروف (وفي القلوب محفوظ) أي بالألفاظ المخيلة (وعلى الألسن مقروء) أي بالحروف الملفوظة المسموعة (وعلى النبي عليه الصلاة والسلام مرسل) أي بالحروف الملفوظة المسموعة بواسطة الملك (ولغظنا) أي تلغظنا (بالقرآن مخلوق) وكتابتنا له مخلوقة، وقراءتنا له مخلوقة) لأن ذلك كله من أفعالنا، وأفعالنا كلها مخلوقة بتخليق الله تعالى، (والقرآن) أي كلام الله تعالى (غير مخلوق) والحروف والكافة والكتابة كلها مخلوقة لأنها أفعال العباد، وكلام الله تعالى غير مخلوق؛ لأن الكتاب والحروف

الأنبياء عليهم السلام وعن فرعون وإبليس فإن ذلك كله كلام الله تعالى إيجاباً عنهم، وكلام الله تعالى عبر مخلوق، وكلام موسى وغيره من المخلوقين مخلوق، والقرآن كلام الله تعالى فهو قديم لا كلامهم،

والكلمات والآيات كلها آلة القرآن لحاجة العباد إليها، وكلام الله تعالى قائم بذاته، ومعناه مفهوم بهذه الأشياء، فمن قال بأن كلام الله تعالى مخلوق فهو كافر بالله العظيم، ومن قال: القرآن مخلوق، وأراد به الكلام اللفظي القائم بذات الله - كما هو مذهب الكرامية - يكون كافراً، لأنه نفى الصفة الأزلية وجعل الباري تعالى محلاً للحوادث، ومحل الحوادث حادث، ومن قال القرآن مخلوق، وأراد به نفي الكلام الأزلي يكون كافراً، ومن قال: القرآن مخلوق، وأراد به الكلام اللفظي النير القائم بذات الله تعالى ولم يرد فيه نفي الكلام الأزلي لا يكون كافراً لكن هذا الإطلاق خطأ لأنه يوهم الكفر.

(وما ذكر الله تعالى في القرآن حكاية عن موسى وغيره من الأنبياء عليهم السلام وعن فرعون وعن إبليس فإن ذلك كله كلام الله تعالى إيجاباً عنهم، وكلام الله تعالى عبر مخلوق وكلام موسى وغيره من المخلوقين مخلوق، والقرآن كلام الله تعالى فهو قديم لا كلامهم) يعني أن ما ذكره الله تعالى في القرآن إيجاباً عن موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وفرعون وإبليس، فإنما قال ذلك بكلامه القديم الذي كتب الكلمات الدالة عليه في النوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض لا بكلام حادث وعلم حادث حاصل بعد سمعه منهم، والإخبار: نقل المعنى لا باللفظ؛ لأن كلام موسى وغيره من المخلوقين مخلوق وكلام الله تعالى غير مخلوق، ويؤيده أن قدر ثلاث آيات من القرآن بالغ حد الإعجاز وليس ذلك من البشر، ومن المعلوم أن ما نقل عن المخلوقين في القرآن يزيد على قدر ثلاث آيات، فيكون القرآن كلام الله تعالى لا

وسمع موسى **القول**: كلام الله تعالى كما في قوله تعالى: «وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَحْكِيمًا» (النساء ١٦٤)

وقد كان الله تعالى متكلمًا ولم يكن كلم موسى **القول**، وقد كان الله تعالى خالقًا

كلامهم؛ فإذا لا فرق بين القصص المذكورة في القرآن وبين آية الكرسي وسورة الإخلاص في كون كل واحدة منها كلام الله تعالى

(وسمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى) يعني سمع موسى عليه السلام من الله تعالى - بلا واسطة - كلامه انقديم القائم بذاته تعالى (كم) جاء (في قوله تعالى: «وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَحْكِيمًا») والله تعالى قادر أن يسكن المخلوق من الجهات أو الجهة الواحدة بلا آلة ويسمعه بالآلة كالخرف والصوت لاحتياجه إليها في فهمه كلامه الأزلي فإنه على ذلك قدير لأنه على كل شيء قدير، قيل: كان موسى عليه السلام إذا كلمه الله تعالى سمع كلامه من باطن الفهم الذي كان كالعمود وقد يعشاء الفهم، (وقد كان الله تعالى متكلمًا ولم يكن كلم موسى عليه السلام) بأن قال لموسى في الأزل بلا صوت ولا حرف: «يا موسى إني أنا ربك فاخضع لعليك»، «فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ بِمُوسَى ﴿١﴾ إِنْ أَنَا رَبُّكَ فَخَلْعْ نَعْلَيْكَ ﴿٢﴾» (١) والله تعالى علم في الأزل أنه يرسل القرآن على محمد ويحبره بقصص الأنبياء وغيرهم ويأمرهم وينهاهم

ولما بين الإمام الأعظم الأمر في صفة الكلام من أنه لا يتوقف على حصول المخاطب أراد أن يبين الأمر في سائر الصفات كذلك دفعًا لتوهم اختصاص هذا الحكم بصفة الكلام فقال: (وقد كان الله تعالى خالقًا في الأزل ولم يخلق الخلق) واكتفى بالصفة الفعلية ولم يذكر غيرها من الصفات الداتية لأن توقف الصفة

في الأزل ولم يخلق الخلق، فلما كلم الله موسى كلمه بكلامه الذي هو له صفة في الأزل، وصفاته كلها بخلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا ويرى لا كرؤيتنا، ويتكلم لا ككلامنا، ويسمع لا كسمعنا، ونحن نتكلم بالآلات والحروف، والله تعالى يتكلم بلا آلة وحروف، والحروف مخلوقة وكلام الله تعالى غير مخلوق.

العملية على وجود المتعلق أظهر من الصفة الذاتية فيعلم حال الصفة الذاتية بالطريق الأولى، واختار من الصفات المعية التحليق لأنه أهم لوجوده في ضمن كل صفة، ولما دفع الوهم هاد إلى تحقيق ما هو بصدده، فقال: (فلما كلم الله موسى كلمه بكلامه الذي هو له صفة في الأزل) لأن كلامه أزل أبدي لا يتغير ولا يتبدل. ولما لم تشبه صفاته تعالى صفات الخلق كما لا تشبه ذاته تعالى ذوات الخلق قال الإمام الأعظم: (وصفاته كلها) ذاتية كانت أو فعلية (بخلاف صفات المخلوقين) وذلك لأنه تعالى (يعلم لا كعلمنا) لأن علمنا حادث لا يخلو من معارضة الوهم، وعلمه تعالى قديم لجل أنه يكون ضرورياً أو كسبياً أو تصورياً أو تصديقاً، (ويقدر لا كقدرتنا) لأن قدرته تعالى كديمة ومؤثرة بالإيجاد، وقدرتنا حادثة غير مؤثرة ونحن لا نقدر إلا على بعض الأشياء بالآلات والأسباب والأنصار، والله تعالى قادر بقدرته القديمة على جميع الأشياء بالآلة ولا بمشاركة غيره، (ويرى لا كرؤيتنا) لأننا نرى الأشكال والألوان بالآلات والشروط. والله تعالى يرى الأشكال والألوان ببصره الذي هو صفته في الأزل لا بالآلة ولا بشروط من زمان ومكان وجهة ومقابلة، (ويتكلم لا ككلامنا) لأننا نتكلم بالآلات والشروط وهو يتكلم بلا آلة ولا شروط (ويسمع لا كسمعنا) لأننا نسمع بالآلات والشروط، والله تعالى يسمع الأصوات والكلمات كلها بسمعه القديم لا بالآلة من أدن وصباح ولا بشرط من زمان ومكان وجهة وقرب وبعد، (ومن نتكلم بالآلات والحروف) والله تعالى يتكلم بلا آلة ولا حروف والحروف مخلوقة) لأن المؤلف من المخلوق مخلوق (وكلام الله تعالى غير مخلوق)

وهو شيء لا كالأشياء، ومعنى الشيء الثابت بلا جسم ولا جوهر ولا عرض ولا حده ولا صده ولا مدله ولا مثله له، وله يد ووجه ونفس كما ذكره الله تعالى في القرآن، فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له لأن كلامه تعالى قديم قدام سادات الله تعالى لا يقبل الاتصال والافتراق بالانتقال إلى القلوب والأذان، (وهو شيء) لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ﴾^(١) (كالأشياء) بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٢) (ومعنى الشيء الثابت) ومعنى الثابت الموجود، وفي أكثر السح إثباته أي إثبات ذلك الشيء أي أن نشئ (بلا جسم) هـ يدل لقوله لا كالأشياء، لأن كل جسم منقسم وكل منقسم مركب وكل مركب محدث وكل محدث محتاج إلى المحدث، فكل جسم ممكن محتاج إلى واجب لوجوده، (ولا جوهر) لأن الجوهر يكون محلاً للأعراض والحوادث، والله تعالى منزّه عن ذلك، (ولا عرض) لأن العرض لا يقوم بذاته بل يعتمد على محل يقوم به فيكون كمكناً، (ولا حده) لأن الحد تعريف لماهية بذكر أجزائها، وواجب الوجود فرد لا جزء له فيمتنع أن يكون له حد، والحد قد يكون بمعنى النهاية، ولا نهاية لله تعالى، (ولا صده) أي لا نظير له ولا كفه له، (ولا مدله) البد بالكسر المثل والنظير، (ولا مثله له) أي لا شريك له في النوع لأنه لا نوع له كما لا جسم له، والمهتدة الاشتراك في النوع، فإذا قيل هما منبئان، كان معناه أنهما متفقان في الماهية والنوعية، (وله يد ووجه ونفس) كما ذكره الله تعالى في القرآن بقوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٣) وبقوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾^(٤) وبقوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي

(١) الأنعام: ١٠٩

(٢) الشورى: ١١

(٣) الفتح: ١٠

(٤) الرحمن: ٢٧

صفات بلا كيف، ولا يقال إن يده قدرته أو نعمته لأن فيه إبطال الصفة وهو قول أهل القدر والاعتزال،

نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ»^(١).

وفي بعض النسخ: (فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف) أي أصلها معلوم ووصفها مجهول لنا؛ فلا يبطل الأصل المعلوم بسبب التشابه والعجز عن درك الوصف، وروي عن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى أن الكيفية مجهولة والحديث منها بدعة، (ولا يقال: إن يده قدرته أو نعمته؛ لأن فيه) أي في هذا القول (إبطال الصفة) التي دل على ثبوتها القرآن (وهو)، أي إبطال الصفة (قول أهل القدر والاعتزال) عطف الخاص على العام لأن أهل القدر هم المعتزلة والإمامية من الشيعة؛ فكل المعتزلة قدرية وليست كل قدرية معتزلة.

قال رسول الله ﷺ: «لِكُلِّ أُمَّةٍ جُورٌ وَمَجْرُسٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا قَدْرَ، مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ فَلَا تُشْهَدُوا جَازَتَهُ وَمَنْ تَرَضَّ مِنْهُمْ فَلَا تَمُودُوهُمْ وَهُمْ شِبَعَةُ الدُّجَالِ وَحَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُلْحَقَهُمْ بِالْجَحَالِ»^(٢) صدق رسول الله، وقال عليه الصلاة والسلام: «الْإِيمَانُ بِالْقَدْرِ يُلْهَبُ لَهُمُ وَالْحَزَنُ»^(٣) صدق حبيب الله.

(١) المائدة: ١١٦

(٢) أخرجه أبو داود ح (٤٦٩٦)، وأحمد في مسنده (٤٠٦/٥) من طريق عمر بن مولى هفيرة، عن رجل من الأنصار، عن حذيفة به

قال ابن الجوزي في العلل المتناهية (١٥٧/١) «هذا حديث لا يصح قال ابن حبان مولى هفيرة لا يحتج به كان يقلب الأخبار»

(٣) أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (١٥٦/١) من طريق السري بن عاصم، عن محمد بن مصعب، عن الأوراعي، عن حذيفة، عن أبي هريرة به. وقال: «هذا لا يصح عن رسول الله ﷺ»

ولكن يده صفته بلا كيف، وعصه ورصاه صفتان من صفات الله تعالى بلا كيف، خلق الله تعالى الأشياء لا من شيء، وكان الله تعالى عالماً في الأزل بالأشياء قبل كونها، وهو الذي قدر الأشياء وقصاها،

(ولكن يده صفته بلا كيف) وكذا وجهه ونفسه قال الشيخ الإمام فحر الإسلام علي البردوي في أصول الفقه وكذلك إثبات اليد والوجه عندنا معلوم بأصله متشبه بوصفه، ولن يجوز يبدل لأصل بالعجز عن درك الوصف، وإنما ضلت المعترلة من هذا الوجه فإهم ردوا الأصول لجهلهم بالصفات، (وعصيه ورصاه صفتان من صفاته تعالى بلا كيف) أي بلا سائر الكيفية؛ فإن كَيْفِيَّتَها مجهولة لأن عصيه ورصاه لا يشبه بعصيه ورصاه؛ فإن العصب مّا عليّان دم القلب، والرضا امتلاء الاحتيار حتى يمتصّي إلى الطاهر؛ فهما من الكيفيات القصائية كالمرح والسرور والمثق والتعب، فإن كلها تانع للمراح المستلزم للتركيب المادي لوجوب الذات

(خلق الله تعالى الأشياء لا من شيء) يعني خلق الله تعالى الموجودات كلها لا من مادة (وكان الله تعالى عالماً في الأزل بالأشياء قبل كونها) أي قبل حدوثها (وهو الذي قدر الأشياء وقصاها) تعليل للنقول السابق، والواو الأولى للحال؛ فكانه قال وكيف لا يكون عالماً في الأزل بالأشياء قبل وقوعها والحال أنه تعالى هو الذي قدر الأشياء وقصاها، وتقدير الأشياء وقصاؤها لا يكون إلا قبل وقوعها، والقضاء والتقدير لا يكون إلا مع العلم. قيل في معنى قدرنا: كتبنا،

قال ابن عيني: كان السري يسرق، الحديث، وقال ابن حبان لا يجل الاحتجاج به، وقال مجيب

محمد بن مصعب ليس بشيء، هـ. هـ.

وأخرجه القفطي في مسند الشهاب ح (٢٧٧) من طريق المزاحم بن عوام عن الأوراعي به

ولا يكون في الدنيا ولا في الآخرة شيء إلا بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره،
وكتبه في اللوح المحفوظ ولكن كتبه بالوصف لا بالحكم.

قال الزجاج: معنى قدر ما دبرناه، وأصل القضاء إتمام الشيء قولاً كقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾^(١) أو فعلاً كقوله تعالى: ﴿فَقَضَيْنَاهُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢) كذا في تفسير القاضي.

(ولا يكون في الدنيا ولا في الآخرة شيء) من الجواهر والأعراص (إلا بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره وكتبه في اللوح المحفوظ) قال رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقَالَ الْقَلَمُ: مَاذَا أَكْتُبُ يَا رَبُّ؟» فقال الله تعالى: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة»^(٣) (ولكن كتبه بالوصف لا بالحكم) يعني كتب في اللوح المحفوظ كل شيء بأوصافه من الحسن والقبح والطول والعرض والصغر والكبر والقلّة والكثرة والخفة والثقيل والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والطاعة والمعصية والإرادة والقدرة والكسب وغير ذلك من الأوصاف والأحوال والأحلاق، ولم يكتب فيه شيء بمجرد الحكم بوقوعه بلا وصف ولا سبب؛ مثلاً لم يكتب فيه: ليكن زيد مؤمناً وليكن عمرو كافراً، ولو كتب كذلك لكان زيد مجبوراً على الإيمان وعمرو مجبوراً على الكفر، لأن ما حكم الله تعالى بوقوعه فهو يقع ألبتة، والله تعالى يحكم لا معقب لحكمه، ولكن كتب فيه أن زيداً يكون مؤمناً باختياره وقدرته، ويريد الإيمان ولا يريد الكفر،

(١) الإسراء: ٢٣.

(٢) فصلت: ١٢.

(٣) أخرجه أبو داود ح (٤٧٠٠)، والترمذي ح (٣٣١٩، ٢١٥٥) من حديث عبادة بن الصامت، وقال الترمذي في الموضع الأول: حديث غريب من هذا الوجه، وقال في الموضع الثاني: «حديث حسن غريب». اهـ.

والقصاء والقدر والمشيئة صفاته في الأول بلا كيف، يعلم الله تعالى المعلوم في حال عدمه معدوماً ويعلم أنه كيف يكون إذا أوجده، ويعلم الله الموجود في حال وجوده موجوداً ويعلم أنه كيف يكون فاضلاً، ويعلم الله القائم في حال قيامه قائماً وإذا فقد علمه قاعدة في حال قعوده من غير أن يتغير علمه أو يحدث له علم ولكن التعبير والاختلاف يحدث عند المخلوقين. خلق الله تعالى الخلق سلبياً من الكفر والإيمان ثم خاطبهم وأمرهم

وكتب فيه أن عمراً يكون كافراً باختياره وقدرته، ويريد الكفر ولا يريد الإيمان، فالمراد من قول الإمام الأعظم: ولكن كتبه بالوصف لا بالحكم؛ هو نفى الحر في أفعال العباد وإبطال مذهب الحرية

(والقصاء والقدر والمشيئة صفاته في الأول بلا كيف) أي بلا بيان كيفية؛ يعني أن أصل هذه الصفات ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة إلا أنها من المشابهات، وما يعلم تأويلها إلا الله علوصافها مجهولة لا طريق للعقل أن يدركها بالاجتهاد، وكذلك كل صفة الله تعالى إذا لا يشبه صفات الخلق كما لا يشبه ذاته ذوات الخلق (يعلم الله تعالى المعلوم في حال عدمه معدوماً ويعلم أنه كيف يكون إذا أوجده، ويعلم الله الموجود في حال وجوده موجوداً ويعلم أنه كيف يكون فاضلاً، ويعلم الله القائم في حال قيامه قائماً وإذا فقد علمه قاعدة في حال قعوده من غير أن يتغير علمه أو يحدث له علم، ولكن التعبير والاختلاف يحدث عند المخلوقين) يعني أن الله تعالى يعلم الأشياء بعلمه القديم الأزلي؛ لم يرل موصوفاً به في أول الأزل لا بعلم متجدد، ولا يتغير علمه بتغير الأشياء واختلافها وحدوثها، وعلمه تعالى واحد والمعلومات متعددة.

(خلق الله تعالى الخلق سلبياً) أي حايلاً (من الكفر والإيمان) اللذين يكسبهما في الدنيا (ثم خاطبهم) عند البلوغ مع العقل (وأمرهم) بالإيمان والطاعة

فكفر من كفر، وإنكاره وجحوده، الحق بخذلان الله تعالى إياه، وآمن من آمن بعمله وإقراره وتصديقه بتوفيق الله تعالى إياه وبصرته له. أخرج ذرية آدم من صلبه فجعلهم عقلاء فحاطبهم وأمرهم بالإيمان ونهاهم عن الكفر فأقروا له بالربوبية فكان ذلك منهم إيماناً، فهم يولدون على تلك الفطرة،

(وسأهم) عن الكفر والعصيان (فكفر من كفر بعمله) الاختياري (وإنكاره وجحوده الحق) الجحود الإنكار مع العلم بكونه حقاً (بخذلان الله تعالى إياه) يعني ذلك الإنكار والجحود بسبب خذلان الله تعالى من كفر، في مختار الصحاح: خذله خذلاناً بالصم وخذلاناً بكسر الخاء ترك عونه وبصرته (وآمن من آمن بعمله) الاختياري (وإقراره) باللسان (وتصديقه) بالجان (بتوفيق الله تعالى إياه وبصرته له) التوفيق عبارة عن التأليف والتوفيق بين إرادة العبد وبين قضاء الله تعالى وقدره، وهذا يشمل الخير والشر وما هو سعادة وما هو شقاوة، ولكن جرت العادة لتحصيل اسم التوفيق بما يوافق السعادة من جملة قضاء الله تعالى وقدره كما أن الإلحاد عبارة عن الميل فحصر بمن يميل إلى الباطل - كلها في إحياء العلوم.

(أخرج ذرية آدم من صلبه فجعلهم عقلاء فحاطبهم وأمرهم بالإيمان وسأهم عن الكفر فأقروا له بالربوبية فكان ذلك منهم إيماناً فهم يولدون على تلك الفطرة) أي الإيمان، وإنما ساء الفطرة لأنهم بطروا عليه، والفطرة الخلقة اتفقت عامة المفسرين وجمهور الصحابة والتابعين على إخراج ذرية آدم من ظهره وأخذ الميثاق عليهم في عصره، ومنهم من يقول: عرض ذلك على الأرواح دون الأبدان، فإن قيل: ما وجه إلزام الحجة بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا جَعَلْتُكُمْ أَفْئِدَةً فَلَمَّا أَتَى شَهِدَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾^(١) ونحن لا نذكر

ومن كفر بعد ذلك فقد بدل وغير، ومن آمن وصدق فقد ثبت عليه وداوم، ولم يجر أحدا من خلقه على الكفر ولا على الإيمان، ولا خلقهم مؤمنا

هذا الميثاق وإن تذكرنا؟ قلنا: أساء الله ذلك ابتداء لأن الدنيا دار غيب وعليها الإيمان بالغيب، ولو تذكرنا ذلك الميثاق لرواى الابتداء، وما يُنسى لا تزول به الحجة ولا يثبت به العذر؛ قال الله تعالى في أعمالنا: ﴿أَخَصَّنَا اللَّهُ وَتَسْوَهُ﴾^(١) وجدد الله هذا العهد وذكرنا هذا، في إرسال الرسل وإنزال الكتب فلم يثبت العذر كذا في التفسير الشهير (ومن كفر بعد ذلك فقد بدل وغير) أي بدل وغير إيمانه القطري بالكفر الذي اكتسبه باختياره بعد اللوع (ومن آمن وصدق) بعد حروجه إلى دار التكليف وصيرورته عبقلا (فقد ثبت عليه) أي على إيمانه القطري الذي حصل له يوم الميثاق (وداوم) على ذلك الإيمان، فإن قيل: هذا يناقض قوله أولا: خلق الله الخلق سلبا من الكفر والإيمان، قلنا: معناه خلق الله الخلق سلبا من الإيمان الكسبي متصفا بالإيمان القطري، قال النبي ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَاهُ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»^(٢)، وهذا دليل على أن أطفال المسلمين وأطفال الكافرين مؤمنون بالإيمان القطري (ولم يجر أحدا من خلقه على الكفر ولا على الإيمان) يعني أن الله تعالى لا يخلق الكفر ولا الإيمان في قلب العبد بطريق الجبر ولا إكراه بل يخلقهما باختيار العبد ورضاه ومحبه؛ ألا ترى أن الإيمان محبوب للمؤمن والكفر مكروه ومبغوض ومنفور له محبوب للكافر (ولا خلقهم مؤمنا) أي لا يخلق الله تعالى الخلق مؤمنا بالإيمان

(١) المجادلة ٦.

(٢) أخرجه البخاري ح (١٣٨٥)، ومسلم ح (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة به.

ولا كافراً ولكن خلقهم أشخاصاً، والإيمان والكفر فعل العباد، ويعلم الله تعالى من يكفر في حال كفره كافراً فإذا آمن بعد ذلك علمه مؤمناً في حال إيمانه وأحبه من غير أن يتغير علمه وصفته وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة والله تعالى خالقها، وهي كلها بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره والطاعات كلها كانت

الكسبي (ولا كافراً) بالكفر الكسبي (ولكن خلقهم أشخاصاً، والإيمان والكفر فعل العباد) يعني أن الكفر والإيمان والطاعة والعصيان من أفعال العباد (ويعلم الله تعالى من يكفر في حال كفره كافراً فإذا آمن بعد ذلك علمه مؤمناً في حال إيمانه وأحبه من غير أن يتغير علمه وصفته) لأن كل متغير حادث وكل حادث محتاج إلى محدث عالم قادر حي مختار؛ فلو كان علمه تعالى متغيراً لكان حادثاً، ولزمه أن يكون الله تعالى معللاً لمحوادث - تعالى عن ذلك علواً كبيراً (وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة، والله تعالى خالقها) الكسب في اللغة طلب الرزق، وأصله الجمع، وفي الاصطلاح: تعلق إرادة العبد وقدرته بعمله، فحركته باعتبار نسبتها إلى قدرته وإرادته تسمى مكسوباً، وباعتبار نسبتها إلى قدرة الله تعالى وإرادته تسمى مخلوقاً، وكذا مكونه؛ فحركته وسكونه خلق للرب ووصف للعبد وكسب له، وقدرته العبد وإرادته خلق للرب ووصف للعبد وليس بكسب له، وإلى هذا أشير في شرح المقاصد (وهي) أي أفعال العباد من الإيمان والكفر والطاعة والمعصية (كلها بمشيئته) أي بمشيئة الله تعالى (وعلمه وقضائه وقدره) قال النبي ﷺ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَبَرِ»^(١)، أعلم أن مذهب المعتزلة أن الله تعالى يريد الإيمان

(١) أخرجه مسلم ج (٢٦٥٥) من حديث ابن عمر به.

واجبة بأمر الله تعالى وبمحبتته وبرضاه وعلمه ومشيتته وقضائه وتقديره،
والمعاصي كلها بعلمه وقضائه وتقديره ومشيتته لا بمحنته ولا برضاه ولا بأمره.

والطاعة من العبد، والعد يريد الكفر والمعصية لعنه؛ فيقع مراد العبد ولا يقع
مراد الله تعالى؛ فيكون إرادة العبد عسة وإرادة الله تعالى معلوبة، وأما عندما فكل
ما أراد الله تعالى فهو واقع؛ فهو تعالى يريد الكفر من الكافر ويريد الإيمان من
المؤمن، وعلى هذا تكون إرادة الله علية وإرادة العبد معلومة (والطاعات كلها
كانت واجبة بأمر الله تعالى) أي لعباد بني كانت واجبة على العباد، وهي
كلها بأمر الله تعالى (ومحنته وبرضاه وعلمه ومشيتته وقضائه وتقديره،
والمعاصي كلها بعلمه وقضائه وتقديره ومشيتته لا بمحنته ولا برضاه ولا بأمره) قال الله
تعالى ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسَادَ﴾^(١) وقال الله تعالى ﴿وَلَا تَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾^(٢) وقال
الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَنْتُمْ أَنْتُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾^(٣) أي المقيح من الكفر والمعاصي،
وقال المصنف رحمه الله في كتاب الوصية فقد بين أن الأعمال ثلاثة: فريضة
ومعصية ومعصية؛ فالمريضة بأمر الله تعالى ومشيتته ومحنته ورضاه وقضائه
وقدره وتخليقه وحكمه وعلمه وتوقيفه وكتات في اللوح المحفوظ.

والمعصية ليست بأمر الله ولكن بمشيتته وبمحنته ورضاه وقدره وحكمه
وعلمه وتوقيفه وتخليقه وكتات في اللوح المحفوظ، والمعصية ليست بأمر الله
ولكن بمشيتته لا بمحنته وبقضائه ولا برضاه وتقديره وتخليقه لا بتوقيفه
وبخذلانه وعلمه وكتات في اللوح المحفوظ، اعلم أن المعاصي نوعان: كبائر
وصغائر، أما الكبائر فهي نسع، قال صفوان بن عسال: قال يهودي لصاحبه:

(١) البقرة: ٢٠٥.

(٢) الزمر: ٧.

(٣) الأعراف: ٢٨.

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم مزهون عن الصغائر والكبائر
والكفر والقبائح، وقد كاسبت منهم زلات وحطايا،

أذهب بها إلى هذا النبي، فقال له صاحبه: لا تقل نبي إنه لو سمعتك لكان له أربع
أعين، فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن تسع آيات بيّات فقال لهما رسول الله ﷺ
«لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا تَسْرِقُوا وَلَا تَزْنُوا وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا
بِالْحَقِّ، وَلَا تَمْشُوا فِي بَرِيءٍ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ لِيَقْتُلَكُمْ وَلَا تَعْبُدُوا الرِّبَا وَلَا
تَقْدِفُوا الْمُحَصَّنَةَ، وَلَا تُولُوا- أَي لَا تَفْرُوا- يَوْمَ الزَّحْبِ، وَعَلَيْكُمْ خَاصَّةُ الْيَهُودِ أَنْ
لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ» قال: فقتلأ يديه ورجليه وقال: شهد أنك نبي، قال: فما
يمنعكم أن تتبعوني؟ قال: إن داود عليه السلام وعارمه أن لا يزال من ذريته
نبي، وإما نخاف إن اتبعناك أن يقتلنا اليهود^(١) (والأنبياء عليهم الصلاة
والسلام كلهم مزهون عن الصغائر والكبائر والقبائح) يعني قبل النبوة
وبعدها (وقد كانت منهم زلات وحطايا) مثال الزلات أكل آدم من الشجرة،
ومثال الخطايا قتل موسى رجلاً من قوم فرعون فإنه لم يقصد قتله أصلاً بل
قصد صرعه بيده ليدفعه عن الإسرائيلي بوقع الضرب قصداً والقتل خطأ،
والقتل زلة أمضاً؛ لأن كل خطأ زلة وليس كل زلة خطأ؛ فيسببها عموم
وخصوص مطلقاً؛ لأن الزلة قد تكون بالخطأ وقد تكون بالنسيان وقد تكون
بالسهو وقد تكون بترك الأولى والأفضل، قال الإمام عمر النسفي في التفسير:
أئمة سمرقند لا يطلقون اسم الزلة على أفعال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

(١) أخرجه الترمذي ح (٢٧٣٣)، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٣٩)، والحاكم في المستدرک ح (٢٠) من
حديث صفوان بن عسال به، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. اهـ وقال الحاكم: هذا
حديث صحيح لا يعرف له علة يرجع من الوجوه اهـ

ومحمد عليه الصلاة والسلام حبيبه وعبد ورسوله ونبيه

لأنها برع ديب ويقولون فعلوا لماص وتركوا الأفضل؛ فعوتبوا عليه لأن ترك الأفضل منهم بمرلة ترك الواجب من العبر، قيل زلة الأبياء والأولياء سبب القرية إلى الله تعالى، قال أبو سليمان الداراني رحمه الله: ما عمل داود عملاً أنفع له من الخطيئة؛ ما زال يهرب منها إلى ربه حتى وصل إليه؛ فالحطية سبب الفرار إلى الله تعالى من نفسه ودنياه

(ومحمد ﷺ حبيبه) أي حبيب الله تعالى؛ قال رسول الله ﷺ: «نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة وإب قائل قولاً طيّر فخير إبراهيم خليل الله وموسى كليم الله وآدم عليه السلام صفي الله، وأنا حبيب الله ومعى لواء الحمد يوم القيامة»^(١) ثم أشار الإمام الأعظم بقوله: (وعده) إلى فائدتين: أعني تشريف محمد وحفظ الأمة عن قول النصارى، وقال أبو القاسم سليمان الأنصاري: لما وصل محمد عليه الصلاة والسلام إلى الدرجات العالية والمرتبات الرفيعة في الممارج أوحى الله تعالى إليه فقال: «بم أشرفك؟» قال: يا رب بسببتي إلى نفسك بالعبودية؛ فأبرك فيه قوله سبحانه وتعالى: «سُبْحَنَ الَّذِي أَمْتَرَنِي بِعَبْدِهِ، لَيْلًا»^(٢) فقال عليه السلام: «لَا تُظَرُّوهُ كَمَا أَظَرِّي عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَقُولُوا هَذَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ»^(٣) كذا في المشارق أي لا تتجاوزوا عن الحد في مدحي كما سأل النصارى في مدح عيسى عليه السلام حتى كمروا فقالوا: إنه ابن الله، وقولوا في حقي: إنه هبذا الله ورسوله حتى لا نكوبوا أمثالهم (ورسوله ونبيه) لقوله تعالى:

(١) أخرجه الدارمي في سننه ج (٥٤) من حديث عمرو بن قيس به مرسلًا.

(٢) الإسراء ١

(٣) أخرجه البخاري ج (٦٨٣٠) من حديث عمر به

وصفيه ونقيه ولم يعبد الصنم، ولم يشرك بالله تعالى طرفه عين قط، ولم

يرتكب صغيرة ولا كبيرة قط

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾^(١) وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾^(٢) والنبي أعم من الرسول، ويدل عليه أنه عليه السلام مثل عن الأنبياء فقال «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً»، قيل: فكم الرسل منهم؟ فقال «ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً عفيراً»^(٣) (وصفيه) أي مصطفاً ومختاراً؛ قال رسول الله ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم»^(٤) كند، في المصابع (ونقيه) أي متقاء تعالى مثل مصطفاً لمطاً؛ لأن الله تعالى بقى وطهر نفسه به في زمن صباه عن المادة التي تمنعه من الترقى؛ قال أسد: «إن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق من قلبه فاستخرج منه علقة، وقال: هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه وأعادته في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني ظفروه - فقالوا: إن محمداً قد قتل؛ فاستقبلوه وهو منتقع اللون، وقال أسد: «فكنت أرى أثر للحيط في صدره»^(٥)، (ولم يعبد الصنم ولم يشرك بالله تعالى طرفه عين قط) يعني قبل البوة ويعدها؛ لأن الأنبياء معصومون عن الجهل بالله تعالى، قال عبيد: قيل للنبي عليه الصلاة والسلام.

(١) الفتح: ٢٩

(٢) الأعراب: ١.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢٦٥/٥)، والطبراني في الكبير (٢١٧/٨) من حديث أبي أمامة به، وفيه

«ثلاثمائة وخمسة عشر» قال المصنف في الجمع (١، ٢٩٣) «مطلوه على علي بن يزيد وهو ضعيف».

وأخرجه ابن حبان في صحيحه ح (٢٦١) من حديث أبي حنيفة، وفيه «مائة ألف وعشرون ألفاً»

(٤) أخرجه مسلم ح (٢٢٧٦) من حديث وثقة بن أسلم به

(٥) أخرجه مسلم ح (٢٦١/١٦٢) من حديث أسد بن مالك به

ولم يرتكب صغيرة ولا كبيرة قط

أفصل الناس بعد النبي عليهم الصلاة والسلام أبو بكر الصديق ثم

عمر بن الخطاب الفاروق

هل عدت وثناً قط؟ قال: «لا»، قالوا: هل شربت خمرًا قط؟ قال: «لا»، وما زلتُ
أحرفُ أن الذي هم عليه كمر وما كنت أدري ما الكتاب ولا الإيمان^(١). (ولم
يرتكب صغيرة ولا كبيرة قط) يعني قبل النبوة وبعدها.

لما فرغ الإمام الأعظم من ذكر الأبياء عليهم السلام شرع في ذكر الخلفاء
فقال (أفصل الناس بعد النبي عليهم الصلاة والسلام أبو بكر الصديق) قال
النبي عليه السلام: «ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين
والمُرسلين أفصل من أبي بكر»^(٢) وروى أن النبي ﷺ لما ذكر قصة المعراج كذبوه
ودعوا إلى أبي بكر فقالوا له: **إن صاحبك قد قال كذا وكذا فقال أبو بكر: إن**
كان قد قال ذلك فهو صادق ثم جاء رسول الله ﷺ فذكر له الرسول تلك
التفاصيل فكلما ذكر شيئاً قال أبو بكر: صدقت؛ فلما تم الكلام فقال أبو بكر:
أشهد أنك رسول الله حقاً قال الرسول ﷺ: «وأشهد أنك صديق حقاً»^(٣). كذا
في التفسير الكبير (ثم عمر بن الخطاب الفاروق) قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي
إلا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض؛ فأما وزيراي من أهل

(١) هراء السيوطي في الخصائص الكبرى (ص ١٤٩) إلى أبي يعين وابن حبان من حديث علي به.
(٢) أخرجه عبد بن حميد في مسنده ح (٢١٢)، وأبو يعين في الخلية (٣/ ٣٢٥) من حديث أبي
الدرداء به، وقال أبو يعين «عرب من حديث عطاء عن أبي الدرداء، نمرده به عنه ابن جرير،
ورواه عنه بقية بن الوليد وغيره عن ابن جرير» اهـ.
(٣) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (سيره ابن هشام - ٢/ ٢٤٤) عن الحسن بن محبوب، وأخرجه الحاكم
في المستدرک ح (٤٤٥٨) من حديث عائشة بنحوه، وقال «حدث صحيح على شرط الشيخين
ولم يخرجاه فإن محمد بن كثير الصنعاني صدوق» اهـ.

ثم عثمان بن عفان ذو النورين، ثم علي بن أبي طالب المرتضى رضوان الله

السماء فجبريل وميكائيل، وأما وريري من أهل الأرض فأبو بكر وعمر^(١) من
المصاييح، وروي عن أس عاص ~~عيسى~~ أن مفاً حاصم يهوديًا فدعاه اليهودي
إلى النبي ﷺ ودعاه المفاق إلى كعب بن الأشرف ثم بهما احتكما إلى رسول الله
ﷺ فحكم إلى اليهودي، فلم يرص المفاق وقال نتحاكم إلى عمر فقال اليهودي
لعمري: قصي لي رسول الله فلم يرص بقصائه وحاصم إليك، فقال عمر
للمفاق أكذلك؟ فقال: نعم فقال: مكانكما حتى أخرج إليكما؛ فدخل وأخذ
سعه ثم حرج فصرب به عنق المفاق حتى برد أي مات وقال هكذا أقصي لمن لم
يرص بقضاء الله وقضاء رسوله، وكان حبريل عليه السلام إن عمر فرق بين
الحق والباطل فسمي العاروق - كذا في تفسير القاسي (ثم عثمان بن عفان ذو
النورين) لأنه عليه السلام روجه بش رقية، ولم مات روجه النبي عليه السلام
أم كثرهم، ولما ماتت أم كلثوم قال النبي عليه السلام: «لو كانت هندي ثالثة
لزوجتكها»^(٢)، فلذا سمي بذي النورين، روي عن الحسن قال: لما أمر رسول
الله ﷺ ببيعة الرضوان كان عثمان رسول رسول الله عليه السلام إلى مكة فبايع
الناس فقال رسول الله: «إن عثمان في حاجة الله وحاجة رسول الله» فصرب عليه
السلام بإحدى يديه على الأخرى؛ فكثرت يد رسول الله لعثمان خيرًا من أيديهم
لأنهم^(٣). من المصاييح (ثم علي بن أبي طالب المرتضى رضوان الله تعالى

(١) أخرجه الترمذي ح (٣٦٨٠) من حديث أبي سعيد الخدري به، وقال: حديث حسن

عريب. هـ.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٧-١٨٤) من حديث عاصم به، وقال: الحديث في الجمع

(٩٣/٩) وفيه انفصل بن المختار وهو ضعيف. هـ.

(٣) أخرجه الترمذي ح (٣٧٠٢) من حديث أس به، وقال: حديث حسن صحيح عريب. هـ.

أجمعين عابدين ثابتين على الحق، ومع الحق نتولاهم جميعاً، ولا نذكر أحداً من أصحاب رسول الله إلا بخير ولا نكفر مسلماً بدين من الديوت وإن كانت كبيرة إذا لم يستحلها، ولا نزيل عنه

عليهم أجمعين) قال رسول الله ﷺ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام إلا أنه لا نبي بعدي»^(١). (عابدين) أي كانوا عابدين لله تعالى (ثابتين على الحق، ومع الحق) أي كانوا مع الحق تعالى في عبادتهم يعني عبده بالصدق والإخلاص والخشوع والخصوع (نتولاهم) أي نحسبهم (جميعاً) أي جميع الخلفاء الأربعة لا نفرق بينهم بين البعض وبعض البعض، والروافض أبعضوا الخلفاء الثلاثة أي جميع الخلفاء الثلاثة فرفضوا وتركوا المذهب الحق، والخوارج أبعضوا علياً محرراً عن الصراط المستقيم

(ولا نذكر أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ إلا بخير) يعني اعتقاد أهل السنة والجماعة تركية جميع الصحابة والنساء عليهم كما أنس الله تعالى ورسوله عليهم، وما جرى بين علي ومعاوية كان سبباً على الاجتهاد - كذا في الإحياء، عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكرموا أصحابي فإنهم خياركم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يظهر الكذب»^(٢) من المصاييح (ولا نكفر مسلماً بدين من الديوت وإن كانت كبيرة إذا لم يستحلها) يعني: ولا نكفر مسلماً بدين كما يكفر الخوارج مرتكب الكبيرة؛ أما من استحل معصية وقد ثبتت بدليل قطعي فهو كافر بالله تعالى؛ لأن استحلها تكذيباً لله ورسوله (ولا نزيل عنه) أي عن المسلم

(١) أخرجه البخاري ح (٤٤١٦)، ومسلم ح (٢٤٠٤) من حديث سعد بن أبي وقاص به.
(٢) أخرجه الشافعي كما في مسنده (ص ٢٤٤)، وعبد الرزاق في المصنف ح (٢٠٧١٠)، والبيهقي في الكبرى ح (٩٢٢٢، ٩٢٢٣، ٩٢٢٤) من حديث عمر به.

اسم الإيمن ونسبته مؤمناً حقيفة، ويجوز أن يكون مؤمناً فاسقاً غير كافر
والمسح على الخمين ستة، والتراويح في ليالي شهر رمضان ستة، والصلاة
حلف كل بر وفاجر من المؤمنين جائزة،

الذي ارتكب كبيرة غير مستحل (اسم الإيمن ونسبته مؤمناً حقيفة) أشار الإمام به
إلى أن المسلم يسمى مؤمناً حقيفة، وهذا يدل على اتحاد الإسلام والإيمان أي كالطهر
والطن (ويجوز أن يكون) مرتكب الكبيرة (مؤمناً فاسقاً غير كافر) الفسق هو
الخروج عن طاعة الله تعالى بارتكاب الكبيرة، قال صدر الشريعة: فالكبيرة كس ما
يسمى فاحشة كاللواط ونكاح منكوحه الأب، أو ثبت لها مسح قاطع عقوبة في
الدنيا والآخرة، وقالت المعتزلة: مرتكب الكبيرة فاسق لا يجوز أن يكون مؤمناً ولا
كافراً، وأنشأوا مرة بين المرتين أي بين الكفر والإيمان
(والمسح على الخمين ستة) أي ثبت جوارحه بالسنة المشهورة؛ فمن أنكره فإن
يخشى عليه الكفر لأنه قريب من الخمر المتواتر (والتراويح في ليالي شهر رمضان
ستة) هذا رد على الروافض فإنهم أنكروا تراويح والمسح على الخمين ومسحوا
على أرجلهم بلا خوف؛ قال صاحب الخلاصة: وفي المنتقى مثل أبو حنيفة رحمه الله
عن مذهب أهل السنة والجماعة فقال أن تفصل الشيخين وتحب الختنين وترى
المسح على الخفين، وتصلي خلف كل بر وفاجر، والله الهادي
(والصلاة خلف كل بر وفاجر من المؤمنين جائزة) وتكره لوجود إيما،
والكرهية لعدم اهتمامه في الأمور الدينية؛ قال السيوطي: «مَنْ صَلَّى خَلْفَ هَالِمٍ
تَقِيٍّ فَكَأَنَّمَا صَلَّى خَلْفَ نَبِيِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ. وَمَنْ صَلَّى خَلْفَ نَبِيِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ هُوَّ لَهُ

ولا نقول: إن المؤمن لا نصره الدوب، ولا نقول: إنه لا يدخل النار، ولا نقول: إنه محدد فيها وإن كان فاسقاً بعد أن يخرج من الدب مؤمناً، ولا نقول: إن حسنة مقبولة وسيئاً معصية كقول المرجئة، ولكن نقول: من عمل حسنة بجميع شرائعها خالية عن العيوب المفسدة ولم يطلها بالكفر والردة والأحلاق السيئة

ما تقدم من دنيه^(١) يعني الصغائر (ولا نقول: إن المؤمن لا نصره الدوب، ولا نقول: إنه لا يدخل النار) كما قال المرجئة: قال الإمام الرازي في كتاب الأربعين: المعاصي الذي ليس بكافر وكانت معصيته كبيرة فيه ثلاثة أقوال: قول من قطع بأنه لا يعاقب، وهذا قول مقاتل بن سليمان، وقول المرجئة، وثانيها: قول من قطع بأنه يعاقب، وهو قول المعتزلة والخوارج، وثالثها: قول من لم يقطع لا بالمعصية ولا بالعقاب، وهو قول أكثر الأئمة وهو المختار (ولا نقول إنه) أي المؤمن (يحدد فيها) أي في ما رزقهم (وإن كان فاسقاً بعد أن يخرج من الدنيا مؤمناً) خلافاً للمعتزلة فإنهم قطعوا بحلود الفاسق في عذاب جهنم أبداً كالكافر

(ولا نقول: إن حسنة مقبولة وسيئاً معصية كقول المرجئة، ولكن نقول: من عمل حسنة بجميع شرائعها) من البية والإحلاص وغيرهما من الفرائض (خالية عن العيوب المفسدة) من الرياء والسمعة والعجب (ولم يطلها بالكفر والردة والأحلاق السيئة) فقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ

(١) قال الربيعي في نصب الراية (١٧/٢) «هريب» اهـ وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص ٤٨٦) «لم أتف عليه بهذا اللفظ» اهـ

وقد أخرج الطبراني في الكبير (٣٢٨/٢٠)، والدارقطني في سننه (٨٨/٢) من حديث مرشد العمري: «إن سركم أن تقبل صلاتكم فليؤمكم خياركم، وإنهم ومدكم فيما بينكم وبين ربكم»، وقال الدارقطني: «إسناد غير ثابت، وعبد الله بن موسى ضعيف» اهـ وأخرج الدارقطني (٨٧/٢)، والبيهقي في الكبرى (٩٠/٣) من حديث ابن عباس: «اجعلوا أنفسكم خياركم قومهم ومدكم فيما بينكم وبين ربكم»، وقال البيهقي: «إسناد هذا الحديث ضعيف» اهـ

حتى حرج من الدنيا مؤمناً فإن الله تعالى لا يصيبها بل يقبضها منه ويشبه عليها، وما كان من السيئات دون الشرك والكفر ولم يمت عنها صاحبها حتى مات مؤمناً فإنه في مشيئة الله تعالى إن شاء عذبه بالنار وإن شاء عفا عنه ولم يعذب به بالنار أصلاً والرياء إذا وقع في عمل من الأعمال فإنه يطل أجره وكذلك العجب.

عَمَلُهُ^(١) وأما ارتكاب الكبائر فلا يفسد طاعات ولا يعطل ثوابها عند أهل السنة والجماعة (حتى حرج من الدين مؤمناً فإن الله تعالى لا يصيبها بل يقبضها منه ويشبه عليها) فلا وجوب عليه ولا استحقاق بل بمصله ووعدده قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ^(٢)﴾ وقال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ^(٣)﴾، وقال الله تعالى: ﴿وَبِاللَّهِ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ^(٤)﴾ (وما كان من السيئات دون الشرك والكفر) سواء كانت تلك السيئات صغيرة أو كبيرة (ولم يمت عنها) أي عن سيئ السيئات (سي) ليست بشرك ولا كفر (صاحبها حتى مات مؤمناً) مسقياً مهنراً عليها (فإنه) أي ذلك العاسق (في) مشيئة الله تعالى إن شاء عذبه بالنار (عدلاً ثم أخرجها عنها فصلاً) (وإن شاء عفا عنه ولم يعذب به بالنار أصلاً) بمصله ورحمته أو بشاعة الشافعي، وفي بعض النسخ: وإن شاء عفا عنه ولم يعذب به ساراً بدلاً فيكون المعنى أن من يعذب الله تعالى من المؤمنين لا يعذب أبداً محلاً في سره لأن الإيمان يمنع الخلود (والرياء إذا وقع في عمل من الأعمال فإنه) أي الرياء (يطل أجره) قال الله تعالى: ﴿يُنَاقِهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُطْعَمُوا سِدْفَنَكُمْ بِالْأَمْنِ وَالْأَذَى كَأَن لَّذِي يُدْفِنُ

(١) المائدة ٥

(٢) التوبة ٧٢

(٣) الحديد ٢١

(٤) آل عمران ٩

وكذلك العجب.

والآيات ثابتة للأنبياء، والكرامات للأولياء حق، وأما التي تكون لأعدائه مثل إبليس وفرعون والدجال فهي روي في الأحبار أنه كان ويكون لهم لا نسميها آيات

مآله: رِقَاءَ النَّاسِ^(١) وقال رسول الله عليه السلام لا يَقْبَلُ اللهُ تعالى عملاً فيه مقدار ذرة من الرياء^(٢)، والمصنف يهتف ذكر إبطال الأجر ولم يذكر إبطال العمل اهتماماً بشأن الأجر والثواب، لأن المقصد الأقصى والمطلب الأعلى من العمل هو الأجر والثواب (وكذلك العجب) أي المعجب إذا وقع في عمل من الأعمال فإنه يطل أحزه وعمله كالرياء لأن المعجب يلتمس من مكر الله ولا يخاف من زوال إيمانه وأعماله، والأمر من عذاب الله يُخَفَّرُ (والآيات) أي المعجزات (ثابتة للأنبياء) عليهم السلام يعني أن حوارق العادة التي تصدر عن الأنبياء كإحياء الأموات وانفجار الماء من بين الأصابع وكعدم إحراق البار وغيرها تسمى آيات؛ لأن الله تعالى يريد بصدورها عنهم أن تكون علامة ودليلاً على ثبوتهم وصدقهم.

(والكرامات للأولياء حق) أي الخوارق التي تصدر عن الأولياء تسمى كرامات؛ لأن الله تعالى يريد بصدورها عنهم إكرامهم وإعزازهم، والولي في اللغة: القريب، فإذا كان العبد قريباً من حضرة الله تعالى بسبب كثرة طاعته وكثرة إخلاصه كان الرب تعالى قريباً منه برحمته وفصله وإحسانه (وأما التي تكون لأعدائه) أي لأعداء الله تعالى من الأمور الخارقة للعادة (مثل إبليس وفرعون والدجال) فهي روي في الأحبار أنه كان ويكون لهم لا نسميها آيات) فإنها

(١) البقرة ٢٦٤

(٢) قال العراقي في تخريج الإحياء (٣/ ٢١١) هم أجدهم هكذا اهـ وكذا قال المصنف في تذكرة الموضوعات (ص ١٧١)

ولا كرامات ولكن نسميها قصاء حاجاتهم؛ وذلك لأن الله تعالى يقضي حاجات أعدائه استدرحاً لهم وعقوبة هم فيعترفون به ويزدادون طغياناً وكهراً، وذلك كله جائز ممكن وكان الله تعالى خالفاً قبل أن يخلق ورزقاً قبل أن يبرق،

للأسياء عليهم السلام (ولا كرامات) فإنها بالأولياء إكراماً لهم وإحساناً إليهم (ولكن نسميها قصاء حاجاتهم)

ولا كان من المستبعد هذا القول لقصرة قصاء حاجات أعدائه دفع الإمام الأعظم ذلك وبين الحكمة فيه بقوله (ودلك لأن الله تعالى يقضي حاجات أعدائه استدرحاً لهم وعقوبة هم فيعترفون به) أي بسبب قصاء حاجاتهم (ويزدادون طغياناً وكهراً) فيستحقون بذلك عدائاً مهياً قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَمْناً نَحْنُ نَعْلَمُ نَجْمَ لَافِيهِمْ﴾ (تَمَّ نَحْنُ لَمْ يَمْرَدُوا إِنَّمَا وَهُمْ عَدَاؤُكُمْ مُبِينٌ) (١) (ودلك كله جائز ممكن) لا يستحيل في العقل وقوعه قال الله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢) وقل رسول الله ﷺ: «إذا رأيت الله تعالى يُعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصية فإنها ذلك منه استدراج» (٣).

(وكان الله تعالى خالفاً قبل أن يخلق ورزقاً قبل أن يبرق) كرر الإمام الأعظم هذا الكلام للتأكيد؛ أي وكان الله تعالى خالفاً قبل وجود المخلوقات، ورزقاً قبل وجود المردوقين، قادراً قبل وجود المضبورين، قاهراً قبل وجود المقهورات، راحماً قبل وجود المرحومين، معبوداً قبل وجود العابدین، مجيباً قبل وجود

(١) آل عمران ١٧٨.

(٢) الأعراف ١٨٢.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١٤٥/٤)، والطبراني في الأوسط (٩٢٧٢) من حديث هبة بن عامر به قال العراقي في تهريج الإحياء (٤٨٤) بسند حسن.

والله تعالى يرى في الآخرة ويراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين رؤوسهم بلا تشبيه ولا كيفية ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة

السائلين، هنياً قبل وجود السموات والأرضين، مالتكاً قبل وجود المملكة والملوكين، باقياً بعد هاء الخلق أجمعين

(والله تعالى يرى) على صيغة المجهول (في الآخرة) صفة الدار بدليل قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾^(١) ثابت الآخر الذي هو نقيض الأول، وإيها سميت بالآخرة لتأخرها عن الدنيا، وهو من الصفات التي هلت عليها الاسمية، وكذلك الدنيا، وإيها سميت بالدنيا لدونها وقرها عن الآخرة (ويراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين رؤوسهم) حال من فاعل «يرى» أي حال كونهم في الجنة، قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: أتريدون شيئاً أزيد لكم، فيقولون: ألم نبيض وجوهنا؟ ألم ندخلنا الجنة وتجننا من النار، فيقول: بلى»، قال عليه السلام: «فيكشف الحجاب لينظرون إلى وجه الله تعالى فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم» ثم تلا عليه السلام: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا أَجْرًا عَظِيمًا وَزِيَادَةً﴾^(٢) (بلا تشبيه ولا كيفية) خلافاً للمشبهة والمجسمة (ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة) حين يرويه، والمسافة في اللغة البعد، والمراد بها هاهنا الجهة والمكان والمقابلة، اعلم أن رؤية الله تعالى بالأبصار في الآخرة حق معلوم ثابت بالنص لا بالعقل لأنها من المنشآت وصفاً، قال فخر الإسلام علي البزدوي تتلوه تعالى في أصول العقيدة مثال التشابه في إثبات رؤية الله تعالى

(١) الفصل ٨٣

(٢) يونس: ٢٦ والحديث أخرجه مسلم ح (١٨١) من حديث صهيب به.

والإيمان هو الإقرار والتصديق،

بالأبصار عياناً حقاً في الدار الآخرة بسبح القرآن بقوله تعالى: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِرُ
مُؤْمِرَةً ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾^(١) ولأنه موجود بصفات الكمال، وأن يكون
مرتباً لنفسه ولغيره من صفات الكمال، ولزوم لإكرامه بدلت أهل، لكن إثبات
الجهة تمتع فصار منشأً بوصفه فوجب تسليم المنشأه على اعتقاد الحقيقة.

(والإيمان) في اللغة التصديق، وهو قول خير المخبر بالقلب ومعناه بالتركي
بما نطق، وفي الشرع (هو الإقرار) باللسان (والتصديق) باللسان بأن الله تعالى
واحد لا شريك له موصوف بصفاته لدته والعملية، وبأن محمداً رسول الله أي
بيده الذي معناه بالكتاب والشرعة، والإقرار وحده لا يكون إيماناً لأنه لو كان
إيماناً لكان المصدقون كلهم مؤمنين وكذلك المعرفة وحدها لا تكون إيماناً لأنها
لو كانت إيماناً لكان أهل الكتاب كلهم مؤمنين، وقال الله تعالى في حق المنافقين:
﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَذِبُونَ ۝﴾^(٢) وقال الله تعالى في حق أهل الكتاب:
﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ ۝﴾^(٣) فمن أراد أن يكون
من أمة محمد ﷺ فقال بلسانه «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وصدق قلبه معناه فهو
مؤمن، وإن لم يعرف الفرائض والمحرمات، ثم إذا قيل له إن الصلوات الخمس في
كل يوم وليلة فرض عليك، فإن صدق فرصتها عليه وقبلها فهو ثابت على إيمانه،
وإن أنكرها ولم يقبلها فهو كافر بالله، وكذلك سائر الفرائض والمحرمات الثابتة بدليل
قطعي من الكتاب والسنة وإجماع الأمة وقيس الفقهاء

(١) الآية ٢٢

(٢) المنافقون ١

(٣) البقرة ١٤٦

وإيمان أهل السماء والأرض لا يريد ولا ينقص من جهة المؤمن به، ويزيد وينقص من جهة اليقين والتصديق، والمؤمنون مستوون في الإيمان والتوحيد متماضلون في الأعمال

(وإيمان أهل السماء والأرض لا يريد ولا ينقص من جهة المؤمن به ويريد وينقص من جهة اليقين والتصديق) يعني إيمان الملائكة وإيمان الإنس والجنس لا يزيد ولا ينقص في الدنيا والآخرة من جهة المؤمن به، لأن من قال: آمنت بالله وبما جاء من عنده، وآمنت برسول الله وبما جاء من عنده رسول الله فقد آمن بجميع ما يجب الإيمان به فهو مؤمن، ومن آمن ببعض ما يجب الإيمان به بأن آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولم يؤمن باليوم الآخر فهو كافر، ومن آمن بالله ورسله ولم يؤمن بغيرهما فهو كافر أيضاً، فلا فرق بين من يؤمن ببعض المؤمنين به وبين من يكفر بكل المؤمنين به في كونهما كافرين حقاً (والمؤمنون مستوون في الإيمان) بحسب المؤمن به كما مر (والتوحيد) أي نفي الشرك في الألوهية والربوبية والخالقية والأولية والقدسية والقيومية والصفدية؛ فمن نفي الشرك في بعضها دون بعض فهو مشرك لا موحد؛ فلا يزيد التوحيد ولا ينقص من هذا الوجه، أما من وجه التقليد والاستدلال فيريد وينقص، وليس توحيد المستدل بالأدلة العقلية كتوحيد المعارف الواصل إلى المكاشفات والمشاهدات والمعارف الإلهية والعلوم الدينية، وكذلك لا يستوي إيمانهم من هذا الوجه (متماضلون) ومتفاوتون (في الأعمال) أي في الطاعات الظاهرة والباطنة، وهذا يدل على أن العمل الصالح ليس جزءاً من الإيمان؛ لأن العمل يريد وينقص؛ لأن بعض الناس يحافظ على الصلوات الخمس كلها، وبعضهم يصلي بعضها، وصلوات من صلى بعضها صلوات صحيحة لا باطلة، وصوم من صام رمضان كله صوم

والإسلام هو التسليم والانقياد لأوامر الله تعالى؛ فمن طريق اللغة فرق بين الإيمان والإسلام ولكن لا يكون

صحيح، وصوم من صام رمضان إلى بصره صوم صحيح أيضاً لا باطل، وقس على هذا سائر الأفعال من الفرائض والوفاء، والإيمان ليس كذلك لأن إيمان من آمن ببعض المؤمنين به ليس بإيمان صحيح بل هو باطل كصوم من صام بعض يوم واحد ثم أخطأ

(والإسلام هو التسليم والانقياد لأوامر الله تعالى) في الصحاح: التسليم بذل الرضا بالحكم، والانقياد الخضوع والخشوع والتطامن والتواضع، بمعنى الإسلام هو الرضا بأحكام الله تعالى من الفرائض والمحرمات أي هو الرضا بحكم الله تعالى يكون بعض الأشياء فرضاً ويكون بعض الأشياء حلالاً ويكون بعض الأشياء حراماً بلا اعتراض (ولا استغفار) فمن طريق اللغة فرق بين الإيمان والإسلام) لأن الإيمان في اللغة عبارة عن التصديق، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾^(١) أي مصدق لنا، والإسلام عبارة عن التسليم، وللتصديق محل خاص وهو القلب واللسان ترجمانه، وأما التسليم فإنه عام في القلب واللسان وأخوارح، ويدل على كون الإسلام أعم في اللغة كون السابقين من المسلمين بحسب اللغة، وما كانوا مسلمين بحسب الشرع، وما كانوا مؤمنين بحسب اللغة والشرع؛ قال الله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾^(٢) لوجود الاعتراف باللسان وهو إسلام في اللغة وليس بإيمان في اللغة؛ لعدم التصديق بالقلب (ولكن لا يكون) أي لا يوجد في حكم

(١) يوسف: ١٧

(٢) الحجرات: ١٤

إيمان بلا إسلام ولا يوجد إسلام بلا إيمان وهما كالظهر مع البطن، والدين اسم واقع على الإيمان والإسلام واشترائع كلها
نعرف الله تعالى حق معرفته كما وصف الله نفسه في كتابه بجميع صفاته،
وليس يقدر أحد أن يعبد الله تعالى حق عبادته كما هو أهل له

الشرع (إيمان بلا إسلام) لأن الإيمان هو الإقرار والتصديق لألوهية الله تعالى كما هو بصفاته وأسمائه؛ فمن أقر وصدق بوجوده فيه التسليم والقبول لمرضية أو امر الله تعالى وحقية أحكامه وشرائعه (ولا يوجد إسلام بلا إيمان) لأن الإسلام هو التسليم والانقياد لأمر الله تعالى، وذلك لا يوجد إلا بعد التصديق والإقرار؛ فلا يعقل بحسب الشرع مؤمن ليس بمسلم أو مسلم ليس بمؤمن، وهذا مراد القوم بترادف الاسمين واتحاد المعنى (وهما كالظهر مع البطن) أي الإيمان والإسلام متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر كما لا ينفك الظهر عن البطن عن الظهر (والدين اسم واقع على الإيمان والإسلام والشرائع كلها) يعني أن لفظ الدين قد يطلق ويراد به الإيمان، وقد يطلق ويراد به الإسلام، وقد يطلق ويراد به شريعة محمد عليه السلام، وقد يطلق ويراد به شريعة موسى عليه السلام، وقد يطلق ويراد به شريعة عيسى عليه السلام أو غيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام

(نعرف الله تعالى حق معرفته) أي يعرف الله تعالى حق المعرفة التي كلفنا بها (كما وصف الله نفسه) أي ذاته تعالى (في كتابه بجميع صفاته) أي نعرف الله تعالى حق معرفته بجميع صفاته التي وصف نفسه بها في كتابه العظيم وكلامه القديم وبجميع أسمائه الحسنی التي في الكتاب والسنة أي نقدر على معرفته تعالى بصفاته وأسمائه على التفصيل، ولا نقدر على معرفته كنه ذاته تعالى، وهذا معنى ما يقال: ما عرفناك حق معرفتك

(وليس يقدر أحد أن يعبد الله تعالى حق عبادته كما هو أهل له) لأن العبادة

ولكنه بعده بأمره كما أمره بكتابه وسنة رسوله، ويستوي المؤمنون كلهم في المعرفة واليقين والتوكل والمحبة والرضاء والخوف والرجاء والإيمان في ذلك، ويتفاوتون فيها دون الإيمان في ذلك كله،

إحلال الرب وتعظيمه ولا نهاية لجلاله وعظمته وكبريائه؛ فلا يقدر أحد أن يأتي بالعبادة اللاتقة بجلال الله تعالى وعظمته وكبريائه، ولا يقدر أحد أن يعبد الله تعالى عبادة مساوية لثوابه؛ لأن ثوابه تعالى وأجره بغير حساب وبغير زوال، وأعمال العبد بحساب وعلى روال، وكذلك لا يقدر عبد أن يشكر الله حق شكره؛ لأن شكره بعد وبخصى وبعمه لله تعالى لا تحصى، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾^(١) (ولكنه بعده بأمره كما أمره بكتابه وسنة رسوله، ويستوي المؤمنون كلهم في المعرفة واليقين والتوكل والمحبة والرضاء والخوف والرجاء والإيمان في ذلك) المعرفة في اللغة بمعنى العلم، وفي الاصطلاح هي العلم بأسماء الله تعالى وصفاته مع الصدق في معاملاته، واليقين في اللغة هو العلم الذي لا شك معه، وفي الاصطلاح اليقين هو رؤية العيان بقوة الإيمان لا بالجمعة والرهان، وقد ذكر الله تعالى اليقين في القرآن العظيم على ثلاثة أوجه: علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين؛ فعلم اليقين ما يحصل عن الذكر والنظر، وعين اليقين ما يحصل عن لعيان، وحق اليقين اجتماعهما؛ والأول لغوام العلماء، والثاني لغوام العلماء والأولياء، والثالث للأنبياء عليهم السلام، والتوكل هو الثقة بما عند الله تعالى والياس عما في أيدي الناس، والمحبة في اللغة المودة، وفي الاصطلاح محبة العبد لله تعالى، هي حالة يجدها في قلبه لا توصف

والله تعالى متفصل على عباده عادل، قد يعطي من الثواب أضعاف ما يستوجه العبد

بوصف ولا تحد بحد أوضح أو أقرب إلى المهم من لفظ المحبة، وقال بعض المشايخ: محبة العبد لله تعالى هي التعظيم وإيثار الرضاء وقلة الصبر عن الله وكثرة الاستئناس بذكره دائماً، والرضاء سرور القلب بمرُّ القصاء المقصي من المصائب والبلاء، والخوف توقع حلول مكروه أو فوات محبوب، والرجاء في اللغة الأمل، وفي الاصطلاح تعلق القلب بحصول محبوب في المستقبل، وأهمل أن الرجاء لا يتحقق إلا مع الخوف كما أن الخوف لا يتحقق إلا مع الرجاء؛ فهما متلازمان؛ لأن الرجاء بلا خوف أمر وعرور، والخوف بلا رجاء قوط ويأس من رحمة الله تعالى، أي المؤمنون يستورون كنهم ^١ فني كان أو فتاة شبيهاً كان أو شبيحة هذا كان أو حراً - في المعرفة أي في ^٢ (جوب معرفة الله تعالى أولاً ثم معرفة الأفعال من المرائض والواجبات والحلال والحرام، والإيمان في ذلك كله أي يستوي المؤمنون في الإيمان بأن المؤمنين يستورون في أصل المعرفة وأصل اليقين وأصل التوكل إلى آخره (ويتفاوتون فيه دون الإيمان في ذلك كله) يعني ويتفاوت المؤمنون كلهم في الأمور المذكورة بحسب وجود كل واحد منها وعدمه وريادته ونقصانه، ولا يتماثلون في الإيمان بذلك كله بحسب المؤمن به لا بحسب التصديق واليقين. (والله تعالى متفصل على عباده عادل قد يعطي من الثواب أضعاف ما يستوجه العبد) أي ما يستحقه العبد استحقاقاً بحسب وعد الله تعالى وحكمه قال الله تعالى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ ^٣ وقال رسول الله ﷺ: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يُضَافُ الْحَسَنَةُ بِعَشْرَةِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ

تفصلاً منه، وقد يعاقب على الذنب عدلاً منه، وقد يعفو تفصلاً منه.
 وشفاعة الأنبياء عليهم السلام حق، وشفاعة النبي عليه الصلاة والسلام
 للمؤمنين المؤمنين ولأهل الكائن منهم المستوحين العقاب حق ثابت،
 ضعيف^(١)، وقوله: (تفصلاً منه) لئلي الاستحقاق الدائم؛ لأن الواحد بالثواب
 والحكم به ليس بواجب على الله تعالى بل هو تفصل واختيار من الله تعالى (وقد
 يعاقب على الذنب عدلاً منه) أي عدلاً من الله تعالى؛ لأنه تصرف في حالص
 ملكه، والظلم هو التصرف في ملك الغير بلا إذنه (وقد يعفو تفصلاً منه) أي وقد
 يعفو عن الذنب صغيراً كان ذلك الذنب أو كبيراً مقروناً بالتوبة أو غير مقرون
 بها، والعفو عن الذنب من يشاء فصل وإحسان لا حق للعبد، والعفو إسقاط
 العذاب خمس يحسن عقابه قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَلَدَى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ
 وَيَعْفُو عَنْ السَّيِّئَاتِ﴾^(٢) (وشفاعة الأنبياء عليهم السلام حق، وشفاعة النبي
 عليه الصلاة والسلام للمؤمنين المؤمنين ولأهل الكائن منهم المستوحين العقاب
 حق ثابت) بالكتاب والسنة وإجماع الأمة قال الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ
 عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(٣) وهو إثبات الشفاعة لمن أذن له بها، قال رسول الله ﷺ:
 «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي مَنْ كُتِبَ بها لم يُلْها»^(٤)، وقال رسول الله ﷺ:

(١) أخرجه البخاري ح (٤٢)، ومسلم ح (١٢٩) من حديث أبي هريرة بحره.

(٢) الشورى ٢٥.

(٣) البقرة ٢٥٥.

(٤) أخرجه أبو داود ح (٤٧٣٩)، وترمذي ح (٢٤٣٥)، وقال: «حديث حسن صحيح غريب من
 هذا الوجه». اهـ وصححه ابن حبان ح (٦٤٦٨)، والحاكم في المستدرج ح (٢٢٨، ٢٢٩،
 ٢٣٠) من حديث أنس به، وأخرجه الترمذي ح (٢٤٣٦)، وقال: «حديث حسن غريب من
 هذا الوجه». اهـ وصححه ابن حبان ح (٦٤٦٧)، والحاكم في المستدرج ح (٢٣١) من حديث
 جابر به، وليس عندهم: «من كتب بها لم يُلْها» وشهد لها ما أخرجه البخاري ح (٦٣٠٤،
 ٧٤٧٤)، ومسلم ح (١٩٩) من حديث أبي هريرة: «أخشي دهرني شفاعة لأمتي يوم القيامة».

ووزن الأعمال بالميزان يوم القيامة حق، وحوص النبي عليه الصلاة والسلام حق، والقصاص فيما بين الخصوم بالحسنات يوم القيامة حق، وإن لم تكن لهم الحسنات فطرح السيئات عليهم حق جائز،

«يُسْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْعُلَمَاءُ ثُمَّ الشُّهَدَاءُ»^(١)، والشفاعة مصدر الشفع وهو من يطلب قضاء حاجة غيره؛ مشتق من الشفع (ووزن الأعمال بالميزان يوم القيامة حق) قال الله تعالى «وَأَنزَلْنَا نُوحًا نَذِيرًا»^(٢) والإقرار بالورن يوم القيامة من مذهب أهل السنة والجماعة والله تعالى أعلم بكيفيته، وقال الإمام الأعظم في كتاب الوصية وقراءة الكتب حق لقوله تعالى «أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَبِيبًا»^(٣) (وحوص النبي عليه الصلاة والسلام حق) قال رسول الله ﷺ «حوصي مسيرة شهر، وزواياه سواء، ماؤه أبهى من اللبن، وريحه أطيب من المسك وكبراه كنجوم السماء، من شرب منه لا يظما أبدا»^(٤)

(والقصاص فيما بين الخصوم بالحسنات يوم القيامة حق، وإن لم تكن لهم الحسنات فطرح السيئات عليهم حق حذر) قال رسول الله ﷺ «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليستخيله به اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا

(١) أخرجه ابن ماجه ح (٤٣١٣) من حديث عثمان بن عفان به، وفي إسناده عيسى بن عبد الرحمن، قال ابن معين لا شيء، وقال أبو زرعة منكر الحديث وأبو حاتم مروي الحديث كان يصح الحديث، وقال المحمدي تركوه، وقال أبو داود والسنائي والدارقطني ضعيف، وقال السنائي في موضع آخر مروي، وقال الترمذي بضعف، وقال أبو العتيق الأردي كذاب، وقال ابن حبان هو صاحب أشياء موصوغة لا يحمل الاحتجاج به، ينظر هديت الكمال (٤١٨/٢٢)

(٢) الأعراف: ٨

(٣) الإسراء: ١٤

(٤) أخرجه البخاري ح (٦٥٧٩)، ومسلم ح (٢٢٩٢) من حديث عبد الله بن عمرو به

والجنة والنار مخلوقتان اليوم لا تغيبان أبداً.

درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، فإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فُعِمِلَ عليه^(١)؛ وقال رسول الله ﷺ: «أندرون من المفلِس؟» قالوا: المفلِس من لا درهم له ولا متاع له، فقال عليه السلام: «إن المفلِس من أمني من يأتي يوم القيامة مصلاً وصاباً وزكاةً يأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيُعْطَى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن قُتِلَتْ حسنة قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم بطرح في النار»^(٢) (والجنة) وهي دار الثواب الدائم (والنار) وهي دار العقاب الدائم (مخلوقتان اليوم) قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْرِفَةِ رُبِّكُمْ وَحِجَّوْا غُرُوبَهَا السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٣) وقال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾^(٤) والعمل لماضي هو اللفظ الدال على ثبوت معنى في زمان قبل زمان إحياء هذه الجنة والنار مخلوقتان قبل أن يقول جبريل عليه السلام لمحمد عليه السلام: «أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ»، «أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ»، ولعلنا «جمعناها» في قوله تعالى: ﴿بِئْسَ الْاُذُنُ الَّتِي لَا يَسْمَعُ لِقَوْلِ رَبِّهٖ يُرِيدُونَ غُلُوبًا فِي الْاَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾^(٥) بمعنى يعطيها كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾^(٦) أي أعطيت له (لا تغيبان أبداً) معاً بطراً عليهما العناء، ولكن

(١) أخرجه البخاري ح (٢٤٤٩) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه مسلم ح (٢٥٨١) من حديث أبي هريرة.

(٣) آل عمران ١٣٣.

(٤) آل عمران ١٣١.

(٥) القصص ٨٣.

(٦) الم نشر: ١٢.

ولا تموت الحور العين أبدًا ولا يفنى عقاب الله تعالى وثوابه سرمدًا

ليس فائزها أبدًا بل مؤقت بقوله تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(١) ولا يلحقهما العناء أصلاً، أما قوله تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(٢) معناه أن كل ممكن فهو هالك في حد ذاته بمعنى أن الوجود الإمكانى بالنظر إلى الوجود الواحدي بمنزلة العدم، والبقاء العارضى بالنظر إلى البقاء الدائى بمنزلة العناء (ولا تموت الحور العين أبدًا) أي لا يطرأ عليهن عدم، عن علي عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لِمُحْتَمِّمًا لِلْحَوَرِ الْعَيْنِ يَرْفَعُ أَصْوَاتَهُنَّ بِأَصْوَاتٍ لَمْ يَسْمَعْ الْخَلَائِقُ مِثْلَهَا يَقْلُنَ: نَحْنُ الْخَلَائِقَاتُ فَلَا نَبِيدُ وَنَحْنُ السَّاعِمَاتُ فَلَا بَأْسُ وَنَحْنُ الرَّاغِبَاتُ فَلَا نَسْخَطُ طُوبَى لِمَنْ كَانَ لَنَا وَكَتَالَهُ»^(٣)، قوله «فلا يبذل أي فلا يهلك» كذا في المصاييح (ولا يفنى عقاب الله تعالى وثوابه سرمدًا) السرمد السدائم قال الله تعالى:

(١) القصص ٨٨.

(٢) أخرجه الترمذي ح (٢٥٦٤) من حديث عن به، وقال «حديث عريب». اهـ وقال ابن الجوزي في الموضوعات (٢٥٦/٣) (٢٥٧) «هذا حديث لا يصح»، والتهم به عبد الرحمن بن إسحاق وهو أبو شيبة الواسطي قال أحمد ليس بشئ مكرأ حديث، وقال يحيى، متروك. وقال في العلل الثمانية (٩٣١/٢) «هذا حديث لا يصح قال أحمد عبد الرحمن بن إسحاق ليس بشئ»، وقال يحيى متروك، وقد روي في ذكر سوق الحنة غير هذا أصلح منه. اهـ وتعقب ابن الجوزي ابن حجر في القول للسدد (ص ٣٤) فقال «قد أخرجه من طريقه الترمذي وقال عريب، وحسن له غيره مع قوله إنه نكس فيه من قل حفظ، وصحح الحاكم من طريقه حديث غير هذا، وأخرج له ابن حريص في الصيام من صحيحه آخر، لكن قال في القتب من عبد الرحمن بن أبي اتهمى وله شاهد من حديث جابر أخرجه الطبراني في الأوسط فيما رأته في كتاب الترغيب والترهيب للمتبركي رحمه الله، ولفظه: إن في الحنة لسوقاً يباع فيها ولا يشتري ليس فيها إلا الصور فمن أحب صورة من رجل أو امرأة دخل فيها، لم أقب على إسناده في الأوسط، ثم وقعت عليه في ترجمة محمد بن عبد الله بن مطير، وفي إسناده جابر بن يزيد الجمعي وهو ضعيف». اهـ

والله تعالى يهدي من يشاء فصلاً منه ويضل من يشاء عدلاً منه، وإصلا له خذلانه، وتفسير الخذلان أن لا يوفق العبد إلى ما يرضاه عنه، وهو عدل منه، وكذا عقوبة المخدول على المعصية، ولا يجوز أن نقول: إن الشيطان يسلب الإيمان من العبد المؤمن قهراً وجبراً، ولكن نقول: العبد يدع الإيمان

﴿وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾^(١) أي باقون دئمون، وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْجِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعُذُّ اللَّهِ خَفًى﴾^(٢) والآيات والأحاديث في حلود أهل الجنة وحلود أهل النار كثيرة.

(والله تعالى يهدي من يشاء فصلاً منه، ويضل من يشاء عدلاً منه، وإصلا له خذلانه، وتفسير الخذلان أن لا يوفق العبد إلى ما يرضاه عنه وهو عدل منه) أي من الله تعالى (وكذا عقوبة المخدول على المعصية) عدل لا ظلم فيه؛ لأن الله تعالى لا يكون ظالماً بالخدلان وبعقوبة المخدول على المعصية؛ لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، والله تعالى وضع العتق في حذو لا في ملك غيره، وعرف الإمام الأعظم إصلا الله تعالى بخلاله وفسر الخذلان بأن لا يوفق العبد إلى ما يرضاه عنه؛ فالهداية ههنا بمعنى التوفيق وهو جعل الأسباب موافقة للسعادة والخير (ولا يجوز أن نقول: إن الشيطان يسلب الإيمان) أي الإقرار والتصديق (من العبد المؤمن قهراً وجبراً) لأن عرص الشيطان من سلب الإيمان منه تعذيبه فلا يحصل غرضه بالقهر والجبر؛ لأن العبد المؤمن لا يكون معذباً وهو مجبور في سلب الإيمان فلا يسلبه جبراً (وبكسر نقول: العبد يدع) أي يترك (الإيمان

(١) المائدة، ٨٠

(٢) النساء، ١٢٢

فحينئذ يسلبه منه الشيطان

وسؤال مكر ومكير حق كاش في القبر، وإعادة الروح إلى الحسد في قبره حق، وضغطة القبر وعدابه حق كاش للكفار كلهم ولعصاة المؤمنين حق جائر.

فحينئذ أي محير بركة العبد (سلبه منه الشيطان) لأنه لو سلبه قبل تركه لرم على الله تعالى حبر العبد على الكفر، وقد علمت أن الله تعالى لا يخلق الكفر في قلب العبد بدون اختياره وحيه

(وسؤال مكر ومكير حق كاش في القبر، وإعادة الروح إلى الحسد في قبره حق، وضغطة القبر وعدابه حق كاش للكفار كلهم، ولعصاة المؤمنين حق جائر) المكر اسم المفعول والكبر جعل بمعنى المفعول، وإنما سميا بهذين الاسمين لأن الميت لم يعرفهما ولم ير حضورهما وفي الصحاح مكر ونكير اسماء ملكين؛ صعط يصعط صعطاً رجة إلى جانب وسعوه، ومنه ضغطة القبر بالتركي قبر صيفمق، وفي المصابيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إذا قُبِرَ الميتُ أتاه ملكانِ أزرقانِ أسودانِ يقول لأحدهما المكر وللآخر الكبر فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل؟» فإن كان مؤمناً فيقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفتح له في قبره سبعون درهماً في سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له. سم فيقول. أرجع إلى أهلي فأخبرهم فيقولان. ثم كَوْنِيَّةُ المروسي الذي لا يوقظه إلا أحبُّ أهليه إليه حتى بعثه الله من مَضْجَعِيهِ ذلك، وإن كان منافقاً أو كافراً قال. سمعتُ الناس يقولون قولاً فقلت مثله لا أدري، فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول ذلك فيقال للأرض انثمي عليه^١ فتلثم عليه؛ فتختلف أضلاعه فلا يزال

وكل شيء ذكره العلماء بالفارسية من صفات الله تعالى - عز اسمه - فجائز القول به، سوى اليد بالفارسية، ويجوز أن يقال بروي خدائي عز وجل بلا تشبيه ولا كيفية، وليس قرب الله تعالى ولا بعده من طريق طول المسافة وقصرها، ولكن على معنى الكرامة وهون، والمطيع قريب منه بلا كيف، والعاصي بعد منه بلا كيف،

فيها معذباً حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك^(١) (وكل شيء ذكره العلماء بالفارسية) أي بغير العربية (من صفات الله تعالى عز اسمه فجائز القول به) وكذا كل شيء ذكره العلماء بغيرها من أسماء الله تعالى فجائز القول به؛ فيجوز أن يقال، خدائي تعالى توانست (سوى اليد بالفارسية) أي بغير العربية؛ فلا يجوز أن يقال: دست خدائي (ويجوز أن يقال، بروي خدائي) فلا تشبيه ولا كيفية وليس قرب الله تعالى ولا بعده أي وليس قرب العبد من الله تعالى ولا بعد العبد من الله تعالى (من طريق طول المسافة وقصرها) لأن القرب والبعد من هذا الطريق لا يتصور إلا في الممكن والممتنع في مكان وجهة، والله تعالى منزّه عن المكان والحيز والجهة؛ لأنه تعالى ليس بجوهر ولا عرض (ولكن على معنى الكرامة والهوان) يعني قرب العبد من الله تعالى هو كرامة العبد وكماله، وبعد العبد من الله تعالى هو ان العبد وبقصانه، وإطلاق القرب على الكرامة والبعد على الهوان مجاز مرسل من قبيل إطلاق السب على المسب (والمطيع قريب منه بلا كيف) ليس قربه من الله تعالى من طريق قصر المسافة والجهة (والعاصي بعيد منه بلا كيف) أي ليس بعده من الله تعالى من طريق طول المسافة والجهة

(١) أخرجه الترمذي ح (١٠٧١)، وقال: حديث حسن غريب، أخرجه ابن حبان ح

(٣١١٧) كلامه من حديث أبي هريرة به

والقرب والبعد والإقبال يقع على المساجي، وكذلك جواره في الحنة والوقوف بين يديه بلا كيفية

والقرآن منزل على رسول الله ﷺ، وهو في المصاحف مكتوب، وآيات القرآن في معنى الكلام كلها مستوية في العvisبة والعظمة إلا أن لبعضها فضيلة الذكر وفضيلة المذكور، مثل آية الكرسي، لأن المذكور فيها جلال الله تعالى وعظمته وصفاته، واجتمعت فيها فضيلتان: فضيلة الذكر وفضيلة المذكور،

(والقرب والبعد والإقبال يقع على المساجي) أي يقع على البعد المتدلل لله تعالى المتصرع إليه لا على الله تعالى؛ ألا ترى أن القرب والبعد على معنى الكرامة والمهوان، وأن الله تعالى أقرب إلى البعد من قبل نوريد (وكذلك جواره) أي مجاورة المطيع لله تعالى (في الحنة والوقوف بين يديه) أي بين يدي الله تعالى (بلا كيفية) أي ليس هذا على معناه الظاهر بل من التشابهات، قال الإمام العزالي تخلصه تعالى، القرب من الله تعالى في البعد من صفات الهائم والسامع، والتعلق بمكارم الأخلاق التي هي الأحلاق الإلهية فهو قرب بالصفة لا بالمكان، ومن لم يكن قريباً ثم صار قريباً فقد تغير أي تبدل من الشفاوة إلى السعادة بسبب أعماله (والقرآن منزل على رسول الله ﷺ، وهو في المصاحف مكتوب، وآيات القرآن في معنى الكلام) أي في كونها كلام الله تعالى (كلها مستوية في العvisبة والعظمة) قال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَصْلِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ»^(١) وآيات القرآن كلها مستوية في هذه الفضيلة فحصل كل آية على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه (إلا أن لبعضها فضيلة الذكر وفضيلة المذكور مثل آية الكرسي لأن المذكور فيها جلال الله تعالى وعظمته وصفاته واجتمعت فيها فضيلتان: فضيلة الذكر وفضيلة المذكور)

(١) أخرجه الرمذي ح (٢٩٢٦) من حديث أبي سعيد الخدري به، وقال «حديث حسن مرسل».

أحمد. وقال ابن حجر فيفتح (٩٠ ٦٦) «رجحه لعدم إعطيه العمري فيه ضعف» اهـ.

ولبعضها فصيلة الذكر فحسب مثل قصة الكفرة، وليس للمذكور فيها فضل وهم الكفار.

وكذلك الأسماء والصفات كلها مستوية في العظمة والفصل لا تفاوت بينها وقاسم وطاهر وإبراهيم كانوا نبي رسول ﷺ، وفاطمة ورقية وزينب وأم كلثوم كن جميعاً بنات رسول الله ﷺ

وهو الله تعالى وصفاته وأسمائه، وكذلك الآيات التي يذكر فيها الأنبياء والأولياء فيها فضيلتان (ولبعضها فصيلة الذكر فحسب مثل قصة الكفار) فيها فصيلة القرآن لأنها كلام الله تعالى لا كلامهم (وليس للمذكور فيها فصل وهم الكفار، وكذلك الأسماء والصفات كلها مستوية في العظمة والفصل لا تفاوت بينها) يعني لا تفاوت بين أسماء الله تعالى ولا تفاوت بين صفات الله أي لا تفاوت بين أسمائه وصفاته؛ إذ كلها مستوية في العظمة (ولفضل الذي حصل لها بكونها أسماء الله تعالى وصفاته، وبكونها لا هو ولا غيره، قال الإمام العزالي تنفذة تعالى: اهلم أن هذا الاسم - يعني اسم الله - أعظم الأسماء التسعة والتسعين لأنه دال على الذات الجامعة لصفاته الإلهية، ولأنه أحصى الأسماء ١٠٠ إذ لا يطلق على غيره تعالى لا حقيقة ولا مجازاً، وسائر الأسماء قد يسمى بها غيره كالقادر والعالم والرحيم وغيره.

(وقاسم وطاهر وإبراهيم كانوا نبي رسول الله ﷺ وفاطمة ورقية وزينب وأم كلثوم كن جميعاً بنات رسول الله ﷺ) هذا رد على من روى أن أولاد رسول الله ﷺ أكثر أو أقل من المذكورين في هذه الرواية وهي لصحيحة؛ كان رسول الله ﷺ تزوج خديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة فولد له منها ستة أولاد، وولد له من مارية إبراهيم وهي جارية قبطية، وولد إبراهيم بالمدينة ومات صغيراً رضيحاً؛ قال البراء رحمه الله. لما توفي إبراهيم قال رسول الله عليه الصلاة والسلام:

وإذا أشكل على الإنسان شيء من دقائق علم التوحيد فإنه ينبغي له أن يعتقد في الحال ما هو الصواب عند الله تعالى إلى أن يجد عالمًا يسأله، ولا يسعه تأخير الطلب ولا يعذر بالوقوف فيه ويكفر إن وقف.

«إن له موضعًا في الجنة»^(١) (وإذا أشكل) على الإنسان أي المؤمن (شيء) أي مسألة (من دقائق) أي من مسائل (علم التوحيد) والصفات (فيه) يعني له (أي يجب عليه) أن يعتقد في الحال ما هو الصواب عند الله تعالى (بأن يقول مثلاً: إن ما أراد الله منه حق واقع، أو يقول اعتقدت ما هو الصواب عند الله تعالى، وهذا القدر يكفي (إلى أن يجد عالمًا) يعلم مسائل التوحيد والصفات (يسأله) ما أشكل عليه (ولا يسعه) أي لا يجوز له (تأخير الطلب) أي تأخير طلب ما أشكل عليه من دقائق علم التوحيد، وتأخير طلب العلم الذي هو فرض عليه، وهو علم الإيمان وعلم ما يروى به الإيمان ويحصل به الكفر، وعلم ما يكون به من معتقد أهل السنة والجماعة؛ قال الله تعالى: «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(٢) وقال الله تعالى: «فَتَقْلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»^(٣) وقال رسول الله ﷺ: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ»^(٤)، وقال عليه الصلاة والسلام: «اطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصَّبْرِ»^(٥)، (ولا يعذر بالوقوف فيه) أي لا يكون معدومًا

(١) أخرجه البخاري ح (١٣٨٢) من حديث لبراء به

(٢) محمد ١٩

(٣) النحل ٤٣

(٤) تقدم تحريجه

(٥) أخرجه ابن عدي في الكامل (١١٨/٤)، والبيهقي في الشعب ح (١٦٦٣) من طريق الحسن بن عطاء عن أبي العاتكة عن أنس به

قال البراء في مسنده (١٧٥/١) «لا يعرف أبو العاتكة ولا يندري من أنس هو؟ فليس لهذا الحديث أصل» اهـ. وقال البيهقي «هذا الحديث شبه مشهور وإسناده ضعيف وقد روي من أوجه كلها ضعيفة» اهـ. وذكره ابن خوري في الموضوعات (٢١٥/١-٢١٦) وقال «هذا

ويكفر إن وقف.

وحبر المعراج حق ومن رده فهو مبتدع صال،

بالتوقف فيما أشكل عليه من الاعتقادات (ويكفر إن وقف) فيه فيما أشكل عليه إذا كان من ضروريات الدين؛ لأن التوقف في المؤمن به كفر؛ لأن التوقف يمنع التصديق، وإذا قال: آمنت بالله واعتقدت ما هو الحق عند الله تعالى يثبت به إيمانه الإجمالي (وخبر المعراج حق ومن رده فهو مبتدع صال) أي من أنكر المعراج إلى السماء فهو مبتدع صال؛ لأن عروج رسول الله عليه الصلاة والسلام بجسده في البقعة إلى السماء ثابت بالخبر المشهور، وهو قريب من الخبر المتواتر في القوة، وفي كتاب الخلاصة: ومن أنكر المعراج يضر إن أنكر الإسراء من مكة إلى بيت المقدس فهو كافر، ولو أنكر المعراج من بيت المقدس يكفر؛ لأن الإسراء من مكة إلى بيت المقدس ثبت بدليل قاطع من الكتاب قال الله تعالى: «سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرَاهُ مِنَ الْآيَاتِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»^(١) والمعراج من بيت المقدس لم يثبت بدليل قاطع من الكتاب فيكون مكروه مبتدعاً ضالاً، قال مقاتل في تفسير قوله تعالى: «سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا» كان ذلك الإسراء قبل الهجرة بسنة، قال رسول الله ﷺ: «بَيْنَا أَنَا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فِي الْحِجْرِ عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْبِقْظَانِ إِذْ أَنَانِي جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أبيض طویل فوق الحمار ودون البغل يقع حافرُهُ عند منتهى طرفه فركبته حتى أتيتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ

حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، أما الحسن بن عطية فضعفه أبو حاتم الرازي، وأما أبو عاتكة فقال البخاري: منكر الحديث. قال ابن حبان وهذا الحديث باطل لا أصل له اهـ.

(١) الإسراء، ١.

وخروج الدجال ويأجوج وماجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى عليه السلام من السماء، وسائر علامات يوم القيامة على ما وردت به الأخبار الصحيحة حق كائن والله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

فربطته بالحلقة التي ربطها الأنبياء، قال. ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فحاضني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاشترت اللبن، فقال جبريل عليه السلام اشترت العطرة، ثم خرج بنا إلى السماء. الحديث^(١)، (وخروج الدجال ويأجوج وماجوج وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى عليه السلام من السماء وسائر علامات يوم القيامة على ما وردت به الأخبار الصحيحة حق كائن) عن حديقه بن أسيد العمري^(٢)، قال. طلع النبي عليه الصلاة والسلام علينا ومعه نكد^(٣)، فقال «ما تذاكرون؟» قالوا. مذكر الساعة قال عليه الصلاة والسلام «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدجال والدخان والدمية وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام ويأجوج وماجوج وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»^(٤). كذا في المصابيح (والله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط

(١) أخرجه مسلم ح (٢٥٩/١٦٢) من حديث أسد، وأخرجه ح (١٦٤) من حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة

(٢) أخرجه مسلم ح (٢٩٠١) من حديث حديقه بن أسيد العمري به

قال النووي في شرح صحيح مسلم (٢٧٠١٨) إسناده حسن مستدرج الطارق فطحي وقال يوم يرمعه غير مرات من أبي الطغيب من وجه صحيح قال. ورواه عبد العزيز بن رفيع وعبد الملك بن ميسرة موقوفاً هذا كلام الطارق فطحي، وقد ذكر مسند رواية بن رفيع موقوفة كما قال، ولا يقدح هذا الحديث، فإن عبد العزيز بن رفيع ثقة حافظ متفق على موثوقته فزيادته مقبولة. اهـ

مستقيم) أي يوفق ويثبت على اعتقاد صحيح وعمل صالح من تعلقت مشيئته
الأرلية في الأزل بهدائه.

قول الإمام الأعظم أبي حنيفة رحمه تعالى، والله يهدي من يشاء إلى آخره، كأنه
قال فيما علينا إلا البلاغ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، اللهم يا هادي
المهتدين اهتدنا إلى الصراط المستقيم، بعصاك وإحسانك العميم يا حلِيم، وصلى
الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، والحمد لله
رب العالمين.

تم الشرح المبارك بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

سبحانك يا ذا الجلال والإكرام



مرکز تحقیقات کتاب و اطلاع رسانی

كتاب الجوهرة المنيفة

في شرح

وصية الإمام الأعظم أبي حنيفة

نألف

الإمام المشهور بملا حسين

ابن إسكندر الحنفي

رحمهم الله تعالى



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المتوحد بوجوب الوجود والبقاء، المنعز بالقدره الكاملة والعز والكبرياء، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد أشرف الأنبياء وعلى آله وأصحابه البررة الأتقياء، يقول العبد الفقير الخفير إلى مولاه العزيز القوي المدعو بملا حسين بن إسكندر الحنفي - عامه الله بلطفه الخفي

وبعد: فإني استخرت الله في وضع شرح مختصر عن كتاب الوصية المسبوبة إلى الإمام الأعظم أبي حنيفة ع. بعد أن وقعت عن شرحه للعلامة الأكمل، وهو شرح عظيم لكن في عبارته دقة، وفيه أيضاً مداخل الفرق الصالحة؛ فيمسر التمييز عن المتعلمين، فإني إن شاء الله تعالى أذكر العبارات الموصحة ولا أذكر مداخل الفرق الضالة استقلالاً، وأيضاً أريد فيه - إن شاء الله تعالى - مواعيد لطيفة من الترهيب والترهيب، وسميته (الموهبة المنيفة في شرح وصية الإمام أبي حنيفة)

ثم أعلم أني متى ذكرت الشارح على الإطلاق فمؤلفي به العلامة الأكمل شارح هذا الكتاب، ومتى ذكرت شرح بدء لأصلي فمرادي به شرح شمس الدين محمد بن أبي النطف المقدسي، ومتى ذكرت بحر الكلام فمرادي به كتاب العلامة سيف الحق أبي المعين السمي، وبالله لتوفيق.

قال المصنف أبو حنيفة رحمه الله (الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان) أقول: ووجد في بعض نسخ المتن «ومعرفة بالقلب» والحنان بالفتح هو القلب كما قاله الأخري، والإيمان في النسخة عبارة عن التصديق، قال الله تعالى خبراً عن إحقاق يوسف عليه السلام: «وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِرٍ لَّكَ»^(١) أي بمصدق كما قاله الشارح رحمه الله كما في بحر الكلام: الإيمان شرعاً إقرار باللسان وتصديق بالقلب بوحداية الله تعالى، وفي الفقه الأكبر للمصنف: يجب أن يقول آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والقدر خيره وشره من الله تعالى.

قال المصنف أبو حنيفة رحمه الله (ولا يقرر لا يكون وحده إيماناً لأنه لو كان إيماناً لكان المنافقون كلهم مؤمنين، وكذلك المعرفة وحدها لا تكون إيماناً لأنها لو كانت إيماناً لكان أهل الكتاب كلهم مؤمنين، قال الله تعالى في حق المنافقين «وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَذِبُونَ»^(٢)) أقول: أي فيها أضمره مخالفًا لما قالوا: كذا في تفسير الجلالين، وفي القاموس: يافق في الدين أي ستر كمره وأظهر إيمانه، ويأتي زيادة إيضاح، قال: (وقد قال الله تعالى في حق أهل الكتاب: «الَّذِينَ آمَنُوا بِكُتُبِنَا بَلْ كَذَّبُوا بِعِزَّةِ رَبِّهِمْ»^(٣)) أي هم هذا «كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ»^(٤) أقول: أي بعته في كتابهم، قال ابن سلام: لقد عرفتني حين رأيته كما أحرف ابني، وعرفتني بمحمد عليه السلام أشد، رواه البحاري - كذا في تفسير الجلالين^(٥).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعبد الله بن سلام: قد أنزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ «الَّذِينَ

(١) يوسف ١٧.

(٢) المنافقون، ١.

(٣) البقرة: ١٤٦.

(٤) تفسير الجلالين (ص ٢٨)، وليس فيه عرو قول ابن سلام للبخاري

«اتَّبَعْنَهُمْ أَلَيْكَتَبَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ» فكيف يا عبدالله هذه المعرفة؟ فقال عبدالله بن سلام يا عمر لقد عرفته حين رأيت كما أعرف أبي إذا رأيته مع النسيان، وأنا أشد معرفة بمحمد ﷺ مني بأبي، فقل عمر هه رأسه ثم قال وفكك الله يا ابن سلام فقد صدقت وأصبحت^(١) - كذا في الشرح.

والحاصل أن الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالقلوب، فتارك القول كافر عبد الناس وإن كان مؤمناً عند الله في الأصح، وتترك التصديق صافق، والله التوفيق

فصل

قال المصنف أبو حيفة رحمه الله (لإيمان لا يريد ولا ينقص) أقول: هذا عند أبي حيفة وأصحابه رحمه الله، وقال رحمه الله: (لأنه لا يتصور نقصانه إلا بزيادة الكفر، ولا يتصور زيادته إلا بنقصان الكفر، وكيف يجوز أن يكون الشخص الواحد في حالة واحدة مؤمناً وكافراً؟) استدلل الإمام رحمه الله على هذا بأن زيادة الإيمان لا يتصور إلا بنقصان الكفر، ونقصانه لا يتصور إلا بزيادة الكفر، واجتماعهما في ذات واحدة في حالة واحدة محال، وهذا لأن الكفر ضد الإيمان وهو تكذيب وجحود - كذا في الشرح

وقال المصنف أبو حيفة رحمه الله في الفقه الأكبر لإيمان أهل السماء والأرض لا يريد ولا ينقص، والمؤمنون مستوون في درجة لإيمان والتوحيد، متماضون في الأعمال. فإن قيل: يرد علينا قوله تعالى: «لَيَرَدَّ ذُو الْإِمْسَاءِ»^(٢) وغير ذلك من الآيات، وقوله ﷺ: «الإيمان يرفع ويضعون شعبة»^(٣).. الحديث.

(١) عزاء السيوطي في الدر المنثور (١/٣٥٧) بل العلوي من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي عباس بحقه.

(٢) الفتح. ٤

(٣) أخرجه مسلم ح (٥٧/٣٥) من حديث أبي هريرة به. وأخرجه البخاري ح (٩) من حديث أبي هريرة بلفظ: «يضع وستون شعبة»

أجيب بأن ذلك في حق الصحوة عليه السلام لأن القرآن كان ينزل في كل وقت فيؤمنون به فيكون زيادة على الأول، وأما في حق فلا؛ لانقطاع الوحي - كذا في بحر الكلام - وروي عن ابن عباس رضي الله عنه وأبي حنيفة رضي الله عنه أنهم كانوا آمنوا بالجملة ثم يأتي فرض بعد فرض فيؤمنون بكل فرض حاصر فإداهم إيماناً بتفصيل مع إيمانهم بالجملة - كذا في الشرح - فيكون زيادة الإيمان باعتبار المؤمن به لا في أصل التصديق.

فصل

قال المصنف أبو حنيفة رضي الله عنه (والمؤمن مؤمن حقاً والكافر كافر حقاً).
أقول إن من قام به التصديق فهو مؤمن حقاً، ومن قام به حلامه فهو كافر حقاً - كذا في الشرح، ويأتي الدليل من القرآن قال (وليس في الإيمان شك كما أن ليس في الكفر شك لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾^(١) ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾^(٢) أقول قال أهل السنة والجماعة، إذا أتى بالإيمان بقول، أما مؤمن حقاً من غير شك ولا يقول أنا مؤمن إن شاء الله - كذا في بحر الكلام، وفيه أيضاً أن الاستثناء يرفع جميع العقود نحو الطلاق والعنق، فكذلك يرفع عقد الإيمان، وتماهه هناك في بعض الكتب: لو قال المؤمن: أكون مؤمناً غداً إن شاء الله تعالى أو أموت مؤمناً إن شاء الله تعالى أو يكون إيماني مقبولاً إن شاء الله تعالى يكون مستحسناً، لأن في هذا الاستثناء في الدوام والثبات والقبول لا في أصل الإيمان وذكر في الدرة المبيضة في نية الصوم - لا يبطل النية لمط إن شاء الله، وفي شرحها لأن الاستثناء هذا ليس على حقيقته وإنما هو للاستعانة وطلب التوفيق من الله تعالى؛ فلا يصير مبطلاً للنية بحلاف الطلاق والعنق وسحوه وتماه

(١) الأنفال، ٤

(٢) الب، ١٥١

هناك، والحاصل أن المؤمن إذا قال: أنا مؤمن حقًا يكون مصيبًا بالاتفاق، وإن قال: أنا مؤمن إن شاء الله، فإن قصد التعليق بالمشيئة في الحال كان مخطئًا بالاتفاق، وإن قصد التعليق في المستقبل لا يكون مخطئًا بالاتفاق.

فصل

قال المصنف أبو حيفة رحمه الله: (والعاصون من أمة محمد ﷺ كلهم مؤمنون وليسوا بكافرين). أقول: إن العبد المؤمن لا يكون كافرًا بالعسق والمعصية لأن الإيمان إقرار وتصديق، والإقرار والتصديق باق فيكون الإيمان باقياً، إلا أن تكون المعصية موجبة للكفر فيكون الإيمان زائلاً لأن الكفر يزيل الإيمان كما سبق.

فصل

قال المصنف أبو حيفة رحمه الله: (العمل غير الإيمان والإيمان غير العمل). أقول: هذا عند أهل الحق - نصرهم الله تعالى - خلافاً للخوارج، قال ابن حجر الميمني في شرح الأربعين النووية: الإيمان هو لغة التصديق، وشرط التصديق بالقلب فقط - إلى أن قال: وقيل - بشرط أن يضم إلى ذلك إقراراً باللسان وعمل بآثار الجوارح، فيكفر من أحل بواحد من هذه الثلاثة وهو مذهب الخوارج، وفيه فوائد جلية تراجع هناك.

قال: (بدليل أن كثير من الأوقات يرتفع العمل من المؤمن ولا يجوز أن يقال ارتفع عنه الإيمان؛ فإن الخائض والمساء يرتفع الله سبحانه وتعالى عنهما الصلاة، ولا يجوز أن يقال: رفع الله عنهما الإيمان وأمرهما بترك الإيمان، وقد قال لها الشارع: دعي الصوم ثم اقصيه، ولا يجوز أن يقال: دعي الإيمان ثم اقصيه). أقول: الخائض تقصي الصوم إذا ظهرت ولا تقضي الصلاة، وكذلك المساء - كما في مفتاح السعادة، فدل أن الإيمان غير العمل والعمل غير الإيمان، قال: (ويجوز أن يقال: ليس على الفقير زكاة، ولا يجوز أن يقال: ليس على الفقير إيمان).

أقول: إن الإيمان غير العمل، والعمل غير الإيمان بدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾^(١) سيأهم مؤمنين قبل إقامة الصلاة - كما في بحر الكلام.

فصل

قال المصنف أبو حنيفة رحمه الله (نقر بأن تقدير الخير والشر كله من الله تعالى، لأنه لو زعم أن تقدير الخير والشر من غيره لصار كافراً بالله تعالى وبطل توحيده) أقول: إن تقدير الخير والشر كله من الله تعالى لأنه خالق جميع الممكنات، ومن جهته الشر فيكون حلقاً له أيضاً؛ فمن زعم أي قال، إن الشر لا يكون من الله يكون كافراً لأنه أشرك بالله تعالى - كذا في الشرح، وقال علي بن سلطان محمد القاري: قد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَكَانَ حَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ» رواه مسلم^(٢)، وقال القسطلاني في المَوْعِظَاتِ الدِّينِيَّةِ: أخرج مسلم في صحيحه^(٣) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَكَانَ حَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ» وتمام هذا البحث يجيء: إن شاء الله تعالى.

فصل

قال المصنف أبو حنيفة رحمه الله (نقر) أي معشر أهل السنة والجماعة (بأن الأعمال ثلاثة: فريضة وفصيلة ومعصية) أقول: أراد بالأعمال ما يتعلق بالأخرة يشاب أو يعاقب عليه، وإلا فالأعمال ليست محصورة في ثلاثة - كذا في الشرح، قال:

(١) إبراهيم: ٣١.

(٢) صحيح مسلم ج (٢٦٥٣) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص.

(٣) انظر الهامش السابق.

(والفريضة بأمر الله) أقول قال الشارح اتفق المسلمون على أن الفرض إنما هو بأمر الله تعالى، لكنهم اختلفوا في مدلول الأمر وتامه هناك، قال (ومشيتته ومحيتته ورضاه) أقول. قال الشارح المشيئة والإرادة وحده عند المتكلمين، وقال الأخنري: يقال شيء أي أراد، وأمر صاء من الله هو إرادة الثواب على الفعل أو ترك الاعتراض، والمحبة قريب منه، قال (وقصائه وقدره) أقول الفرق بين القضاء والقدر هو أن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ إجمالاً، والقدر هو تفصيل قضائه السابق بتجاذها في المواد الخارجية مفصلة واحدة بعد واحدة، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾^(١) وتامه في شرح القرطبي على مقدمة أبي الليث (وتحليفه) أقول التحليف هو التكوين، وهو صفة الله تعالى أزلية تكوينية للعالم أي إحراج المعلوم من العدم إلى الوجود وهو غير المكون عندنا، كما في متن العفائد وشرحها - وتامه هناك، وفي التمهيد. المكون فعل المكون - بكسر الواو، والمكون - بفتح الواو - أثر التكوين، والتكوين خبر المكون - وتامه هناك، وفي شرح العفائد الأكبر. والتخليق والإشياء والفعل والصنع واحد، وهو إحداث الشيء بعد أن لم يكن لا على مثال سبق، قال: (وحكمه وعلمه) أقول. هما صفتان أربيتان لذاته تعالى وتقدس، قال. (وتوقيفه) أقول: لتوقيفه هو جعل الأسباب موافقة للسعادة والخير - كما في شرح المعقود الأكبر لأبي المنتهي.

وقبل: التوفيق هو فتح باب الطاعة وخلق باب المعصية، قال (وكتابتها في اللوح المحفوظ) أقول: يأتي الكلام عليه قريباً، قال (والعصيلة ليست بأمر الله تعالى) أقول: العصيلة ليست بأمر الله تعالى، وإلا لكانت فريضة قال: (ولكن بمشيئته

ومحبته ورضاه وقصائه وقدره وحكمه وعلمه وتوفيقه وتحليقه وكتابه في اللوح المحفوظ) أقول: بأن العبد مع أعماله وإقراره وحرفته مخلوق، فلما كان العاقل مخلوقاً فأعماله أولى أن تكون مخلوقة قال (والمعصية ليست بأمر الله تعالى ولكن بمشيئته لا بمحبته، وبقصائه لا برضاه، وبتقديره وتحليفه لا بتوفيقه) أقول: قد سبق تفسيرها، قال (وبخذلانه) أقول: الخذلان ضد التوفيق، قال (وعلمه لا بمعرفته وكتابه في اللوح المحفوظ) أقول: اختلفوا في اللوح المحفوظ، قال في دقائق الأخبار: خلق الله تعالى اللوح المحفوظ من درة بيضاء، طوله ما بين السماء والأرض سبع مرات، وعلفه بالعرش مكتوب فيه ما هو كائن إلى يوم القيامة، وعن ابن مسعود رضي الله عنه: ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام - كما في تفسير الخازن - وسعة الأرض مسيرة خمسمائة سنة البحار ثلاثمائة، ومائة خراب، ومائة عمران - ونمامه في الدر المنثور ^(١)، وذكر المصنف عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: أول ما خلق الله تبارك وتعالى اللوح المحفوظ، حفظه بها كتب فيه مما كان وما يكون، ولا يعلم ما فيه إلا الله تعالى، وهو من درة بيضاء، قوائمه ياقوتتان حراوان، وهو في عظم لا يوصف، وخلق الله سبحانه وتعالى قلماً من جوهر طوله خمسمائة عام مشفوق اللسان يبيع السور منه كما يبيع من أقلام أهل الدنيا المداد، وفي الهيئة السية للسيوطي: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى خلق لوحاً أحداً وجهيه من ياقوتة حمراء والوجه الثاني من زمردة خضراء، قلماً النور، فيه يخلق وفيه يرزق وفيه يحيى وفيه يميت وفيه يعز وفيه يذل وفيه يعمل ما يشاء في كل يوم وليلة إلى أن تقوم الساعة» ^(٢).

(١) (٤/٦٠٢)

(٢) أخرجه هذا اللفظ أبو الشيخ في العظمة ح (١٥٨/٢١) من حديث أنس بن مالك، وفي إسناده محمد بن عثمان الخزاز، قال الذهبي في التلخيص (٣/٦٤١) «عن مالك بن دينار يخبر باطل قال

فصل

قال المصنف أبو حنيفة رحمه الله (ونقر بأن الله تعالى على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة واستقرار عليه، وهو حافظ العرش وغير العرش من غير احتياج؛ فلو كان محتاجاً لما قدر على إيجاد لعالم وتدبيره كالمخلوقين، ولو كان محتاجاً إلى الخلق والقرار فقل خلق العرش أين كان الله؟ - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) أقول، إن معنى الألوهية الاستعلاء عن كل ما سواه، واعتقار كل ما سواه إليه - كذا في السنوسية، فثبت أن الله تعالى مسره عن الاحتياج وعن الخلق والقرار والمكان والزمان، وهو حقيق الكل من غير احتياج، وعن جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: التوحيد ثلاثة أحرف: أن تعرف أنه ليس من شيء ولا في شيء ولا على شيء؛ لأن من وصفه أنه من شيء فقد وصفه بأنه مخلوق فيكفر، ومن قال: إنه في شيء فقد وصفه بأنه محدث فيكفر، ومن قال: على شيء فقد وصفه بأنه محتاج محمول فيكفر.

وعن محمد بن الحسن أبا يقول: نؤمن بما جاء من عند الله تعالى على إرادة الله تعالى ولا تشتغل بكميته، وما جاء من عند رسول الله عليه السلام على ما أراد به رسول الله عليه السلام، واختلجوا في العرش قال بعضهم: هو سرير من نور، وقال بعضهم: يا قوتة حراء - كما في بحر الكلام، وقال في دقائق الأخبار: خلق الله تعالى اللوح المحفوظ من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض سبع مرات وعلقه بالعرش

الأردى متروك الحديث، والخبر أنه لوح من در وباقوت قلعه السور به يخلق ويردق ويصر ويدد، وإنما حديث ابن عباس فأخرجه أبو الشيخ في المظنة أيضاً (٤٢/١٥٩) بتعريفه موقوف عليه، وفي إسناده أبو حمزة الثمالى، وهو ضعيف رافضى، ينظر تهذيب الكمال (٤/٣٥٧-٣٥٩).

مكتوب فيه ما هو كائن إلى يوم القيامة

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره^(١) وأبو الشيخ في كتاب العظمة^(٢) عن وهب بن منبه قال: إن الله تعالى خلق العرش من نوره والكروني بالعرش ملتصق، والماء كله في جوف الكروني، والماء على متن الريح، وحول العرش أربعة أنهار: نهر من لؤلؤ يتلألأ ونهر من نار يتنطى ونهر من ملح أبيض تلمع منه الأبصار ونهر من ماء، والملائكة قيام في تلك الأنهار يسبحون الله تعالى، وللعرش السنة بعدد السنة اخلق كلهم فهو يسبح الله ويذكره بتلك السنة كلها، وأخرج ابن أبي حاتم^(٣) عن كعب الأحبار قال: إن السموات في العرش كالقديل المعلق بين السماء والأرض.

وأخرج ابن جرير^(٤) وابن مردويه^(٥) وأبو الشيخ^(٦) عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر ما السموات السبع في الكروني إلا كحلقية مُلقاة في أرض فلاة، وفضل العرش على الكروني كمصل الفلاة على تلك الحلقة، كما في الهيئة السنية للسيوطي».

فصل

قال المصنف أبو حنيفة رحمه الله: (ونقر بأن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ووحيه وتزييله لا هو ولا غيره بل هو صفة على التحقيق) أقول: وكذا الحكم في سائر صفاته تعالى، قال العلامة سيف الحق أبو المعين السمي: فنقول: الله تعالى بجميع

(١) عراه له السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٣٤).

(٢) العظمة ح (١/ ١٩٠).

(٣) عراه له السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٣٥).

(٤) تفسير الطبري (٦/ ٣) بنحوه.

(٥) عراه له السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٧).

(٦) العظمة ح (١٧/ ٢٠٧)، (٧٠/ ٢٦٠).

صفاته وأسمائه قديم أزلي، وصفت الله تعالى وأسماءه لا هو ولا غيره، لأننا لو قلنا بأن هذه الصفات هو الله يؤدي إلى أن يكون إلهين اثنين، والله تعالى واحد لا شريك له، ولو قلنا بأن هذه الصفات غير الله تعالى لكأن هذه الصفات محدثة، وهذا لا يجوز - انتهى، قال: (مكتوب في المصاحف، مقروء باللسن، محفوظ في الصدور وعبر حال فيها) أقول ليس بموضوع في المصاحف ولا يحتل الريادة والتفحصان حتى إن من أحرق المصاحف لا يحترق القرآن كما أن الله تعالى مذكور باللسن محبوب بالقلوب معبود في الأماكن، وليس بموجود في الأماكن ولا في القلوب كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾^(١) وإنما وجدنا صفاته لا شخصه - كما في بحر الكلام، والحاصل أن المكتوب في المصاحف الألفاظ الدالة على المعنى القائم بالذات، والمعنى القائم بذاته تعالى غير حال في المصاحف، قال: (والحبر والكافد والكتابة مخلوقة لأهل أعمال العباد، وكلام الله تعالى غير مخلوق لأن الكتابة والحروف والكلمات والآيات دلالة القرآن).

أقول. وجد في بعض النسخ. آلة القرآن قال: (لحاجة العباد إليها، وكلام الله تعالى قائم بذاته ومعناه مفهوم بهذه الأشياء) أقول. قال المصنف في العفة الأكبر. وما ذكره الله تعالى في القرآن عن موسى وعبره من الأنبياء وعن هرون وإيليس فإن ذلك كلام الله تعالى إخباراً عنهم، وكلام الله غير مخلوق انتهى، وقال في شرح بدء الأمالي للعلامة المقدسي: إنه قد نطق أهل الملة هل أنه تعالى متكلم، فلو لم يكن متصفاً بالكلام في الأول لكان متصفاً بصدده وهو السكوت وذلك من النقائص تعالى الله عن ذلك، ثم اختصروا منذهب أهل الحق منهم أن كلام الله

تعالى معنى قائم بذاته ليس بحرف ولا صوت؛ لأن الحرف والصوت مخلوقان، وكلام الله تعالى غير مخلوق لا متناهي قيام الحوادث بذاته تعالى؛ إذ هو من أمارات الحدوث، وتماهه هناك وغيره أيضًا كبحر الكلام.

قال: (فمن قال بأن كلام الله تعالى مخلوق فهو كافر بالله العظيم، والله تعالى معبود لا يرال كما كان وكلامه مقروء أو مكتوب ومحفوظ من غير مرايلة عنه) قال أبو يوسف رحمه الله: إن أبا حنيفة مروي في خلق القرآن ستة أشهر فاتفق رأيهم على أنه غير مخلوق، وأن من قال بخلق القرآن فهو كافر - كذا في الشرح.

هائدة

أخرج الدارمي^(١) عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «القرآن أحب إلى الله من السموات والأرض ومن فيهن» كذا في البحر الرائق، وقال علي بن أبي حمزة: من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة، ومن قرأه وهو جالس في الصلاة كان له بكل حرف خمسون حسنة، ومن قرأه في غير الصلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة، ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات، وإن كان القيام بالليل فهو أفضل لأنه أفرغ للقلب - كما في شرح شريعة الإسلام للعلامة السيد علي، وإذا علمت ما ذكر فيجب تعظيم القرآن، ومن تعطيله قراءته بالتجويد والمعمل بها فيه، وبالله التوفيق.

فصل

قال المصنف أبو حنيفة رحمه الله: (نقر بأن أفضل هذه الأمة بعد نبينا محمد ﷺ أبو بكر الصديق ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان الله عليهم أجمعين لقوله تعالى:

(١) سنن الدارمي ج (٢٣٥٨)، وفي إسناده ضعف، فيه عبد الله بن صالح صدوق كثير الغلط، ينظر مهذب الكمال (٩٨/١٥)، والرازي عن عبد الله بن عمرو رجل من شيوخ مصر.

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ أُولَئِكَ أَمْضَوْا ﴿يُخْتَصِمُ السَّعِيمُ﴾^(١) وكل من كان أسبق فهو أفضل، ومحبه كل مؤمن تقي ويعصم كل متائق شقي) أقول أجمع أهل السنة والجماعة أن أفضل الصحابة أبو بكر؛ يدل عليه أن علياً عليه السلام كان خطيباً على منبر الكوفة فقال محمد بن الحنفية: مَنْ حير هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ؟ قال أبو بكر، قال ثم من؟ قال عمر، قال ثم من؟ قال عثمان، قال ثم من؟ فسكت علي عليه السلام فقال، لو شئت لأبأتكم بالرايع، فقال محمد بن الحنفية: أنت؟ فقال علي: أبوك امرؤ من المسلمين، وإنما سكت علي لأنه لم يرد أن يمدح نفسه - كذا في بحر الكلام

فصل

قال المصنف أبو حنيفة عليه السلام (نقر بأن العبد مع أعماله وإقراره ومعرفة مخلوق؛ فلما كان العاقل مخلوقاً فأعماله أولى أن تكون محسوبة) أقول: قال أهل السنة، أفعال العباد وجميع الحيوانات مخلوقة لله تعالى لا خالق لها غيره، وهو مذهب الصحابة والتابعين وصواب الله عليهم أجمعين - كذا في الشرح.

ثم اعلم أن المذاهب في الأعمال ثلاثة، مذهب الحرية ومذهب القدرية ومذهب أهل السنة، فمذهب الحرية وجود الأعمال كلها بالقدرية الأرية فقط من غير مقارنة لقدر حادثة، ومذهب القدرية وجود الأفعال الاختيارية بالقدر الحادثة فقط مباشرة وتولداً.

لطيفة

وهي أن الإمام أبا حنيفة عليه السلام باظر معترلياً فقال له: قل يا، فقال: يا، فقال له: قل حا، فقال: حا، فقال: تبي محرجهما! فيسهما، قال: إن كنت خالق فاعلك

فأخرج الياء من محرر الحاء، عبت اعترلي - كذا ذكره الهروي.
ومذهب أهل السنة نصرهم الله تعالى وجود الأفعال كلها بالقدرية الأولية،
لأن قدرة الحادث حادثة لا تأثير لها مباشرة ولا تولدًا - كذا في المقدمة السوسية
والحاصل أن أفعال العباد واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد على معنى أن الله
تعالى أجرى عادته بأن العبد إذا صمم اعزم أي أحكمه على فعل الطاعة يخلق
الله فعل الطاعة فيه، وإذا عزم على المعصية يخلق الله فعل المعصية فيه، وعلى هذا
يكون العبد كالموجد لفعله وإن لم يكن موجدًا حقيقة - كذا ذكره العلامة
الشارح وتماه هناك

فصل

قال المصنف أبو حيفة رحمته الله (يقول) أي معشر أهل السنة والجماعة (بأن الله
تعالى خلق الخلق ولم يكر لهم قدرة لأنهم ضعفاء عاجزون) أقول: قال الشارح:
الخلق والإيجاد بمعنى واحد، والخلق بمعنى المخلوق كالضرب بمعنى
المضروب، صانع العالم أوجد المخلوقات كلها وهم ضعفاء لا قدرة لهم على تأثير
أحوالهم عاجزون عما يتم به قرام بداهم، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي
خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾^(١) انتهى.

قال (والله خالفهم ورازقهم لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ
يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾^(٢)) أقول: فيه سبحانه وتعالى خالق الخلق ورازقهم، ثم
الرزق عندنا عبارة عن العناء كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا
عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾^(٣) حلالًا كان ذلك أو حرامًا، وكل يستوفي مدة حياته مما قدر

(١) الروم ٥٤

(٢) الروم ٤٠

(٣) هود ٦

له - كذا قاله العلامة الشارح وغيره أيضًا.

فصل

قال المصنف أبو حنيفة رحمه الله (والكسب حلال وجمع المال حلال) أقول. قال أهل السنة والجماعة: إن كان له قوت فالكسب له رخصة؛ فإن كان مضطراً أو له أهل وعيال فالكسب عليه فريضة - كذا في بحر الكلام، وفيه أيضًا أن رؤية الرزق من الكسب كفر وضلال، ومن الله تعالى دين وشرعة، يدل عليه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من طلب الدنيا حلالاً استغفأ من المسألة ومسبياً على عياله وتعطفاً على جاره جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، ومن طلب الدنيا حلالاً مفاخرًا مكاثراً لقي الله وهو عليه غضبان»^(١).

وفيه أيضًا: ثم الدليل على أن الاكتساب من حلال ليس بحرام لأن الأبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا متوكلين مكسبين؛ لأن آدم ﷺ كان زراعاً، وإدريس ﷺ كان خياطاً، ونوحاً ﷺ كان نجاراً، وإبراهيم ﷺ كان براراً، وموسى ﷺ كان أجيراً للشعب ﷺ، ومحمدًا ﷺ كان عارياً - انتهى ملخصاً من بحر الكلام وتمامه هناك

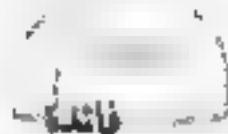
قال: (وجمع المال من الحرام حرام) أقول قوله: «وجمع المال من الحرام حرام» ظاهر لأن الحرام لا يصير حلالاً بالجمع كعكسه، وأيضاً أن الحرمة تنقل من ذمة إلى ذمة، فقال في الأشباه والنظائر في الحظر والإباحة: الحرمة تتعدى في الأموال مع العلم بها إلا في حق الوارث حين مال مورثه حلال له وإن علم

(١) أخرجه عبد بن حميد في مسنده ح (١٤٢٣)، وأبو يعين في الحلية (٣/ ١١٠)، (٨/ ٢١٥)، والبيهقي في الشعب ح (١٠٣٧٤، ١٠٣٧٥) من رواية الحجاج بن فراهة عن مكحول عن أبي هريرة به، وقال أبو يعين: «عريب من حديث مكحول، لا أعلم له راوياً عنه إلا الحجاج» اهـ وضعف إسناده العراقي في تخريج الإحياء (٢/ ٧٤)، (٣/ ١٧٣).

بحرمته، وقبده في الظهيرة بأن لا يعسم أرباب الأموال، وقال في موضع آخر: ما حرم حرم إعطاؤه كالربا ومهر لمبي وحموان الكاهن والرشوة وأجرة المائحة- انتهى من الأشياء والبطائر

تنبيه

رد دائق حرام من فضة أفصل عند الله تعالى من ستائة حجة مبرورة، وقيل: سبعين حجة متقبلة- كما في عبة الطائين للشيخ عبدالقادر الكيلاني، والدائق وزن خمس شعيرات- كما قاله الأحترى، وقيل: الدائق وزن ستمس درهم، والقيراط نصف دائق، وأخرج الترمذي وابن ماجه والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «نَفْسٌ لِلْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْبِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ»^(١)، قال العلماء: معلقة أي محسوسة عن مقامها الكريم- كما ذكره الحلال السيوطي في شرح الصدر.



من عليه ديون ومطالم جهل أربابها ويتمس من معرفتهم فعليه التصديق بقدرها من ماله وإن استغرق جميعه وتسقط عنه المطالبة في العقبى، كما في التنوير وعزاه شارحه إلى المجتبى.

فصل

قال المصنف أبو حيفة رضي الله عنه: (ثم الأس على ثلاثة أصناف: المؤمن المخلص في إيمانه) أقول قال في القاموس: أخلص لله أي ترك الرياء، وقال العلامة الشارح: المؤمن المخلص أي المصدق المقر من صحيح قلبه.

(١) أخرجه الترمذي ح (١٠٧٨، ١٠٧٩)، وابن ماجه ح (٢٤١٣)، وحسنه الترمذي، وصححه الحاكم في المستدرک ح (٢٢١٩)، وأبو يعقوب في محلیة (١٧٢/٣).

قال: (والكافر الجاحد في كفره) أي المصر، وفي القاموس: الجحود الإنكار مع العلم

قال: (والموافق المداهن في نفاقه) أقول: قال في القاموس: سافق في الدين أي ستر كفره وأظهر إيمانه، وقال الشارح: المداهن المداهن أي الذي أفر بلسانه ولم يؤمن بقلبه، وداهن مع المؤمن في نفاقه.

قال: (والله تعالى عرض على المؤمن العمل وعلى الكافر الإيمان وعلى المنافق الإخلاص بقوله تعالى: ﴿يَتْلَاهَا آلُ النَّاسِ أَنْتُمْ أَنْتُمْ﴾^(١)) يعني يا أيها المؤمنون أطيعوا ويا أيها الكافرون آمنوا ويا أيها المنافقون أحلصوا

أقول: استدلل المصنف أبو حنيفة رحمه الله على هذه الأمور الثلاثة بقوله تعالى: ﴿يَتْلَاهَا آلُ النَّاسِ أَنْتُمْ أَنْتُمْ﴾ وجعل التقوى عبارة عما ينبغي لكل واحد منهم كما فسره في المتن، ونمام هذا البحث مبسوط في الشرح.

فصل

قال المصنف أبو حنيفة رحمه الله: (وتقرر بأن الاستطاعة مع الفعل لا قبل الفعل ولا بعد الفعل) أقول: قال الشارح: الاستطاعة والمقدرة والطاقة مترادفة إذا أضيف إلى العباد.

قال: (لأنه لو كان قبل الفعل لكان العبد مستعنياً عن الله تعالى وقت الحاجة، فهذا خلاف حكم النص لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾^(٢)) ولو كان بعد الفعل لكان من المحال لأنه حصول لعمل بلا استطاعة ولا طاقة لمخلوق في فعل ما لم تقارنه الاستطاعة من الله تعالى) أقول: قال أهل الحق نصرهم الله: العبد مستطيع بفعل نفسه وقت الفعل باستطاعته؛ فإذا وجد منه الجهد والقصد

(١) الحج: ١.

(٢) محمد: ٣٨.

والنية والاكتساب في المعصية يجري حد لآن الله تعالى مع نيته وقصده فيستحق العقوبة على فعل نفسه، وإذا وجد ذلك في الطاعة فيجري عون الله تعالى وتوفيقه مع فعله - كما في بحر الكلام انتهى، والمحال بصم الميم ما لا يمكن في العقل تقدير وجوده في الخارج - كما في شرح بدء الأمالي.

فصل

قال المصنف أبو حيفة رحمه الله (ونفر بأن المسح على الخفين واجب للمقيم يومًا وليلة وللمسافر ثلاثة أيام ولياليها) أقول: المراد من الواجب هنا اعتقاد جوارره، يعني أن المسح على الخفين جائز واعتقاد جوارره واجب - ويأتي قريبًا.

قال: (لأن الحديث ورد هكذا، من أنكره فإنه يحشى عليه الكفر لأنه قريب من الخبر المتواتر) أقول: ثبت جوارره بالأحاديث المشهورة القريبة من المتواتر، ولذلك قال أبو حيفة رحمه الله من أنكر المسح على الخفين يحلب عليه الكفر، وعلى قول أبي يوسف يكفر ساجده؛ لأن المشهور عنه من قسم المتواتر، ومن العلماء من قال إنه ثبت بالكتاب على قراءة الحر - قاله الربيعي، وقد أنكره الرافضة، ولذلك كان القول به محكومًا بأنه من عقائد الإسلام - كذا في هداية ابن العماد، وفي الخلاصة: لا يصلح خلف من ينكر المسح على الخفين - كذا في بعض شروح الفقه الأكبر.

قال: (والقصر والإفطار في السفر رخصة بنص الكتاب لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا صَرَرْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلْيَسْ عَلَيَّكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾^(١) وفي الإفطار قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾^(٢)) أقول: قال العلامة الشارح: والقصر والإفطار في السفر رخصة، والمراد اعتقاد

(١) النساء ١٠١

(٢) البقرة ١٨٤

حقيقة التبديل والتأخير في أحكام الشرع باعتبار مصالح العباد فضلاً عن الله الرحيم الوهيد، وقوله تعالى ﴿وَدَا صَرْنَمَ فِي الْأَرْضِ﴾ الآية، أي إذا سافرتُم فلا إثم عليكم في قصركم الصلاة - انتهى كلامه ملخصاً.

فائدة

الرحمة ما يبس على إعداد العباد، والعزيمة ما كان حكماً أصلياً غير مبني على إعداد العباد، وتماه في البحر الرائق

فصل

قال المصنف أبو حنيفة رحمه الله. (نقرأ بأن الله تعالى أمر القلم أن يكتب، فقال القلم: ماذا أكتب يا رب؟ فقال الله تعالى: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، لقوله تعالى. ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الرَّبِّ﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ)^(١) أقول: قال الشارح رحمته الله: روي أن الله تبارك وتعالى خلق اللوح المحفوظ وحفظه بها كتب فيه مما كان وما يكون، ولا يعلم ما فيه إلا الله تعالى، وهو من درة بيضاء قوائمه ياقوتتان حمراوان، وهو في عظم لا يوصف، وخلق الله سبحانه وتعالى قلماً من جوهر طوله خمسمائة عام مشقوق لسان، ينبع النور منه كما ينبع من أقلام أهل الدنيا المداد.

قال أبو الحسن ثم نودي بالقلم أن اكتب! فاضطرب من هول النداء حتى صار له ترجيع في التسييح كصوت الرعد العاصف، ثم جرى في اللوح بما أجراء الله تعالى فيها هو كائن وما يكون إلى يوم القيامة، فامتلا اللوح وجف القلم، وسعد من سعد وشقي من شقي، ولعل هذا معنى قوله تعالى. ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الرَّبِّ﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ، أحرر الله تعالى أن جميع ما فعله الأمم كان

مكتوباً عليهم؛ قال مقاتل: كل شيء فعلوه في الزبر أي مكتوباً عليهم في اللوح المحفوظ، وكل صغير وكبير من الخلق والأعمال مستطر مكتوب على فاعليه قبل أن يفعلوه - انتهى كلام الشارح

وأخرج أبو الشيخ^(١) عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى أول شيء خلق القلم وهو من نور؛ مبرته خمائة عام، وجرى بها هو كائن إلى يوم القيامة؛ فصدقوا بكل ما بلغكم عن الله من قوته وعظمته فهو القادر القاهر، كذا في الهيئة السنية للسيوطي

وأخرج البيهقي^(٢) عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «وَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ ثُمَّ خَلَقَ الْمَرْشَ وَالْكَرْسِيَّ ثُمَّ لَوْحًا مَحْمُودًا مِنْ ذَرَّةٍ بَيْضَاءَ دَفَنَاءُ مِنْ يَاقُونَةٍ حَرَاءَ قَلَمُهُ نُورٌ وَكِتَابُهُ نُورٌ يَنْظُرُ اللَّهُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثِينَ وَبِئْسَ نَظَرًا، يَخْلُقُ اللَّهُ فِي كُلِّ نَظَرَةٍ وَبِئْسَ وَبِئْسَ وَمِزْرُومٌ ذَلِكَ وَبِئْسَ أَهْوَاءًا وَيَحْفَظُ أَهْوَاءًا، كَذَا فِي الْهَيْئَةِ السَّنِيَةِ أَيُّهَا.

فصل

قال المصنف أبو حنيفة رحمه الله. (ونقر بأن هذاب القبر كائن لا محالة) أقول: قال المصنف أبو حنيفة في الفقه الأكبر: عدب القبر حق للكفار كلهم ولبعض عصاة المسلمين - انتهى.

وقال في بحر الكلام. ثم الملام على وجهين: إن كان مطيعاً لا يكون له

(١) أخرجه أبو الشيخ في العظمة ح (٢٢٢ / ٣٣)

(٢) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ح (٨٢٨، ١٠٠٤)، والحاكم في المستدرک ح (٢٩١٧)، وأبو الشيخ في العظمة ح (٥٢ / ٢٤١) عن ابن عباس رضي الله عنه ورفقاء وصحبه الحاكم فقال: «حدثت صحيح الإسناد، فإن أبا حرة الثبالي لم ينضم عليه إلا القمل في منعه فقط». اهـ. وليس كما قال الحاكم، نعم إسناده أبو حرة الثبالي وهو ضعيف راضى، ينظر تهذيب الكمال (٤ / ٣٥٧).

عذاب القبر ويكون له صغطة، وإن كان عاصياً يكون له عذاب القبر وضغطة القبر، لكن ينقطع عنه عذاب القبر يوم الجمعة وليثته ثم لا يعود العذاب إلى يوم القيامة، وإن مات يوم الجمعة أو ليثته يكون له العذاب ساعة واحدة وضغطة القبر ثم ينقطع عنه العذاب ولا يعود إلى يوم القيامة، ويكون الروح متصلاً بالجسد، وكذا إذا صار تراباً يكون روحه متصلاً بجسده فيتألم الروح والتراب. انتهى ملخصاً.

وقال في خزنة الروايات: إذا كان كافراً بعدته يدوم إلى يوم القيامة، ويرتفع عنه العذاب يوم الجمعة وشهر رمضان بحرمة النبي عليه الصلاة والسلام انتهى
فإن قيل: كيف يوجع اللحم في القبر ولم يكن فيه الروح؟

فالجواب: سئل النبي ﷺ أنه قيل له: كيف يوجع اللحم في القبر ولم يكن فيه الروح؟ فقال ﷺ: «كما يوجع سنك، ولم يكن الروح» - كما في بحر الكلام ونهاية هناك

فصل

قال المصنف أبو حنيفة رحمه الله: (نقر بأن سؤال منكر ونكير حق لورود الأحاديث) أقول: سؤال منكر ونكير حق، وهما ملكان إذا وضع العبد في قبره يأتیان ويقعدان العبد سوياً ويسألانه: من ربك ومن نبيك وما دينك؟ فيقول المؤمن في الجواب الله ربي ومحمد نبي والإسلام ديني

قال بعضهم: تدخل الروح في الجسد كما في الدنيا، وقال بعضهم: السؤال للروح دون الجسد، وقال بعضهم: تدخل الروح إلى الصدر، وقال بعضهم: تدخل الروح بين الجسد والكف، والصحيح بحسب مؤمن بذلك ولا يشتغل بكيفية - كما نبه عليه في دقائق الأخبار وغيره

ثم الحكمة في سؤال منكر ونكير أن الملائكة طعنت في بي آدم حيث قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ؟﴾^(١) الآية فرد الله عليهم قوتهم وقال: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فبعث الله المنكبين إلى قبر المؤمن يسألانه عن ذلك إلى آخره فيأمرهما أن يشهدا بين يدي الملائكة بما سمعا من العبد المؤمن؛ لأن أقل الشهود اثنا، ثم يقول الرب جل وعلا يا ملائكتي قد أحدثت روحه وتركت ماله لغيره، وروجه في حجر غيره، وجاريتة لغيره، وضياعه لغيره، وأحبائه لغيره؛ فيسأل في بطن الأرض فلم يجب عن أحد إلا عني، فقال: الله وبي ومحمد نبي والإسلام ديني، لتعلموا أب أعسم ما لا تعلمون - كذا في دقائق الأحبار

فصل

قال المصنف أبو حنيفة رحمه الله (ونقرأ بأن الجنة والبار حق، وهما مخلوقتان الآن، لا تعيان ولا يمس أهلها لقوله تعالى في حق المؤمنين: ﴿أَعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٢) وفي حق الكفار: ﴿أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾^(٣) خلقتهم لنواب والعقاب) أقول: قال أهل السنة والجماعة نصرهم الله: سبعة لا تنفى: العرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار بأهلها والأرواح، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَفُزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾^(٤) يعني الجنة والنار بأهلها من ملائكة العذاب والحرور المين - كما في بحر الكلام ملخصاً.

فإن قيل: يرد عليكم قوله تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(٥) أجيب: لا

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) آل عمران: ١٣٣.

(٣) البقرة: ٢٤.

(٤) النمل: ٨٧.

(٥) القصص: ٨٨.

يرد بها تقدم من الاستثناء، وأيضاً قال القسطلاني في تفسير قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ أي إلا ذاته، فإن ما عداه عكس هالك في حد ذاته معدوم - انتهى كلام القسطلاني.

وقال العلامة الشارح: قلنا لا نسلم أن قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ يدل على أن ما سوى الله تعالى يعدم، فإن معناه أن كل شيء بما سوى الله تعالى معدوم في ذاته بالنظر إلى ذاته من حيث إنه ممكن مع قطع النظر عن وجوده؛ لأن كل ما سواه ممكن، والممكن بالنظر إلى ذاته لا يستحق الوجود فلا يكون بالنظر إلى ذاته موجوداً - وتمامه هناك.

وفي شرح الجوهرة للقي. فقد استلوا من ذلك العرش والكرسي والجنة والنار وأهلها فلا يترتبها هلاك ولا فناء، ومثل هذا الجواب عن ابن عباس رضي الله عنه، وزاد استثناء اللوح والقلم والأرواح، وفيه أيضاً أن معنى هالك قابل للهلاك من حيث إمكانه وانقارء، وكذلك معنى فناء؛ فلو معناه قابل للفناء - وتمامه مبسوط هناك، فهذا كله رد على المعتزلة والجهمية.

فائدة

خلق الله الجنة فوق سبع سموات لا في السموات، وكيف يقال بأنها في السموات وهي ألف مرة مثل السموات، قال الله تعالى: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْأَوَّيِّ^(١) والسدرة فوق سبع سموات، وكذلك جهنم تحت الأرض السابعة قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لِي فِي سَجِينٍ﴾^(٢) والسجين تحت الأرض السابعة؛ فأرواح الكفار يذهب بها إلى سجين، وأرواح

(١) النجم: ١٤-١٥

(٢) المطمحين: ٧

المؤمنين وأنشدهاء إلى عليين - كما في بحر الكلام.

فصل

قال المصنف أبو حنيفة رحمته الله (ويقرر بأن الميزان حق لقوله تعالى: ﴿وَنُظِّعُ الْمُؤَوزِينَ الْفِئْطَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(١)) أقول الميزان حق للكفار والمسلمين، وهو صارة عما يعرف به مقادير الأعمال وتورن به أعمالهم خيرا كان أو شرا - كذا ذكره الشارح، وعن ابن عباس رحمته الله أنه قال: تكتب الحسنات في صحيفة وتوضع في كفة والسيئات في كفة أخرى، وقال محمد بن علي الترمذي: يوزن العمل من غير رجل، أي يوزن عمله دون شخصه فيرى ذلك كالور والشمس والقمر وهذا للمسلم، أما عمل الكافر كظلمة الليل.

ثم إن العمل وإن كان مرضا بالله سبحانه وتعالى قادر على أن يصيره بحال يمكن أن يوضع ويرى.

وقال الشيخ الإمام المفسر: إيمان المرء لا يورن لأنه ليس له ضد يوضع في كفة أخرى؛ لأن صفة الكفر، والإنسان الواحد لا يكون فيه الإيمان والكفر - كذا في بحر الكلام ليس الحق أي المعين السمي، وفي تفسير المعني أي السعود أمدي. إن أعمال الكفار لا تورن ولا يوضع لهم ميزان قطعا.

فإن قيل: أين محل الحسنات وأين الميزان؟

قلنا: الميزان والحساب على الصراط فيوزن حسنات كل واحد وسيئاته؛ فمن ثقلت موازينه يمضي إلى الجنة، ومن كان من أهل الشقاوة يسقط في النار، لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ أَمَّحَى مِنْ يَسْقُطُ فِي النَّارِ كَالْطَّرِ»، كذا في بحر الكلام، وروي عن ابن عباس رحمته الله قال: ينصب الميزان يوم القيامة بين

عمودين طول كل عمود منهما ما بين المشرق والمغرب، وكفة الميران كأطباق الدنيا طولها وعرضها، وإحدى الكفتين عن يمين العرش وهي كفة الحسنة، والأخرى عن يسار العرش وهي كفة السيئة، وبين الموازين كره وس الجبال من أعمال الثقلين مخلوعة من الحسنات والسيئات في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة - كما في دقائق الأحبار.

فصل

قال المصنف أبو حنيفة رحمه الله: (ويفر بأن قراءة الكتاب يوم القيامة حق لقوله تعالى ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ اِتِّمَامٌ عَلَيْكَ حِسَابًا﴾^(١)) أقول: يقال له: اقرأ كتابك الذي أملائه بالعلم في الدنيا كفى بنفسك اليوم عليك حسابًا، وإذا جمع الله الخلائق في عرصات القيامة وأراد أن يحاسبهم نطائر عليهم كتبهم كتطائر الثلج، وينادي من قبل الرحمن: يا فلان خذ كتابك بيمينك! ويا فلان خذ كتابك بشمالك! ويا فلان خذ كتابك من وراء ظهرك، فلا يقدر أحد أن يأخذ كتابه إلا كما أمر، فالأتقياء يعطون كتابهم بأيديهم، والأشقياء تشاءنهم، والكفار من وراء ظهورهم كما قال الله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِمَجْهَرَةٍ﴾^(٢)... الآية، كما في دقائق الأخبار.

وفي الخبر: إذا أراد الله تعالى محاسبة الخلائق ينادي مباد من قبل الرحمن. أيسر النبي ﷺ الهاشمي الحرمي؟ فيعرض رسول الله ﷺ فيحمد الله ويشي عليه فتتعجب الجموع منه ويسأل ربه أن لا يفضح أمته، فيقول تعالى: اعرض أمثلك لحسابهم يا محمد، فيعرضون فيحاسبهم الله تعالى، فمن حاسبه حسابًا يسيرًا لا

(١) الإسراء: ١٤

(٢) الخاقعة: ١٩.

يعصب عليه ويجعل سيئاته داخل صحيفته وحسناته ظاهر صحيفته ويوضع على رأسه تاج من ذهب مكلل بامر والخور، ويلبس سبعين حلة، ويجعل له ثلاثة أسورة سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ، فيرجع إلى إخوانه المؤمنين فلا يعرفونه من حمته وكماله، ويكون يمينه كتاب أعمال حسناته والبراءة من النار مع الخلد في الجنة، يقول لهم أتعرفوني أنا فلان ابن فلان قد أكرمني الله تعالى وبرأي من النار وحسن في دار الخان - كما في دقائق الأخبار

وأما الكافر فيوضع على رأسه نح من نار ويلبس حلة من نحاس دائب، ويقلد على عنقه حلل الكبريت ويشعل فيه النار، ويعمل يده إلى عنقه ويسود وجهه وتزرق عيونه فيرجع إلى إخوانه، فإذا راوه فزعوا منه ونفروا عنه فلا يعرفونه حتى يقول أنا فلان، ثم يهرونه على وجهه إلى النار هؤلاء الكفار الذين يؤتون كتابهم بشمالهم فلا يأخذونهم بشمالهم ولكن يأخذونها من وراء ظهورهم، على ما روي عنه الله ^(١) إن الكافر إذا دُعي للحساب باسمه فيقدم ملك من ملائكة المذاب فيشق صدره حتى يخرج يده اليسرى من وراء ظهره بين كتفيه ثم يعطى كتابه بشماله ^(٢) كما في دقائق الأخبار أيضًا وتماه هناك، وعن أبي هريرة ^(٣) عن النبي ^(ص) قال: «ما بين مكيتي الكافر مسيرة ثلاثية أيام للراكب المسرع» ^(٤)، رواه البخاري ومسلم وغيرهما كما في الترغيب والترهيب ^(٥).

فصل

قال المصنف أبو حنيفة ^(ص) (ونفر بأن الله يحيي هذه النفوس بعد الموت ويعيّنهم في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة للجزاء والثواب وأداء الحقوق): أقول، أجمع المسلمون على أن الله يحيي الأبدان بعد موتها، ويبعث الموتى من القبور ومن أجواف

(١) أخرجه البخاري ح (٦٥٥٣)، ومسلم ح (٢٨٥٢).

(٢) الترغيب والترهيب (١/٢٦٣).

الوحوش ومن حواصل الطيور بأن يجمع أجزءهم الأصلية بعد إعادة ما فني منها بعينه، ويعيد الأرواح إليها، وهذا هو الشر، ثم يسوقهم إلى الموقف، وهذا هو الحشر، فيجرهم إن خيراً فخير وإن شراً شر - كما في شرح بدء الأمالي

قال: (لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَتَعَفَّىٰ عَنْ فِي الْقُبُورِ﴾^(١)) أقول: قال المصنف في لفقه الأكبر والفصاح في بيان الخصور بالحسرات يوم القيامة حق؛ فإن لم تكن لهم حسنات فطرح السيئات عليهم حق جائز، وقال شارحه قال رسول الله ﷺ «من كانت له مظلمة لأخيه من شيء أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحوّل عليه»^(٢)

وقال رسول الله ﷺ «أندرون من المجلس؟ المجلس من أمني من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا وكلف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا؛ فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن قُتِلَ قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»^(٣) انتهى

روي أنه يؤخذ يوم القيامة بالذائق ثوب صبيحة صلاة بالجماعة - كما في شرح مية المصلي والمحرم الرائق وغيرهما، والذائق وزن خمس شعيرات كما قاله الأحترى، وقيل: وزن سدس درهم، والقبراط: نصف ذائق

قائلة

من عليه ديون ومظالم جهل أربابها وينس من معرفتهم فعليه التصديق بقدرها من ماله، وإن استغرق جميعه وتسقط عنه المطالبة في العقبى، كما في التوير وعزاه شارحه إلى المجنبى، وفي عمدة العناوى: إذا وجد لقطة وعرفها ولم يجد صاحبها

(١) الحج ٧٠.

(٢) أخرجه البخاري ح (٢٤٤٩) من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه مسلم ح (٢٥٨١) من حديث أبي هريرة.

وهو محتاج فاعها وأفق على نفسه ثم وجد ما لا يجب عليه أن يتصدق
مثل ما أفق

ثم الذنوب على أوجه: منها ما يكون به وبين ربه كالرنا وشرب الخمر
والغيبه والبهتان إذا لم يلدع صاحبها الخبر ترتفع بالتوبة، أما إذا بلغه الخبر لا
ترتفع ما لم يجعله في حل؛ وأما ترك الصلاة والزكاة والصوم لا يرتفع بالتوبة إلا
بقضاء الفرائض - كذا في بحر الكلام ملخصاً.

فصل

قال أبو حيفة رحمه الله (ويعرف بأن لقاء الله تعالى لأهل الجنة حق ملاكيفية ولا
تشبه ولا جهة) أقول لقاء الله تعالى لأهل الجنة حق، يعني أن رؤية الباري عز
وجل في الآخرة لأهل الجنة حق، ولا يكون به وبين خلقه مسافة؛ لأن الله تعالى
موجود، ورؤية الموجود غير إلهاء يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّشْرِقَةٌ
﴿١﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (١) وغير ذلك من الآيات والسنن.

فصل

قال المصنف أبو حيفة رحمه الله (وشهادة يسا محمد صلى الله عليه وسلم حق لكل من هو من
أهل الجنة وإن كان صاحب كبرية) أقول: بأن شهادة نبينا عليه أفضل الصلاة
يوم القيامة لعصاة الأمة حق، كما قال تعالى ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا
مَّحْمُودًا﴾ (٢)، ولقوله صلى الله عليه وسلم «شهادتي لأهل الكبائر من أمتي» (٣)، والمراد بالكبائر

(١) القيامة ٢٢-٢٣

(٢) الإسراء: ٧٩

(٣) أخرجه أبو داود ح (١٧٣٩)، والترمذي ح (٢٤٣٥)، وقال: حديث حسن صحيح غريب من
هذا الوجه. اهـ. وصححه ابن حبان ح (٦٤٦٨)، والحاكم في المستدرک ح (٢٢٩، ٢٢٨)،
٢٣٠ من حديث أسد به، وأخرجه الترمذي ح (٢٤٣٦)، وقال: حديث حسن غريب من
هذا الوجه. اهـ. وصححه ابن حبان ح (٦٤٦٧)، والحاكم في المستدرک ح (٢٣١) من حديث

ها ما هذا الشرك لقوله تعالى: ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(١).

فإن قيل: أنتم أنتم الشعاعة للمؤمنين، والمعترلة بقولون: مرتكب الكبيرة يخرج من الإيمان، واستدلوا بظاهر قول النبي ﷺ «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(٢). قلنا أراد به إذا استحل ذلك، ما روي عن النبي ﷺ أنه قال لأبي ذر الغفاري ؓ: «تَنَادَى فِي النَّاسِ: مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَإِنْ رَمَى وَإِنْ سَرَقَ»^(٣). كذا في بحر الكلام للعلامة سبب الحق أبي المعين النسفي وخيره.

فإن قيل طاهر الحديث يقتضي أن من قال لا إله إلا الله في عمره ولو مرة واحدة يموت على الإيمان قطعاً ويدخل الجنة مع أن الموت على الإيمان لا يقطع به لأحد إلا لمن أحبر الصادق ع بأنه يدخل الجنة، قلت: هذا الحديث وأمثاله مفيد بقيد يفهم من أحاديث أخرى، والتقدير من قال لا إله إلا الله ومات على ذلك دخل الجنة.

فصل

قال المصنف أبو حنيفة ؓ: (ونقرأ بأن عائشة بعد حديجة الكبرى رضي الله تعالى عنها أفضل نساء العالمين وهي أم المؤمنين ومطهرة عن الزنا وبريئة عما قال الروافض فمن شهد عليها بالزنا) أقول: من افتري عليها واتهمها به (فهو ولد الزنا) أقول. قال الشارح: بل هو كافر، لأنه ينكر الآيات الدالة على برائة صاحبها رضي الله عنها وعن

جابر به ويشهد لها ما أخرجه البخاري ح (٦٣٠٤، ٧٤٧٤)، ومسلم ح (١٩٩) من حديث أبي هريرة ؓ «أختي دعوتى شعاعة لأمتي يوم القيامة»

(١) النساء ٤٨

(٢) أخرجه البخاري ح (٢٤٧٥)، ومسلم ح (٥٧) من حديث أبي هريرة به

(٣) أخرجه البخاري ح (٥٨٢٧)، ومسلم ح (٦٤)، وليس فيه أنه أمره أن ينادي في الناس

أيها، ومن أنكر آية من القرآن فهو كافر - انتهى ملخصاً

فصل

قال المصنف أبو حبيبة رحمه الله (وغيره بأن أهل الجنة في الجنة خالدون وأهل النار في النار خالدون لقوله تعالى في حق المؤمنين: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١) وفي حق الكافرين: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٢)) أقول: إن قوله: «وأهل الجنة في الجنة خالدون إلخ» إشارة إلى أن المفرد عن الكفر لا يجوز عقلاً هدمًا حلالًا للأشعري، ولتحديد المؤمنين في النار وتحديد الكافرين في الجنة عدمه يجوز عقلاً أيضًا، وعدنا لا نحور، لأن الحكمة تقتضي التفرقة بين المحسن والمسيء، ولهذا استعد الله انتسوية بهما لقوله تعالى: ﴿أَمْ تَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ تَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾^(٣) «أَمْ تَجْعَلُ الَّذِينَ أَحْبَبْتَ أَحْبَبُوا الْبَاطِلَ أَنْ تَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَعَهُمْ وَمَعَ أَهْلِهِمْ سَاءَ مَا تَحْكُمُونَ»^(٤) - كذا ذكره الشارح، وأدلتنا وأدلتهم مبسوطة في الشرح - والله أعلم.

• • •

(١) الأعراف: ٤٢

(٢) البقرة: ٣٩

(٣) ص: ٢٨.

(٤) الجن: ٢١

تقمة في الترغيب والترهيب وغيره

الترغيب في ذكر الجنة

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله! حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: «لَيْتُهُ مِنْ ذَهَبٍ وَلَيْتُهُ مِنْ مِصْبِي، وَحَصْبَاؤُهَا اللَّوْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَمِلَاطُهَا الْمِسْكُ وَتَرَائِبُهَا الزَّعْفَرَانُ، مَنْ بَدَحَلَهَا بِنَعْمٍ وَلَا يَبْأَسُ وَيُخْلَدُ وَلَا يَمُوتُ؛ لَا تَبْلُ ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ»^(١) - كذا في الدر المنثور^(٢).

الملاحظ: بكسر الميم هو الذي يجعل بين لسة الذهب والفضة.

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «الْكَوْثَرُ تَهْرُ فِي الْجَنَّةِ حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ وَتَجْرَاهُ عَلَى الدَّرِّ وَالْيَاقُوتَةُ وَتَرِبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَمِصْبَاهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ»^(٣) - رواه ابن ماجه والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح - كذا في الترغيب والترهيب^(٤)، وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً لَلَّذِي لَهُ ثَمَانُونَ أَلْفَ خَادِمٍ»^(٥)، الحديث رواه الترمذي، وتمامه في الترغيب والترهيب^(٦).

وفي دقائق الأخبار قال كعب: مثل رسول الله ﷺ من أشجار الجنة، فقال:

(١) أخرجه الترمذي ح (٢٥٢٦)، وأحمد في مسنده (٣٠٤ / ٢)، وعبد بن حميد في مسنده ح (١٤٢٠)، وابن حبان في صحيحه ح (٧٣٨٧)، وفي الترمذي: «حديث ليس إسناده بذلك القوي، وليس هو عدي متصل، وقد روي هذا الحديث بإسناد آخر عن أبي مدلة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ». اهـ

(٢) الدر المنثور (٩٢ / ١).

(٣) أخرجه الترمذي ح (٣٣٦١)، وابن ماجه ح (٤٣٣١).

(٤) الترغيب والترهيب (٢٨٥ / ٤).

(٥) أخرجه الترمذي ح (٢٥٦٢)، وقال: «حديث عربي لا يعرفه إلا من حديث رشدين». اهـ

(٦) الترغيب والترهيب (٢٧٩ / ٤).

«لا تيسر أخصائها ولا تسقط أوراؤها ولا تعسى أرطائها»، وفيه أيضًا عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن في الحمة شجرة يبر الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها^(١)، وفيه أيضًا قال النبي ﷺ: «الحمة بيضاء تتلألأ لا ينأى أهلها ولا شمس فيها ولا ليل فيها ولا نوم فيها لأن السوم أخو الموت».

وعيه أيضًا أن أهل الجنة لا يرفون ولا يمتشطون ولا يكون لهم شعر إلا بطء والعانة إلا لحاجبين وشعر الرأس والعين ثم يزدادون كل يوم جمالًا وحسنًا كما يزدادون في الدنيا هرمًا - انتهى كلام دقائق الأحبار.

وعن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ فقال: يا أبا القاسم ترعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ قال: نعم والذي نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع، قال: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس في الحمة أدى، قال: «فتكون حاجة أحدهم رشحًا يفيض من جلودهم كرشح المسك فيضمر بطنه»^(٢)، رواه أحمد والنسائي وغيرهما، كذا في الترغيب



(١) أخرجه البخاري ج (٤٨٨١)، ومسلم ج (٢٨٢٦).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣٦٧/٤)، والنسائي في الكبرى ج (١١٤٧٨)، وصححه ابن حبان ج (٧٤٢٤)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢٩١/٤): «رواه عنه صحيح».

أحمد، وقال العراقي في تهذيب الإحياء (٢٥١/٤): «إسناده صحيح».

الترهيب من ذكر جهنم - أعادنا الله منها

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال جاء جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا جبريل صف لي النار وانمت لي جهنم»، فقال جبريل عليه الصلاة والسلام: إن الله تعالى أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام حتى ابصت ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت، ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة لا يبصر، شررها ولا يطفأ لها، والذي بعثك بالحق لو أن قدر ثقب إبرة فتحت من جهنم لذات من في الأرض كلهم^(١) وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: لو أن رجلاً من أهل النار أخرج إلى الدنيا لمات أهل الدنيا من وحشة منظره ونش ريحه^(٢)



(١) أخرجه الطبراني في الأوسط ح (٢٥٨٣) من طريق سلام الطويل عن الأجلح عن عبدالله الكندي عن عدي بن عدي الكندي عن عمر بن الخطاب به، وقال «لا يروى هذا الحديث عن عمر إلا بهذا الإسناد، ثم رده سلام» اهـ وقال بر رجب الحبل في التحريف من النار (ص ٥٥) «سلام الطويل ضعيف جداً» اهـ وقال المصنف في المجمع (٢٠٦/١٠): «فيه سلام الطويل وهو يجمع على ضعفه» اهـ.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الرقة واليكاء ح (١٠٤)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢٦٣/٤): «رواه ابن أبي الدنيا موقوفاً في إسناده ابن خزيمة» اهـ.

الترهيب أيضاً من دخول

بعض عصاة المؤمنين النار اللهم أجرتنا منها

إذا ألقى عصاة المؤمنين في النار سادوا بأجمعهم لا إله إلا الله فترجع عنهم النار، فيقول مالك: يا نار خذيهم، فتقول النار: كيف آخذهم وهم يقولون لا إله إلا الله، فيقول مالك: نعم بذلك أمر رب العرش العظيم فتأخذهم! منهم من تأخذه إلى قدمه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى سترته، ومنهم من تأخذه إلى حلقه؛ فإذا قرب صوت النار إلى وجوههم يقول مالك: يا نار لا تحرقي وجوههم فطالما سجدوا للرحمن ولا تحرقي قلوبهم فطالما عطشوا من شدة ومضان فيقول: ما شاء الله - انتهى كلام دقائق الأخبار، وبعد ما أنعم الله تعالى حكمه فيهم وانتقم منهم يخرجون من النار بشفاعة محمد ﷺ؛ فإذا رأى أهل النار أن المسلمين قد خرجوا من النار قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين وكنا نخرج من النار، وهو قوله تعالى: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾^(١) كما في دقائق الأخبار، ثم يدخلون الجنة بحمص فصل أرحم الراحمين ويخلدون في الجنة أبداً كما ذكر.



فوائد في عجائب قدرة الله تعالى جل جلاله

فائدة

يروى في الأخبار المأثورة المشهورة أن الله تعالى لما أراد أن يخلق السموات والأرض خلق جوهرية مثل السموات السبع والأرضين السبع ثم نظر إليها نظرة هية فصارت ماء ثم نظر إلى الماء فعلى وعلاء ردد ودحان؛ فخلق من الردد الأرض ومن الدحان السماء - كذا في قصص الأنبياء

فائدة

قال الربيع بن أنس: سماء الدنيا موج مكشوف، والثانية من صخرة، ولثالثة من حديد، والرابعة من نحاس، والخامسة من فضة، والسادسة من ذهب، والسابعة من ياقوتة^(١) - كذا في قصص الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

فائدة

خلق الله في الأرض الثالثة خلقاً وجوههم مثل وجوه بني آدم، وأفواههم كأفواه الكلاب، وأيديهم كأيدي الإنس، وأرجلهم كأرجل البقر، وأذانهم كأذان المعز، وأشعارهم كأشعار الصبيان، لا يعصون الله تعالى طرفة عين، ليس لهم ثواب، لولنا سهارهم وسهارنا ليلهم - كذا في قصص الأنبياء.

فائدة

يروى أن الملائكة قالت يا رب! لو أن السموات والأرض حين أمرتهما عصبياك ما كنت صانعا بهما؟ قال: كنت أمر دابة من دوابي فتبلغهما، قالوا: يا رب! وأين تلك الدابة؟ قال: في مرج من مروحي، قالوا: يا رب! وأين ذلك

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط ح (٥٦٦١)، وأبو الشيخ في المعتمد (١٠٤٤/٣) عن طريق حكيم بن سنان عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس به، وقال الطبراني: لا يروى هذا الحديث عن الربيع بن أنس إلا بهذا الإسناد يعزده حكيم بن سنان - مع.

المرج؟ قال في علم من علومى - كذا في قصص الأنبياء - صلوات الله تعالى
وسلامه عليهم أجمعين - للثعالبي.
والحمد لله رب العالمين



كتاب الإبانة عن أصول الديانة

للشيخ العلامة

أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري رحمه الله



مرکز تحقیقات کتاب و اطلاع رسانی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال السيد الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري البصري رحمه الله: الحمد لله الواحد، العزيز الماحد، المتعبد بالتوحيد، والمتمجد بالتمجيد، الذي لا تبلى صفاته العبد، ليس له مارع ولا نديد، وهو المبدئ والمعيد، المعال لما يريد، جل عن اتحاد الصواحب والأولاد، وتقدس عن ملاسة الأجاس والأرجاس، ليست له صورة تقال، ولا حد يضرب له المثال، لم يزل بصفاته أولاً قديراً ولا يزال عالماً خبيراً، استوفى الأشياء علمه، وتقدت فيها إرادته، ولم تعرب عنه خفيات الأمور، ولم تعميره سوا الف صروف الدهور، ولم يلحقه في خلق شيء مما خلق كلال ولا تعب، ولا منه لعوب ولا نصب، خلق الأشياء بقدرته، ودبرها بمشيئته، وقهرها بجبروته، وذلها بعزته، فذل لعظمته المتكبرون، واستكان لعزته المتهظمون، وانقطع دون الروح في علمه العالمون، وذلت له الرقاب، وطارت في ملكوته طس دوي الألباب، وقامت بحكمته السموات السبع، واستقرت الأرض للهاد، وثبتت الحبال الرواسي، وحرت الرياح اللواقح، وسار في جو السماء السحاب، وقامت على حدودها البحار، وهو الله الواحد الصهار

فحمده كما حمد نفسه وكما هو أهله ومستحقه، وكما حمده الحامدون من جميع خلقه، ويستعيبه استعانة من فوح أمره إليه، وأقر أنه لا منتجأ ولا ملجأ منه إلا إليه، ونستغفره استعفار مقرر بذنبه معترف بخطيئته

وبشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً بوحديته وإخلاصاً لربوبيته، وأنه العالم بما تبطه الصائتر ونطوي عليه السرائر، وما تخفيه النفوس وما تحس البحار، وما توارى الأسراب، وما تعبض الأرحام وما تزداد، وكل شيء عنده بمقدار، لا توارى عنه كلمة ولا تعيب عنه غائبة، وما تسقط من ورقة

إلا يعلمها ولا حجة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين، ويعلم ما يعمل العاملون وما ينقلب إليه المقلبون، وتستهديه بالهدى ونسأله التوفيق لمجانبة الردى.

ونشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله وبيبه وأمينه وصفيه، أرسله إلى خلقه بالبور الساطع، والسراح اللامع، والحجج الظاهرة، والبراهين والآيات الباهرة، والأعاجيب القاهرة، فبلغ رسالة ربه وصح لأمنه، وجاهد في الله حق جهاده، حتى تمت كلمة الله عز وجل وظهر أمره، وانقاد الناس للحق خاضعين حتى أتاه اليقين، لا وائياً ولا مقصراً؛ فصلوات الله عليه من قائد إلى هدى مسين، وعلى أهل بيته الطيبين، وعلى أصحابه المنتهيين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، عرفنا الله به الشرائع والأحكام، والحلال والحرام، وتبين لنا به شريعة الإسلام حتى انجلت عما طغىء الظلم، وانحسرت عنكم به الشبهات، وانكشفت عنا به الغيابات، وظهرت لنا به البينات، جاءتكم كتاب هدير لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، جمع فيه علم الأولين والآخرين، وأكمل به الفرائض والدين، فهو صراط الله المستقيم وحبله المتين، فمن تمسك به نجا، ومن تخلف ضل وغرى، وفي الجهل تردى، وحث الله في كتابه على التمسك بسنة رسوله ﷺ فقال عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١) وقال عز وجل: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢) وقال: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾^(٣) وقال: ﴿فَلَنْ تَنزِعَهُمْ مِنْ شَيْءٍ فَرُدُّوهُ

(١) الحشر: ٧

(٢) البور: ٦٣.

(٣) المائدة: ٨٣.

إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ»^(١) يقول: إلى كتاب الله وسنة نبيه، وقال: «وَمَا يَسْطِيقُ عَنْ أَهْوَى»^(٢) «إِنْ هُوَ إِلَّا وَخْيُ يُوحَى» وقال: «قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي بِغَيْرِ فَقْدٍ»^(٣) «إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَى إِلَيَّ»^(٤) وقال: «إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيُخْرِجَهُمْ مِنَ الْظُلُمَاتِ إِلَى النُّورِ أَنْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا»^(٥)، فأمرهم أن يسمعوا قوله ويطيعوا أمره ويحذروا محلفته، وقال: «قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ»^(٦) فأمرهم بطاعة رسوله كما أمرهم بطاعته ودعاهم إلى التمسك بسنة نبيه كما أمرهم بالعمل بكتابه، فبد كثير من علبت عليه شقوته واستحوذ عليهم الشيطان من نبي الله ﷺ وراء ظهورهم، ومالوا إلى أسلاف لهم قلوبهم دينهم ودانوا بديانتهم، وأبطلوا سنن نبي الله ﷺ ودعوا رها وأنكروها وجحدوها افتراء منهم على الله، قد ضلوا وما كانوا مهتدين.

أوصيكم عباد الله بتقوى الله عز وجل واحذركم الدنيا فإنها حلوة خضرة تمر أهلها وتخدع ساكنها؛ قال الله تعالى: «وَأَحْزَبَتْ لَهُمْ مَقَلَّ الْحَمِيمَةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِمُ النَّارُ الْأَرْضُ فَاخْتَبَعَ فَشِيمًا تَذَرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا»^(٧) «مَنْ كَانَ فِي حَبْرَةٍ أَهْلَتْهُ بِعَدَا عَمْرَةٍ، وَمَنْ أَهْلَتْهُ مِنْ سِرَائِهَا بَطُلًا أَهْلَتْهُ مِنْ صِرَائِهَا صَهْرٌ، حَرَارَةُ عُرُورٍ مَا فِيهَا؛ فَانِيَةٌ فَإِنْ مَا عَلَيْهَا؛ كَمَا حَكَمَ عَلَيْهَا رَبُّهَا بِقَوْلِهِ إِذْ يَقُولُ: «كُلُّ مَنْ عَلَيَّا فَإِنْ»^(٨) فاعملوا بحكم الله للحياة الدائمة والخلود الأبد؛ فإن الدنيا تنقضي عن أهلها وتبقى

(١) النساء: ٥٩.

(٢) يونس: ١٥.

(٣) النور: ٥١.

(٤) النور: ٥٤.

(٥) الكهف: ٤٥.

(٦) الرحمن: ٢٦.

الأعمال قلائد في رقاب أهلها

واعلموا أنكم ميتون ثم إنكم من بعد موتكم إلى ربكم راجعون: ﴿لِيُخْرِجَ
الَّذِينَ اسْتَفْهَمُوا بِمَا عَمِلُوا وَيُخْرِجَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾^(١) فكونوا بطاعة ربكم
هاملين وعما نهاكم عنه متتهين.

• • •

باب في إبانة قول أهل الزيغ والبدعة

أما بعد: فإن كثيراً من الرافضيين عن الحق من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم، ومن مصى من أسلافهم فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلاً لم ينزل الله به سلطاناً، ولا أوضع به برهاناً، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين ولا عن السلف المتقدمين، وحالفوا روايات الصحابة عليهم السلام عن نبي الله صلوات الله عليه في رؤية الله عز وجل بالأبصار، وقد جاءت في ذلك الروايات من الجهات المختلفة ونشرت في الأثر وتتابع بها الأخبار، وأنكروا شناعة رسول الله ﷺ للمعصيين، ودفعوا الروايات في ذلك عن المتقدمين، وجحدوا عذاب القبر وأن لكمار في قبورهم يعذبون، وقد أجمع على ذلك الصحابة والتابعون.

وتكلموا بخلق القرآن نظيراً لقول إخوانهم من المشركين الذين قالوا: إن هذا إلا قول البشر، وأثبتوا أن العباد يخلقون الشر نظيراً لقول المجوس الذين أثبتوا خالفين: أحدهما يخلق الخير والآخر يخلق الشر.

وزعمت القدرية أن الله عز وجل يخلق الخير والشرطان يخلق الشر، وزعموا أن الله عز وجل يشاء ما لا يكون، ويكون ما لا يشاء حلقاً لما أجمع عليه المسلمون من أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ورداً لقول الله عز وجل: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(١) فأحبر أما لا نشاء شيئاً إلا وقد شاء الله أن نشاء، ولقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَلُوا﴾^(٢) ولقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾^(٣) ولقوله تعالى: ﴿فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾^(٤) ولقوله تعالى مخبراً عن

(١) الإنسان: ٣٠.

(٢) البقرة: ٢٥٣.

(٣) السجدة: ١٣.

شعيب أنه قال ﴿وَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رِشْقًا وَبَسْخًا وَنُتْنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾^(١).

ولهذا سباهم رسول الله ﷺ مجوس هذه الأمة^(٢) لأهم دانوا بديانة المجوس وضاهوا أقاويلهم، وزعموا أن للخير والشر خالقين كما زعمت المجوس ذلك، وأنه يكون من الشرور ما لا يشاؤه الله كما قالت المجوس، وأنهم يملكون الضر والنفع لأنفسهم دون الله ردًا لقول الله عز وجل لبيد الله: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾^(٣) وإعراضًا عن القرآن وعما أجمع عليه أهل الإسلام، وزعموا أنهم يعرّدون بالقدرة على أصنافهم دون ربهم فاشتروا لأنفسهم العسى عن الله عز وجل ووصفوا أنفسهم بالقدرة على ما يصنعون الله عز وجل بالقدرة عليه كما أثبتت المجوس بشيطن من القدرة على الشر ما لم يثبتوه لله عز وجل فكانوا مجوس هذه الأمة؛ إذ هانوا بكهانة المجوس وتمسكوا بأقاويلهم ومالوا إلى أصاليلهم وقنطوا الناس من رحمة الله، وأيسوه من روحه.

وحكموا على العصاة بالنار والخلود فيها خلافًا لقول الله تعالى: ﴿وَنُفِثَ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٤)، وزعموا أن من دخل النار لا يخرج منها خلافا لما جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ أن الله عز وجل يخرج قومًا من النار بعد أن

(١) الترمذي: ١٩.

(٢) الأعراف: ٨٩.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٩١)، والحاكم في المستدرک ح (٢٨٦) من حديث ابن عمر به، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين إن صحح سماع أبي حازم من ابن عمر، ولم يخرجاه أحد.

(٤) الأعراف: ١٨٨.

(٥) الباء: ٤٨.

امتحنوا فيها وصاروا حنفاً^(١).

ودفعوا أن يكون لله وجه مع قوله عرجل ﴿وَيَتْلَىٰ وَحَهُ رَبُّكَ ذُو الْجَلَالِ
وَالْإِكْرَامِ﴾^(٢)؛ وأنكروا أن يكون له يدان مع قوله ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَدَنِي﴾^(٣)؛
وأنكروا أن يكون له هينان مع قوله ﴿تَجَرَّىٰ بِأَعْيُنِنَا﴾^(٤)؛ وأنكروا أن يكون لله
علم مع قوله: ﴿أَنزَلْنَاهُ بِعِلْمِهِ﴾^(٥)؛ وأنكروا أن يكون لله قوة مع قوله ﴿ذُو الْقُوَّةِ
الْمُتِينِ﴾^(٦)؛ ونعوا ما روي عن النبي ﷺ أن لله عرجل ينزل كل ليلة إلى سماء
الدنيا^(٧)، وغير ذلك مما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، وكذلك جميع أهل
البدع من الجهمية والمرجئة والحرورية أهل الربيع فيما اشدعوا خالفوا الكتاب
والسنة، وما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، واجمعت عليه الأمة كفعل المعتزلة
والقدرية، وأنا ذاكر ذلك باتاناً باتاناً وشيئاً شيئاً إن شاء الله وبه المعونة.



(١) أخرجه البحاري ح (٦٥٦٠)، ومسلم ح (١٨٤١) من حديث أبي سعيد الخدري به

(٢) الرحمن ٢٧

(٣) ص ٧٥

(٤) القمر ١٤

(٥) الباء ١٦٦

(٦) العنكبوت ٥٨

(٧) أخرجه البحاري ح (١١٤٥)، ومسلم ح (٧٥٨) من حديث أبي هريرة به

باب في إبانة قول أهل الحق والسنة

فإن قال لنا قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والخهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرفوا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون. قيل له: قولنا الذي نقول به وديننا التي تدين بها، التمسك بكتاب ربنا عز وجل وسنة نبي الله صلى الله عليه وآله وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتمدون؛ وبها كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل - نصر الله وجهه ورفع درجته وأجرل مشوته - قائلون، ولئن خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام العاقل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق ورفع به الضلال وأوضح به المساهة وقمع به بدع المبتدعين وريغ الرائعين وشك الشاكين؛ فرحمه الله عليه من إمام مقدم وعليل معظم مفجع.

وجملة قولنا إنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وبها جاءوا به من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، لا نرد من ذلك شيئاً، وأن الله عز وجل إله واحد لا إله إلا هو فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق، وأن الجنة حق والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الله مستور على عرشه كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(١) وأن له وجهاً كما قال: ﴿وَجْهٌ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(٢) وأن له يدين بلا كيف كما قال: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾^(٣) وكما قال: ﴿بِلَْيَدَاهُ مَسْوُطَتَانِ﴾^(٤) وأن له عيناً بلا كيف كما قال: ﴿عَجْرِي

(١) طه: ٥.

(٢) الرحمن: ٢٧.

(٣) ص: ٧٥.

(٤) المائدة: ٦٤.

بِأَعْيُنِنَا»^(١)، وأن من رهم أن أسماء الله غيره كان ضالاً، وأن الله علماً كما قال: «أَنزَلْنَاهُ بِعِلْمِهِ»^(٢) وكما قال: «وَمَا نَحْمِسُ مِنْ شَيْءٍ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ»^(٣)، وثبت لله السمع والبصر ولا ينفي ذلك كما ينفي المعتزلة والجهمية والخوارج، وثبت أن الله قوة كما قال: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً»^(٤). ونقول: إن كلام الله غير مخلوق وإنه لم يخلق شيئاً إلا وقد قال له: كن فيكون كما قال: «إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»^(٥)، وأنه لا يكون في الأرض شيء من خير وشر إلا ما شاء الله، وأن الأشياء تكون بمشيئة الله عز وجل، وأن أحداً لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله الله، ولا يستعني عن الله ولا يقدر على الخروج من علم الله عز وجل، وأنه لا خالق إلا الله، وأن أعمال العبد مخلوقة لله مقدره كما قال: «وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ»^(٦)، وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئاً وهم يخلقون كما قال: «هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَمَرَهُ اللَّهُ»^(٧) وكما قال: «لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ»^(٨) وكما قال: «أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ»^(٩) وكما قال: «أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَمَرٍ شَيْءٍ وَهُمْ لَا يَخْلُقُونَ»^(١٠) وهذا في كتاب الله كثير.

(١) القمر: ١٤

(٢) السجدة: ١٦٦

(٣) فاطر: ١١

(٤) فصلت: ٢٥

(٥) النمل: ٤٠

(٦) الصفات: ٩٦

(٧) ناطر: ٣

(٨) النحل: ٢٠

(٩) النحل: ١٧

(١٠) الطور: ٣٥

وأن الله وفق المؤمنين لطاعته ولطف بهم ونظر إليهم وأصلحهم وهداهم، وأصل الكافرين ولم يهدهم ولم يلطف بهم بالإيمان كما رعم أهل الریغ والتلعیان، ولو لطف بهم وأصلحهم لكانوا صالحين ولو هداهم لكانوا مهتدين، وأن الله يقدر أن يصلح الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين ولكن أراد أن يكونوا كافرين كما علم وحدثهم وطع على قلوبهم

وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره وأنا مؤمن بقضاء الله وقدره خير وشر، خلوه ومروء، ونعلم أن ما أخطأنا لم يكن ليصيبنا وأن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا، وأن العباد لا يملكون لأفعالهم صرا ولا معاذ إلا بالله كما قال عمر وجل، وتلجئ أمورنا إلى الله ونشت الحاجة والعقر في كل وقت إليه

ونقول: إن كلام الله غير مخلوق وإن من قال بحلق القرآن فهو كافر، ويدعي بأن الله تعالى يرى في الآخرة بالابصار كما يرى المصير كهيئة النار، يراه المؤمنون كما جاءت الروايات عن رسول الله ﷺ^(١) ونقول: إن الكافرين محجوبون عنه إذا رآه المؤمنون في الجنة كما قال عز وجل ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُجُوبُونَ﴾^(٢)، وأن موسى فعلا سأل الله عز وجل الرؤية في الدنيا وأن الله سبحانه تجل للجبل فجمعه دكا فأعلم بذلك موسى أنه لا يره في الدنيا

ويدعي أن لا يكفر أحدا من أهل القبلة بدب يرتكبه كالربا والسرقة وشرب الخمر كما دانت بذلك الخوارج ودعمت أسهم كافرون، ونقول: إن من عمل كبيرة من هذه الكبائر مثل الرنا والسرقة وما أشبهها مستحلا لها غير معتقد لتحريمها كان كافرا.

(١) أخرجه البخاري ج (٥٥٤)، ومسلم ج (٦٣٣) من حديث جرير بن عبد الله به.

(٢) الممتحن ١٥

ونقول: إن الإسلام أوسع من الإيمان وليس كل إسلام إيماناً، وندين بأن الله عز وجل يقلب القلوب بين إصبعين من أصابع الله عز وجل^(١)، وأنه عز وجل يضع السموات على إصبع والأرضين على إصبع^(٢) كما جاءت الرواية عن رسول الله ﷺ، وندين بأن لا نزل أحدًا من أهل التوحيد والتمسكين بالإيمان جنة ولا نارًا إلا من شهد له رسول الله ﷺ بالجنة، ورجو الجنة للمدنيين وبخاف عليهم أن يكونوا بالدار معديين.

ونقول: إن الله عز وجل يخرج قومًا من دار بعد أن امتحنوا بشفاعة رسول الله ﷺ تصديقًا لما جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ^(٣)، ونؤمن بعذاب القبر وبالخوص، وأن الميراث حق، والصراط حق، والبعث بعد الموت حق، وأن الله عز وجل يوقف العباد في الموقف ويحاسب المؤمنين، وأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ونسلم الروايات الصحيحة عن رسول الله ﷺ رواها الثقات عدل عن عدل حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ.

وندين بحب السلف الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة سيده ﷺ، ونشي عليهم بما أنى الله به عليهم، ونتولاهم أجمعين.

ونقول: إن الإمام العاضل بعد رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضوان الله عليه، وأن الله أعز به الدين وأظهره على المرتدين، وقدمه المسلمون بالإمامة كما قدمه رسول الله ﷺ للصلاة، وسموه بأجمعهم: خليفة رسول الله ﷺ؛ ثم عمر بن الخطاب ﷺ، ثم عثمان بن عفان ﷺ، وأن الذين قاتلوه قاتلوه ظلمًا وعدوانًا، ثم علي بن أبي طالب ﷺ؛ فهؤلاء الأئمة بعد رسول الله ﷺ.

(١) أخرجه مسلم ح (٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٢) أخرجه البخاري ح (٤٨١١)، ومسلم ح (٢٧٨٦) من حديث عبد الله بن مسعود.

(٣) متفق عليه، وقد تقدم تخرجه.

وخلافتهم خلافة النبوة

ونشهد باخنة للعشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بها، وشولى سائر أصحاب النبي ﷺ ونكف عما شجر بينهم، وبدين الله بأن الأئمة الأربعة خلفاء راشدون مهديون، فصلاء لا يوراثهم في العصل غيرهم.

ومصدق بجميع الروايات التي يشهد أهل النقل من الرسول إلى السماء الدنيا، وأن الرب عز وجل يقول: هل من سائل، هل من مستغفر^(١)، وسائر ما نقلوه وأثبتوه خلافا لما قال أهل الريح والتصويل، ويعول فيها اختلافنا فيه على كتاب ربنا وسنة نبينا وإجماع المسلمين وما كد في معناه، ولا يتدع في دين الله ما لم يأتوا، ولا يقول على الله ما لا يعلم.

ومقول: إن الله عز وجل يجيء يوم القيامة كما قال: «وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا»^(٢) وأن الله عز وجل يقرّب من عباده كيف شاء كما قال: «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْآرْضِ»^(٣) وكما قال: «ثُمَّ قَتَلْنَا فَأَنَّا نَبَتٌ كَقَتْلِهِ فَكُنَّا قُوتًا وَسَوْرًا وَأَنَّا»^(٤).

ومن ديتنا أن يصلي الجمعة والأعياد وسائر الصلوات والجماعات خلف كل بر وغيره؛ كما روي أن عبداً بن عمر كان يصلي خلف الحجاج.

وأن المسح على الخفين سنة في الحضر والسفر خلافاً لقول من أنكر ذلك. ويرى الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح والإقرار بإمامتهم وتفضيل من رأى الخروج عليهم إذا طهر منهم ترك لا استغفارة، وسدين بإنكار الخروج عليهم بالسيف وترك القتال في الفتنة، ونقر بخروج الدجال كما جاءت به الرواية عن

(١) متفق عليه، وقد تقدم تحريجه.

(٢) الحجر: ٢٢.

(٣) ق: ١٦.

(٤) النجم: ٨-٩.

رسول الله ﷺ^(١).

ويؤمن بعداب القبر وتكبير ومكر ومساءلتها المدفونين بقبورهم؛ ونصدق بحديث المعراج، ونصحح كثير من الرقيا في المنام، ونقر أن لذلك تفسيراً. ونرى الصدقة عن موتى المسلمين والدعاء لهم، ويؤمن بأن الله ينفعهم بذلك. ونصدق بأن في الدنيا سحرة وسحراء، وأن السحر كائن موجود في الدنيا وندين بالصلاة على من مات من أهل المدينة برهم وفاجرهم وتوارثهم ونقر أن الحية والنار مخلوقتان، وأن من مات أو قتل فبأجله مات أو قتل. وأن الأرواق من قبل الله عز وجل برزقها عباده حلالاً وحراماً. وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويشككه ويتعطشه حلقاً لقول المعتزلة والجهمية، كما قال الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَسْمَافاً لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْحَسَنِ﴾^(٢)، وكما قال: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾^(٣) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ^(٤) مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ^(٥)﴾^(٦). ونقول: إن الصالحين يجوز أن يحصهم الله عز وجل بآيات يظهرها عليهم. وقولنا في أطلال المشركين: إن الله يزوج لهم في الآخرة ما رآهم يقول لهم اقتحموها كما جاءت بذلك الرواية.

وندين الله عز وجل بأنه يعلم ما العباد همون وإلى ما هم صائرون، وما كان وما يكون وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون، وبطاعة لأئمة ونصيحة المسلمين. ويرى معارفة كل داعية إلى بدعة وعجاسة أهل الأهواء، وسحتح لما ذكرناه من قولنا وما بقي منه مما لم يذكره بآناً شائناً شيئاً، إن شاء الله تعالى.

(١) أخرجه البخاري ح (٢٤٥٢)، ومسلم ح (٢٩٣٤، ٢٩٣٥) من حديث حنيفة بن السيمان وأبي سعد الأنصاري.

(٢) البقرة: ٢٧٥.

(٣) المائدة: ٥٤-٥٥.

باب الكلام في إثبات رؤية الله تعالى

بالأبصار في الآخرة

قال الله عز وجل: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّشْرِقَةٌ﴾^(١) يعني مشرقة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^(٢) يعني رائية، وليس يحملو النظر من وجوه بعض ذاكروها.

إما أن يكون الله عز وجل عسى نظر الاعتبار لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ آلِ إِبْرَٰهِيمَ إِذْ خُفِّيَتْ حُلُقَاتُهَا﴾^(٣) أو يكون عسى نظر الانتظار لقوله: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾^(٤) أو أن يكون عسى نظر تعطف كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٥) أو يكون عسى نظر الرؤية فلا يجوز أن يكون الله عز وجل عسى نظر التعكر ولا اعتبار لأن الآخرة ليست بدار اعتبار، ولا يجوز أن يكون عسى نظر الانتظار لأن النظر إذا ذكر مع ذكر الوجه معناه نظر العييين اللتين في الوجه، كما إذا ذكر أهل اللسان نظر القلب لقالوا: «انظر في هذا الأمر بقلبك» لم يكن معناه نظر العييين، ولذلك إذا ذكر النظر مع الوجه لم يكن معناه نظر الانتظار الذي بالمعرب، وأيضاً فإن نظر الانتظار لا يكون في الجنة لأن الانتظار معه تنعيص وتكدير، وأهل الجنة في ما لا عين رأت ولا أذن سمعت من العييين السليم والعييم المقيم، وإذا كان هذا هكذا لم يجوز أن يكونوا متظريين لأهم كلما حطر بياهم شيء أنوابه مع حطوره بياهم، وإذا كان ذلك كذلك فلا يجوز أن يكون الله عز وجل أراد نظر التعطف؛ لأن الخلق لا يجوز أن يتعطفوا على

(١) القيامة ٢٢.

(٢) القيامة ٢٣.

(٣) العاشية: ١٧.

(٤) يس: ٤٩.

(٥) آل عمران: ٧٧.

خالقهم؛ وإذا فسدت الأقسام الثلاثة صح انقسم الرابع من أقسام النظر وهو أن معنى قوله: ﴿إِن رَّبِّيَ نَاطِرَةٌ﴾ أي رائية ترى رها عز وجل.

ومما يبطل قول المعتزلة أن الله عز وجل أراد بقوله: ﴿إِن رَّبِّيَ نَاطِرَةٌ﴾ نظر الانتظار أنه قال: ﴿إِن رَّبِّيَ نَاطِرَةٌ﴾ ونظر الانتظار لا يكون مقروناً بقوله: (إلى) لأنه لا يجوز عند العرب أن يقولوا في نظر الانتظار (إلى) ألا ترى أن الله عز وجل لما قال: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ لم يقل (إلى)، إذ كان معناه الانتظار، وقال من بليقيس: ﴿فَنَاطِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾^(١) فلما أرادت الانتظار لم تقل (إلى)، وقال امرؤ القيس:

فلإنكما إن تنظراني ساعة من الدهر تنفعني لدى أم جندب

فلما أراد الانتظار لم يقل (إلى)، فيها قال عز وجل: ﴿إِن رَّبِّيَ نَاطِرَةٌ﴾ علمنا أنه لم يرد الانتظار، وإنما أراد نظر الرقبة، ولما قرن الله النظر بذكر الوجه أراد نظير العنسين اللتين في الوجه كسما قال: ﴿قَدْ تَرَى ثَقْلَبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلْتُوَلِّيَنَّهُ﴾^(٢) فذكر الوجه، وإنما أراد ثقلب عينيه نحو السماء ينتظر نزول الملك عليه بصرف الله له من قبلة بيت المقدس إلى الكعبة

فإن قال قائل: لم لا قلتم إن قوله: ﴿إِن رَّبِّيَ نَاطِرَةٌ﴾ إما أراد، إلى ثواب رجا ناظرة؟

قليل له: ثواب الله عز وجل غيره، والله تعالى قال: ﴿إِن رَّبِّيَ نَاطِرَةٌ﴾ ولم يقل: إلى غيره ناظرة، والقرآن على ظاهره، وليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا لحجة وإلا فهو على ظاهره؛ ألا ترى أن الله عز وجل لما قال: ﴿اصْلُوا لِي وَاعْبُدُونِي﴾، لم

(١) النمل ٣٥.

(٢) البقرة: ١٤٤.

يَجْرُ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ إِلَيْهِ أَرَادَ عَيْرَهُ، وَيُرِيْلُ الْكَلَامَ عَنْ ظَاهِرِهِ؛ فَلَدَلَكِ لَمْ قَالَ: ﴿إِلَى رِبَّهَا مَا ظِلَّةٌ﴾ لَمْ يَجْرُ لَمْ أَنْ يُرِيْلُ الْفَرَادَ عَنْ صَاحِرِهِ بِعَرِ حِجَّةٍ.

ثم يقال للمعتزلة: إن جار لكم أن ترفعوا قول الله عز وجل: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ إنما أراد به أنها إلى غيره، فطرد؛ فلم لا جار لغيركم أن يقول: إن قول الله عز وجل ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْآبَاصُ﴾ أراد به لا تدرك غيره ولم يرد أنها لا تدركه، وهذا ما لا يقدر على الفرق فيه.

ودليل آخر: وما يدل على أن الله تعالى يرى بالأبصار قول موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِي﴾^(١) وأيضاً قوله: ﴿وَأَنزِلْ عَلَيَّ الْكُتُبَ﴾^(٢) ولا يجوز أن يكون موسى ~~الذي~~ الذي قد ألبسه الله تعالى جلباب
السيب وعصمه بما عصم به المرسلين قد سأل ربه ما يستحيل عليه، وإذا لم يجز
ذلك على موسى فقد علمنا أنه لم يسأل ربه مستحيلاً، وأن الرؤية جائزة على رسلنا
عز وجل، ولو كانت الرؤية مستحيلة على رسلهم كما زعمت المعتزلة - ولم يعلم
ذلك موسى عليه السلام وعلموا هم لكبروا على قلوبهم أعلم بالله من موسى عليه السلام، وهذا
ما لا يدعيه مسلم

فإن قال قائل أليس تعلمون حكم الله في الظهار اليوم، ولم يكن يسي الله
يعلم ذلك قبل أن ينزل؟

قيل له لم يكن يعلم نبي الله ﷺ ذلك قبل أن يلزم الله العباد حكم الظهار، فلما لزمهم الحكم به أعلمهم ببيعه قبلهم ثم أعلمهم بنبي الله عباد الله ذلك، ولم يأت عليه وقت لزمه حكمه فلم يعلمه قطعا، وأنت زعمتم أن موسى كان قد لزمه أن يعلم حكم الروية وأنها مستحيلة عليه، وإذا لم يعلم ذلك وقت أن لزمه علمه

(٦) الأنعام ١٠٣

(٢) الأعراف، ١٤٣

علمتموه أنتم الآن لرمكم بجهلكم أنكم بها لرمكم العلم به الآن أعلم من موسى لقوله: ﴿بها لزمه العلم به﴾ وهذا خروج من دين المسلمين

ودليل آخر: مما يدل على جواز رؤية الله تعالى بالأبصار قول الله تعالى لموسى: ﴿فَإِنْ أَسْتَفْرَغَ مَعَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾^(١) فلم كان الله عز وجل قادراً على أن يجعل الجبل مستقراً كان قادراً على الأمر الذي لو فعله لراه موسى؛ فدل ذلك على أن الله تعالى قادر على أن يرى عباده نفسه وأنه جائز رؤيته

فإن قال: فلم لا قلتم إن قول الله تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْتَفْرَغَ مَعَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ تبعيد للرؤية؟

قيل له: لو أراد الله عز وجل تبعيد الرؤية لقرن الكلام بها بشتحييل وقوعه ولم يقره بها بجوز وقوعه، فلما قره باستقرار الجبل وذلك أمر مقدور لله سبحانه دل ذلك على أنه جائز أن يرى الله عز وجل، إلا ترى أن الخنساء لما أرادت تبعيد صلحها لم كان حرياً لأخيها قريت الكلام بمشتحييل فقالت: ولا أصالح قوماً كنت حريهم حتى تمود بياضاً حلكة الفار

والله عز وجل إنما خاطب العرب بلعنتها ويحمن مرجع إلى ما نجده مفهوماً في كلامها ومعقولاً في خطابها؛ فلما قرن الله الرؤية بأمر مقدور جائز علمنا أن رؤية الله بالأبصار جائزة غير مستحيلة.

ودليل آخر: قال عز وجل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾^(٢)، قال أهل التأويل: النظر إلى الله عز وجل، ولم يعم الله عز وجل أهل جناته بأفضل من نظرهم

(١) لأعراب ١٤٣

(٢) يونس: ٢٦

إليه ورؤيتهم له وقال عز وجل ﴿وَنَدَّبْتُمَا مُرِيدًا﴾^(١) قيل: النظر إلى الله عز وجل، وقال: ﴿حِجَّتُهُمْ شَورَةُ يَتَّقُونَ﴾^(٢)، وإذا لقيه للمؤمنين رؤوه، وقال الله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَجُوبُونَ﴾^(٣)، فحجبهم عن رؤيته ولا يحجب عنها المؤمنين.

سؤال: فمن قال قائل: مما معنى قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾^(٤)؟

قيل له: يحتمل أن يكون لا تدركه في الدنيا وتدركه في الآخرة؛ لأن رؤية الله تعالى أفضل اللذات، وأفضل اللذات يكون في أفضل الدارين؛ ويحتمل أن يكون الله عز وجل أراد بقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ يعني لا تدركه أبصار الكافرين المكذبين، ودلت أن كتاب الله يصدق بعصاه بعضاً، فلما قال في آية: «إن الوجوه تنظر إليه يوم القيامة»، وقال في آية أخرى: «إن الأبصار لا تدركه» علمنا أنه إما أراد: أبصار الكفار لا تدركه

مسألة والجواب عنها: فإن قال قائل: قد استكبر الله سؤال السائلين له أن يرى بالأبصار فقال: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُخَلِّقَ لَهُمْ كُتُبًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَهُمْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَأَيْتُمْ كُتُبًا﴾^(٥).

فيقال لهم: إن بني إسرائيل سألوا رؤية الله عز وجل على طريق الإنكار لسورة موسى وترك الإتيان به حتى ترى الله. لا أهم قالوا: لن نؤمن حتى نرى الله جهره، فلما سألوه الرؤية على طريق ترك الإتيان بموسى حتى يريهم الله نفسه استعظم الله سؤالهم من غير أن تكون الرؤية مستحيلة عليه، كما استعظم الله

(١) ق. ٣٥.

(٢) الأحزاب ٤٤

(٣) المطففين ١٥

(٤) الأعمام ١٠٣.

(٥) البقرة ١٥٣

سؤال أهل الكتاب أن ينزل عليهم كتاباً من السماء من غير أن يكون ذلك مستحيلاً، ولكن لأنهم أمروا أن يؤمنوا بسي الله حتى ينزل عليهم من السماء كتاباً دليل آخر: وما يدل على رؤية الله عز وجل بالأبصار ما روت الجماعة من الجهات المختلفة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تروون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضارون في رؤيته»^(١)، والرؤية إذ أطلقت إطلاقاً ومثلت برؤية العيان لم يكن معناها إلا رؤية العيان، ورويت الرؤية عن رسول الله ﷺ من طرق مختلفة، عدة روايتها أكثر من عدة خبر الرجم، ومن عدة من روى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا وصية لوارث»^(٢) ومن عدة رواية المسح على الخفين^(٣)، ومن

(١) أخرجه البخاري ومسلم من حديث جرير بن عبد الله، ثم تقدم تحريره وأخرجه البخاري ح (٤٥٨١، ٧٤٤٠)، ومسلم ح (١٨٣)، من حديث أبي سعيد الخدري وأخرجه البخاري ح (٨٠٦، ٦٥٧٤، ٧٤٣٨)، ومسلم ح (١٨٢، ٢٩٦٨) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه أبو داود ح (٢٨٧٠، ٣٥٦٥)، والترمذي ح (٢٩٣٦)، وابن ماجه ح (٢٧١٣) من حديث أبي أمامة به، وفي إسناده إسحاق بن عمار، قال الترمذي: «حديث حسن صحيح»، وقد روى عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير هذا الوجه، ورواية إسحاق بن عمار عن أهل العراق وأهل الحجاز ليس بذلك فيما نورد به، لأنه روى عنه من أكبر، وروايت عن أهل الشام أصح، هكذا قال محمد بن إسماعيل. اهـ وأخرجه الترمذي ح (٢١٢١)، والسنائي ح (٣٦٤١، ٣٦٤٣) من حديث عمرو بن حارثة، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح» اهـ وأخرجه ابن ماجه ح (٢٧١٤) من حديث أنس، وفي الباب عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وعن جابر، وعن علي، قال ابن حجر في فتح الباري (٣٧٢/٥): «لا يخلو إسناده كل منها عن مقال، لكن مجموعها يقتضي أن للحديث أصلاً، بل جنح الشافعي في الأم إلى أن هذا المتن متواتر، فقال: «وجدنا أهل الفبا ومن حفظنا عنهم من أهل العلم بالمعاري من قرئش وغيرهم لا يحتلمون في أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عام المنع. لا وصية لوارث، ويؤثرون ممن حفظوه عنه ممن لقوه من أهل العلم، فكان نقل كافة عن كافة فهو أقوى من نقل واحد». اهـ وينظر نصب الراية (٤٧٦/٤)، واللمعة الأخيرة (٩٢/٣).

(٣) أخرجه البخاري ح (٣٨٧)، ومسلم ح (٢٧٢) من حديث جرير، وأخرجه البخاري ح (١٨٢)، ومسلم ح (٢٧٤) من حديث المعيرة بن شعبة، وأخرجه البخاري ح (٢٠٢) من حديث سعد بن أبي وقاص، وأخرجه البخاري ح (٢٠٤) من حديث عمرو بن أمية الضمري،

عدة رواية قول رسول الله ﷺ: «لَا تُنْكَحُ الْمَرْأَةَ عَلَى عَمَتِهَا وَلَا خَالَئِهَا»^(١) وإذا كان الرجم وما ذكرناه سبباً عند المعتزلة كسب الرؤية أولى أن تكون سنة لكثرة روايتها ونقلتها يروونها خلف عن سلف، وحديث «أُمِّي أَرَاهُ؟» لا حجة فيه لأنه عندما سأل سائل النبي ﷺ عن رؤية الله عز وجل في الدنيا وقال له: هل رأيت ربك؟ فقال: «مُرْ أُمِّي أَرَاهُ؟»^(٢)؛ لأن العين لا تدرك في الدنيا الأسوار المحلوقة على حقائقها؛ لأن الإنسان لو حذى بصره إلى عين الشمس فأدام النظر إلى عينها لذهب أكثر نور بصره؛ فإذا كان الله عز وجل يحكم في الدنيا بأن لا تقوم العين بالنظر إلى عين الشمس فأحرى أن لا يشت البصر للنظر إلى الله عز وجل في الدنيا إلا أن يقويه الله عز وجل، ف رؤية الله سبحانه في الدنيا قد اختلف فيها.

وقد روي عن أصحاب رسول الله ﷺ أن الله عز وجل تراء العيون في الآخرة، وما روي عن أحد منهم أن الله عز وجل لا تراء العيون في الآخرة؛ فليما كانوا على هذا مجمعين وبه قائلين - وإن كانوا في رؤيته في الدنيا مختلفين - ثبتت الرؤية في الآخرة إجماعاً، وإن كانت في الدنيا مختلف فيها، ونحن إنما قصدنا إلى إثبات رؤية الله في الآخرة على أن هذه الرواية على المعتزلة لا لهم؛ لأنهم ينكرون أن الله نور في الحقيقة فإذا استحوا بخبرهم له تاركون وعنه محرمون كانوا محجوجين.

دليل آخر: وما يدل على رؤية الله عز وجل بالابصار أنه ليس موجود إلا

وأخرجه مسلم ح (٢٧٣) من حديث سعد بن أبي وقاص وفي الباب عن غيرهم، ينظر مصب
الرواية (١٥١/١ - ١٥٢)

(١) أخرجه البخاري ح (٥١١١)، ومسلم ح (١٤٠٨) من حديث أبي هريرة. وأخرجه البخاري ح (٥١٠٨) من حديث جابر وفي الباب عن جماعة من الصحابة، ينظر التلخيص الحبير (١٦٧/٣).

(٢) أخرجه مسلم ح (٢٩١/١٧٨) من حديث أبي هريرة

وجائز أن يرى الله عز وجل، وإياها لا يجوز أن يرى المعدوم، فلما كان الله عز وجل موجوداً مثبتاً كان غير مستحيل أن يرى نفسه عز وجل وإياها أراد من نفسه رؤية الله عز وجل بالأبصار التعطيل، فلم يمكنهم أن يظهروا التعطيل صراحاً أظهروا ما يتول بهم إلى التعطيل والحدود - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

دليل آخر ومما يدل على رؤية الله سبحانه بالأبصار أن الله عز وجل يرى الأشياء، وإذا كان للأشياء رائيًا فلا يرى الأشياء من لا يرى نفسه، وإذا كان لنفسه رائيًا فجائز أن يرى نفسه، وذلك أن من لا يعلم نفسه لا يعلم شيئاً، فلما كان الله عز وجل عالماً بالأشياء كان عالماً نفسه؛ فلذلك من لا يرى نفسه لا يرى الأشياء، فلما كان الله عز وجل رائيًا للأشياء كان رائيًا لنفسه، وإذا كان رائيًا لها فجائز أن يرى نفسه، كما أنه لما كان عالماً بنفسه جاز أن يعلمتها، وقد قال الله تعالى: «إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى»^(١) فأخبر أنه سمع كلامها ورأى أفعالها، ومن زعم أن الله عز وجل لا يجوز أن يرى بالأبصار فلو أنه أن لا يجوز أن يكون الله عز وجل رائيًا ولا عالماً ولا قادراً؛ لأن العالم القادر الرائي جاز أن يرى.

فإن قال قائل: قول النبي ﷺ «ترون ربكم» يعني تعلمون ربكم اصطراً. قيل له: إن النبي ﷺ قال لأصحابه هذ هي سبيل البشارة فقال: فكيف بكم إذا رأيتم الله عز وجل، ولا يجوز أن يشرهم بأمر يشركهم فيه الكفار على أن النبي ﷺ قال: «ترون ربكم» وليس يعني رؤية دون رؤية بل ذلك عام في رؤية العين ورؤية القلب.

دليل آخر: أن المسلمين اتفقوا على أن الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من العيش السليم والنعيم المقيم، وليس نعيم في

الجنة أفضل من رؤية الله عز وجل بالأبصار، وأكثر من عبد الله عز وجل عبده للظفر إلى وجهه؛ وإذا لم يكن بعد رؤية الله أفضل من رؤية نبيه ﷺ وكانت رؤية نبي الله أفضل لذات الجنة كانت رؤية الله عز وجل أفضل من رؤية نبيه ﷺ، وإذا كان ذلك كذلك لم يحرم الله أسبأه المرسلين وملائكته المقربين وجماعة المؤمنين والصديقين النظر إلى وجهه عز وجل، وذلك أن الرؤية لا تؤثر في المرئي؛ لأن رؤية الرائي تقوم به، فإذا كان هذا هكذا وكانت الرؤية غير مؤثرة في المرئي لم توجب تشبيها ولا انفلافاً عن حقيقة، ولم يستعمل على الله عز وجل أن يُرى عباده المؤمنين نعمه في جناته



باب في الرؤية

احتجت المعتزلة في أن الله عز وجل لا يرى بالأبصار بقوله عز وجل: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَارَ﴾^(١) قالوا فلما عطف الله عز وجل بقوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَارَ﴾ على قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ﴾ وكان قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَارَ﴾ على العموم أنه يدركها في سبب والآخرة وأنه يراها في الدنيا والآخرة كان قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ﴾ دليلاً على أنه لا تراه الأبصار في الدنيا والآخرة وكان في عموم قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَارَ﴾ لأن أحد الكلامين معطوف على الآخر.

قيل لهم: فيجب إذا كان عموم القولين واحداً وكانت الأبصار أبصار العيون وأبصار القلوب؛ لأن الله عز وجل قال: ﴿فَلَهَا لَا تَفْقَى الْآبْصَارُ وَلَكِنْ تَفْقَى الْقُلُوبُ أَتَى فِي الصُّدُورِ﴾^(٢) وقيل: ﴿أَبْصَارُ الْإِنْدَى وَالْآبْصَارِ﴾^(٣) أي فهي بالأبصار؛ فأراد أبصار القلوب، وهي التي يفصل بها المأمنون الكافرين، ويقول أهل اللغة: فلان بصير بصاعته، يريدون بصير العلم؛ ويقولون قد أبصرته بقلبي كما يقولون: قد أبصرته بعيني، فإذا كان البصر بصر العيون وبصر القلوب ثم أوجبوا علينا أن يكون قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ﴾ في العموم كقوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَارَ﴾ لأن أحد الكلامين معطوف على الآخر وجب عليهم بحجبتهم أن الله عز وجل لا يدرك بأبصار العيون ولا بأبصار القلوب؛ لأن قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ﴾ في العموم كقوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَارَ﴾، وإذا لم يكن عندهم هكذا فقد وجب أن يكون قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ﴾ أخصر من

(١) الأنعام: ١٠٣.

(٢) الحج: ٤٦.

(٣) ص: ٤٥.

قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبَصِرَ﴾ واستقص احتجاجهم.

وقيل لهم إنكم زعمتم أنه لو كان قوله ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْآبَصِرُ﴾ خاصاً في وقت دون وقت لكان قوله ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبَصِرَ﴾ خاصاً في وقت دون وقت، وكان قوله: ﴿لَسَ كَيْفِيَّةٌ مِنْهُ﴾^(١) وقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾^(٢) وقوله: ﴿لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً﴾^(٣) في وقت دون وقت.

فإن جعلتم قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْآبَصِرُ﴾ خاصاً رجع احتجاجكم عليكم، وقبل لكم إذا كان قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْآبَصِرُ﴾ خاصاً ولم يجب خصوص هذه الآيات فلم أنكرتم أن يكون قوله عز وجل: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْآبَصِرُ﴾ إما أراد في الدنيا دون الآخرة كما أن قوله ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْآبَصِرُ﴾ أراد بعض الأصناف دون بعض، ولا يوجب ذلك تخصيص هذه الآيات التي عارضتمونا بها.

فإن قالوا: قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْآبَصِرُ﴾ يوجب أنه لا يدرك بها في الدنيا والآخرة، وليس يعني ذلك أن تراه بقلوبنا ونبصره بها ولا يدركه بها.

قبل لهم بما أنكرتم أن يكون لا تدركه بإبصار العيون ولا يوجب إذا لم يدركه بها أن لا تراه بها، فربما له بالعيون وإبصارنا له بها ليس بإدراك له بها كما أن إبصارنا له بالقلوب ورؤيتنا له بها ليس بإدراك له بها.

فإن قالوا: رؤية البصر هي إدراك البصر، قيل لهم: ما الفرق بينكم وبين من قال إن رؤية القلب وإبصاره هو إدراكه وإحاطته؛ فإذا كان علم القلب بالله عز وجل وإبصار القلب له رؤيته إياه ليس بإحاطة ولا إدراك فما أنكرتم أن تكون

(١) الشورى: ١١.

(٢) البقرة: ٢٥٥.

(٣) يونس: ٤٤.

رؤية العيون وإبصارها لله عز وجل ليس بإحاطة ولا إدراك

جواب: ويقال لهم إذا كان قول الله عز وجل: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾ في العموم كقوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ﴾ لأن أحد الكلامين معطوف على الآخر فخرونا. أليست الأبصار والعيون لا تدركه رؤية ولا لمسًا ولا دوقًا ولا على وجه من الوجوه؟ فمن قولهم نعم فيقال لهم أخبروا عن قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ﴾ أترعمون أنه يدركها لمسًا ودوقًا بأن يدمسها؟

فمن قولهم لا، فيقال لهم فقد انتقص قولكم. إن قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ﴾ في العموم كقوله ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾

سؤال: إن قال قائل منهم إن البصر في الحقيقة هو بصر العين لا بصر القلب، قيل له: ولم رحمت هذا وقد سمي أهل اللغة بصر القلب بصرًا كما سموا بصر العين بصرًا، وإن جار لك ما قلته جار لعبركم أن يرغم أن البصر في الحقيقة هو بصر القلب دون العين، وإذا لم يمر هذا فقد وجب أن البصر بصر العين وبصر القلب

جواب: ويقال لهم: حدثونا عن قول الله عز وجل: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ﴾ ما معناه؟ فإن قالوا: معنى (يدرك الأبصار) أنه يعلمها، قيل لهم: وإذا كان أحد الكلامين معطوفًا على الآخر وكان قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ﴾ معناه يعلمها فقد وجب أن يكون قوله ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾ لا تعلمه، وهذا نصي للعلم لا لرؤية الأبصار.

فإن قالوا: معنى قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ﴾ أنه يراها رؤية ليس معناها العلم، قيل لهم: فالأبصار التي في العيون يجوز أن ترى؟ فإن قالوا: نعم، نقصوا قولهم. إنا لا نرى بالبصر إلا من جنس ما نرى الساعة؛ فإن جاز أن يرى الله وكل ما ليس من جنس المراتب وهو الإبصار في العين فلم لا يجوز أن يرى نفسه وإن لم يكن من جنس المراتب، ولم لا يجوز أن يرى نفسه وإن لم يكن من

جنس المراثيات.

ويقال لهم: حدثونا إذا رأينا شيئاً مصرناه أو إننا يراه الرائي دون البصر؟ هم
قولهم: إنه محال أن يرى البصر الذي في العين فيقال لهم: الآية تنفي أن تراه
الابصار، ولا تنفي أن يراه المبصرون، وإنها قال الله عز وجل: ﴿لَا تُدْرِكُهُ
الْأَبْصَارُ﴾ فهذا لا يدل على أن المصيرين لا يرونه على ظاهر الآية

باب الكلام

في أن القرآن كلام الله غير مخلوق

إن سأل صائن عن الدليل على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، قيل له: الدليل هل ذلك قوله عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يَقُولَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِي﴾^(١) وأمر الله هو كلامه وقوله: قلما أمرهما بالقيام فقامتا لا يهويان كان قيامهما بأمره، وقال عز وجل: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾^(٢) فالخلق جميع ما خلق داخل فيه؛ لأن الكلام إذا كان لفظه عامًا فحقيقته أنه عام، ولا يجوز لنا أن نزيل الكلام من حقيقته بعير حجة ولا برهان، فلما قال ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ﴾ كان هداي جميع الخلق، ولما قال ﴿وَالْأَمْرُ﴾ ذكر أمرًا غير جميع الخلق؛ فدل ما وصفا على أن أمر الله غير مخلوق.

فإن قال قائل: أليس قد قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾^(٣) قيل له: نحن نحصى القرآن بالإجماع وبالدليل فلما ذكر الله عز وجل نفسه وملائكته ولم يدخل في ذكر الملائكة جبريل وميكال وإن كانا من الملائكة ثم ذكرهما بعد ذلك كأنه قال: الملائكة إلا جبريل وميكال، ثم ذكرهما بعد ذكر الملائكة فقال: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾، وكذا قال: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ ولم يحصر قوله: ﴿الْخَلْقُ﴾ دليل على قوله: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ﴾ في جميع الخلق، ثم قال بعد ذكره الخلق ﴿وَالْأَمْرُ﴾ فأبان الأمر من الخلق، وأمر الله كلامه، وهذا يوجب أن كلام الله غير مخلوق، وقال عز وجل: ﴿يَلَهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾^(٤) يعني من قبل أن يخلق الخلق ومن بعد ذلك، وهذا يوجب أن الأمر غير مخلوق.

(١) الروم ٢٥

(٢) الأعراف ٥٤

(٣) البقرة ٩٨

(٤) الروم ٤

دليل آخر، ومما يدل من كتاب الله على أن كلامه غير مخلوق قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١)، فلو كان القرآن مخلوقاً لوجب أن يكون مقولاً له كن فيكون، ولو كان الله عز وجل قائلاً للمقول: ﴿كن﴾ كان للمقول قول، وهذا يوجب أحد أمرين: إما أن يقول الأمر إلى أن قول الله غير مخلوق أو يكون كل قول وقع يقول لا إلى غاية، وذلك محال، وإذا استحال ذلك صح وثبت أن الله عز وجل قولاً غير مخلوق

سؤال: فإن قال قائل: معنى قول الله أن يقول له: كن فيكون: إنها يكونه فيكون، قيل: الطاهر أن يقول له، ولا يجوز أن يكون قول الله للأشياء كلها كوني هو الأشياء؛ لأن هذا يوجب أن تكون لأشياء كلها كلام الله عز وجل، ومن قال ذلك أعظم العرية لأنه يلزمه أن يكون كل شيء في العالم من إنسان وفرس وحمار وغير ذلك كلام الله، وفي هذا ما فيه.

فلما استحال ذلك صح أن يقول الله للأشياء كوني غيرها، وإذا كان غير المخلوقات فقد خرج كلام الله عز وجل عن أن يكون مخلوقاً، ويلزم من أن يتكلم الله عز وجل أن يشيئ أن الله غير متكلم ولا قائل، وذلك فاسد كما يفسد أن يكون علم الله مخلوقاً وأن يكون الله غير عالم؛ فلما كان الله عز وجل لم يزل عالماً إذ لم يجوز أن يكون لم يزل بخلاف العلم موصوفاً استحال أن يكون لم يزل بخلاف العلم موصوفاً؛ لأن خلاف الكلام الذي لا يكون معه كلام سكوت أو آفة، كما أن خلاف العلم الذي لا يكون معه علم جهل أو شك أو آفة، ويستحيل أن يوصف ربنا عز وجل بخلاف العلم، ولذلك يستحيل أن يوصف بخلاف الكلام من السكوت والآفات؛ فوجب لذلك أن يكون لم يزل متكلماً كما وجب

أن يكون لم يزل عالماً

دليل آخر: وقال الله عز وجل: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِذَاذًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾^(١) فهو كذا البحار مداذا كتبت لفدت البحار وتكسرت الأقلام ولم يلحق الفناء كلمات ربي كما لا يلحق الفناء علم الله عز وجل، ومن فني كلامه لحفته الآفات وحرى عليه السكوت، فلما لم يجر ذلك على ربنا عز وجل صح أنه لم يزل متكلمًا، لأنه لو لم يكن متكلمًا وجب السكوت والآفات وتعالى رسا عن قول الجهمية علواً كبيراً

فصل

وزعمت الجهمية كما زعمت الصارى لأن الصارى زعمت أن كلمة الله حواها بطن مريم وزادت الجهمية عليهم ^{فزعهم} أن كلام الله مخلوق حل في شجرة وكانت الشجرة حاوية له، ^{فزعهم} أن تكون الشجرة بذلك الكلام متكلمًا، ووجب عليهم أن مخلوقاً من المخلوقين كلم موسى وأن الشجرة قالت: يا موسى ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾^(٢)، فهو كان كلام الله مخلوقاً في شجرة لكان المخلوق قال: يا موسى ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَلَيْكُنْ حَقُّ الْقَوْلِ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾^(٣) وكلام الله عز وجل من الله لا يجوز أن يكون كلامه الذي هو منه مخلوقاً في شجرة مخلوقة كما لا يجوز أن يكون علمه الذي هو منه مخلوقاً في غيره - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

جواب: ويقال لهم: كما لا يجوز أن يخلق الله عز وجل إرادته في بعض

(١) الكهف: ١٠٩.

(٢) طه: ١٤.

(٣) السجدة: ١٣.

المخلوقات كذلك لا يجوز أن يحق كلامه في بعض المخلوقات، ولو كانت إرادة الله مخلوقة في بعض المخلوقات فكان ذلك المخلوق هو المرید لها وذلك يستحيل، وكذلك يستحيل أن يخلق الله كلامه في مخلوق؛ لأن هذا يوجب أن ذلك المخلوق متكلم به، ويستحيل أن يكون كلام الله عز وجل كلاماً للمخلوق.

دليل آخر: وما يطل قلوبهم أن الله عز وجل قال محبراً عن المشركين أنهم قالوا: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾^(١) يعني انقرآن؛ فمن رعم أن القرآن مخلوق فقد جعله قولاً للبشر، وهذا ما أنكره الله على المشركين، وأيضاً علو لم يكن الله متكلماً حتى خلق الخلق ثم تكلم بعد ذلك لكات الأشياء قد كانت لا عن أمره ولا عن قوله ولم يكس قائلاً لها: كوني، وهذا رد للقرآن، والخروج عما عليه جمهور أهل الإسلام.

فصل

واعلموا - رحمكم الله - أن قول الجهمية إن كلام الله مخلوق يلزمهم به أن يكون الله عز وجل لم يزل كالأصنام التي لا تنطق ولا تتكلم لو كان لم يزل غير متكلم؛ لأن الله عز وجل يخبر عن إبراهيم أنه قال لقومه لما قالوا له: ﴿أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِقَاهِيَتِنَا يَتْلُوْنَهُمْ﴾^(٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ سَكَتُوا بِمَنْ يَقُولُونَ^(٣) فاحتج عليهم بأن الأصنام إذا لم تكن ناطقة متكلمة لم تكن آلهة، وأن الإله لا يكون غير ناطق ولا متكلم، فلما كانت الأصنام التي لا يستحيل أن يحييها الله وينطقها لا تكون آلهة فكيف يجوز أن يكون من يستحيل عليه الكلام في قدمه إلهاً - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وإذا لم يجوز أن يكون الله سبحانه في قدمه بمرتبة دون مرتبة الأصنام التي لا تنطق فقد وجب أن يكون لم يزل متكلم.

(١) المدثر: ٢٥

(٢) الأنبياء: ٦٢-٦٣.

دليل آخر. وقد قال الله تعالى عز وجل ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾^(١) وجاءت الرواية أنه يقول هذا يقول فلا يرد عليه أحد شيء فيقول ﴿يَلِلَهُ الْوَلَدُ جِدَّ الْقَهَّارِ﴾؛ فإذا كان عز وجل قديلاً مع فناء الأشياء إلا لا إنسان ولا منك ولا حي ولا جان ولا شجر ولا مدر فقد صح أن كلام الله عز وجل خارج عن الخلق؛ لأنه يوحد ولا شيء من المخلوقات موجود

دليل آخر: وقد قال الله عز وجل ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(٢) والتكليم هو المشافهة بالكلام، ولا يجوز أن يكون كلام المتكلم حالاً في غيره مخلوقاً في شيء سواء كما لا يجوز ذلك في العلم

دليل آخر وقال الله عز وجل ﴿فَنُوحِيَ إِلَيْهِ الْكَلِمَ وَالْأَنبَاءُ﴾^(٣) ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد^(٤) فكيف يكون العرآن مخلوقاً وأسماء الله في العرآن؟ هذا يوجب أن تكون أسماء الله مخلوقة ولو كانت أسماء مخلوقة لكأن وحدانيته مخلوقة، وكذلك علمه وقدرته تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

دليل آخر. وقد قال الله تعالى ﴿تَبَارَكَ اسْمُهُ رَبُّكَ﴾^(٥) ولا يقال للمخلوق تبارك؛ فدل هذا على أن أسماء الله غير مخلوقة، وقال ﴿وَيَتَقَى وَجْهَ رَبِّكَ﴾^(٦) فكما لا يجوز أن يكون وجه ربنا مخلوقاً فكذلك لا تكون أسماءه مخلوقة.

دليل آخر: وقد قال الله عز وجل ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾^(٧) ولا بد أن يكون شهد هذه الشهادة وسمعاها من

(١) حافر ١٦

(٢) النساء ١٦٤

(٣) الإخلاص ١-٤

(٤) الرحمن ٧٨

(٥) الرحمن ٢٧

(٦) آل عمران ١٨

نفسه؛ لأنه إن كان سمعها من مخلوق فليست شهادة له، وإذا كانت شهادة له وقد شهد بها فلا يحلو أن يكون شهد بها قبل كون المخلوقات أو بعد كون المخلوقات؛ فإن كان شهد بها بعد كون المخلوقات فلم تسبق شهادته لنفسه بإلهية الخلق، وكيف يكون ذلك كذلك وهذا يوجب أن التوحيد لم يكن يشهد به شاهد قبل الخلق؟ ولو استحالت الشهادة بانوحدانية قبل كون الخلق لاستحال إثبات التوحيد ووجوده، وأن يكون واحداً قبل الخلق لأن ما نستحيل الشهادة عليه فمستحيل؛ وإن كانت شهادته لنفسه بالتوحيد قبل الخلق فقد بطل أن يكون كلام الله عز وجل مخلوقاً لأن كلامه شهادته.

دليل آخر: وما يدل على بطلان قول الجهمية وأن القرآن كلام الله عز وجل مخلوق أن أسماء الله من القرآن، وقد قيل عز وجل ﴿مَنْحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ الذي ﴿خَلَقَ فَسُوِّيْ﴾^(١) ولا يجوز أن يكون ﴿اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ الذي ﴿خَلَقَ فَسُوِّيْ﴾ مخلوقاً كما لا يجوز أن يكون ﴿هَدًى رَبَّنَا﴾ مخلوقاً؛ قال الله في سورة الجن ﴿تَعَلَّنَ هَدًى رَبَّنَا﴾^(٢)، وكما لا يجوز أن تكون عظمته مخلوقة كذلك لا يجوز أن تكون كلامه مخلوقاً.

دليل آخر: وقد قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِمَّنْ وَرَأَى جَنَابَ الرَّسُولِ وَرَسُولًا يَمْشِي بِرِجْلَيْهِ مَآ يَشَاءُ﴾^(٣) فلو كان كلام الله لا يوجد إلا مخلوقاً في شيء مخلوق لم يكن لاشرائط هذه الوجوه معنى؛ لأن الكلام قد سمعه جميع الخلق ووحدوه مرعاً الجهمية مخلوقاً في غير الله عز وجل، وهذا يوجب إسقاط مرتبة النبيين صلوات الله عليهم، ويجب عليهم إذا زعموا أن

(١) الأعلى ١-٢

(٢) الجن ٣٠

(٣) النوري: ٥١.

كلام الله لموسى خلقه في شجرة أن يكون من سمع كلام الله عز وجل من ملك أو من نبي أتى به من عند الله أفضل مرتبة في سماع لكلام من موسى؛ لأهم سمعوه من نبي ولم يسمعه موسى من الله عز وجل وإنما سمعه من شجرة، وأن يرعموا أن اليهودي إذا سمع كلام الله من نبي أفضل مرتبة في هذا المعنى من موسى بن عمران؛ لأن اليهودي سمعه من نبي من أنبياء الله وموسى سمعه مخلوقاً في شجرة، ولو كان مخلوقاً في شجرة لم يكن مكلفاً موسى من وراء حجاب؛ لأن من حضر الشجرة من الجن والإنس قد سمعوا بكلام من ذلك المكان، وكان مسبيل موسى وغيره في ذلك سواء في أنه ليس كلام الله له من وراء حجاب.

جواب. ثم يقال لهم: إذا رعمتم أن معنى أن الله عز وجل كلم موسى أنه خلق كلاماً كلمه به في الشجرة، وقد خلق الله عندكم في الدراع كلاماً لأن الدراع قالت لرسول الله ﷺ: لا تأكلن مني مسمومة^(١)، فلو لم يكن أن ذلك الكلام الذي سمع النبي كلام الله عز وجل؛ فإن استدل أن يكون الله تكلم بذلك الكلام المخلوق فما أنكرتم من أنه مستحيل أن يخلق الله عز وجل كلاماً في شجرة؛ لأن كلام المحدث لا يكون كلاماً؛ فإن كان كلام الله وكان معنى أن الله تكلم عندكم أنه خلق الكلام فيلزمكم أن يكون الله متكلماً بالكلام الذي خلقه في الدراع

فإن أجابوا إلى ذلك قيل لهم: والله عز وجل على قولكم هو القائل: لا تأكلن مني مسمومة - تعالى الله عن قولكم واعتراكم عليه علواً كبيراً.

وإن قالوا: لا يجوز أن يكون كلام الله مخلوقاً في ذراع، قيل لهم: وكذلك لا يجوز أن يكون كلام الله مخلوقاً في شجرة.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢/٣٥) من حديث عروة بن الزبير مرسلأ. وقال الميمني في المجمع (٦/٢٢٥) رواه الطبراني مرسلأ، وفيه من ضعفه، وحديث حسن. اهـ.

جواب: ثم يُسألون عن الكلام الذي أنطق الله به الدنوب لما أخبر عن بسوة النبي ﷺ؛ فقال لهم: إذا كان الله عز وجل يتكلم بكلام يخلقه في غيره فما أنكرتم أن يكون الكلام الذي سمعه من الدنوب كلاماً لله، ويكون إصجازه يدل على أنه كلام الله، وفي هذا ما يجب عليهم أن لفتوا لم يتكلم به وأنه كلام الله عز وجل؛ لأن كون الكلام من الدنوب معجز كما أن كونه من الشجرة معجز؛ فإن كان الدنوب متكلاً بذلك الكلام المقول في أنكرتم أن الشجرة متكلمة بالكلام إن كان خلق في شجرة، وأن يكون لمحموق فيه قال: يا موسى إني أنا الله عز وجل - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

جواب: ثم يقال لهم: إذا كان كلام الله عز وجل مخلوقاً في غيره عندكم فما يؤمنكم أن يكون كل كلام سمعته مخلوقاً في شيء - وهو حق - أن يكون كلام الله عز وجل.

فإن قالوا: لا تكون الشجرة متكلمة لأن المتكلم لا يكون إلا حياً، قيل لهم: ولا يجوز خلق الكلام في شجرة لأن من خلق الكلام فيه لا يكون إلا حياً؛ فإن جاز أن يخلق الكلام فيما ليس بحي، فلم لا يجوز أن يتكلم من ليس بحي، ويقال لهم: ألا قلتم إنه يقول: من ليس بحي؛ لأنه عز وجل أخبر أن السموات والأرض قائما: أتينا طائعين.

جواب: ثم يقال لهم: أليس قد قال الله عز وجل لإبليس: «وَإِنْ عَلَّيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ»^(١) فلا بد من نعم، ويقال لهم: فإذا كان كلام الله مخلوقاً وكانت المخلوقات فانيات فيلزمكم إذا أمس الله عز وجل الأشياء أن تكون اللعنة على إبليس قد فئت؛ فيكون إبليس غير ملعون، وهذا ترك لدين المسلمين ورد لقول

الله عز وجل. ﴿وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الْبَيْتِ﴾، وإذا كنت اللعة باقية على إبليس إلى يوم الدين وهو يوم الحراء وهو يوم القامة، لأن الله عز وجل قال. ﴿مَتَلَبِّكَ يَوْمَ الْبَيْتِ﴾^(١) يعني يوم الحراء ثم هي أنادي لبار، واللعة كلام الله وهو قوله: ﴿عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾ فقد وجب أن يكون كلام الله عز وجل لا يجوز عليه المناء وأنه غير مخلوق؛ لأن المخلوقات يجوز عليها العدم؛ فإذا لم يحصر ذلك على كلام الله عز وجل فهو غير مخلوق.

الرد على الجهمية:

ثم يقال لهم: إذا كان غضب الله عز وجل محققاً وكذلك رضاه وسخطه فلم لا قلتم: إن كلامه غير مخلوق، ومن رعم أن غضب الله عز وجل لرمه أن غضب الله وسخطه على الكافرين يفتى، وأن رضاه عن الملائكة والبهائم يفتى حتى لا يكون راضياً عن أوليائه ولا مساحطاً على أعدائهم، وهذا هو الخروج عن الإسلام ويقال. خبروا عن قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢) أترعمون أن قوله للشيء: «كن» مخلوق مراد الله.

فإن قالوا لا، قبل لهم. فما أنكرتم أن يكون كلام الله الذي هو القرآن غير مخلوق كما زعمتم أن قول الله للشيء: «كن» غير مخلوق.

وإن زعموا أن قول الله للشيء: «كن» محقق، قبل لهم: فإن زعمتم أنه مخلوق مراد فقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فيلزمكم أن قوله للشيء: «كن» قد قال له: «كن»، وفي هذا ما يوجب أحد أمرين: إما أن يكون قول الله لعبده: «كن» غير مخلوق، أو يكون لكل قول

(١) الشعرة: ٤.

(٢) النحل: ٤٠.

قول لا إلى غاية، وذلك محال.

فإن قالوا: إن الله قولاً غير مخلوق، قيل لهم: علم أنكرتم أن تكون إرادة الله للإيمان غير مخلوقة؟

ثم يقال لهم: ما العلة لما قلتم: إن قول الله للشيء «كن» غير مخلوق؟ فإن قالوا: لأن القول لا يقال له كن، فيقال لهم: ولقرآن غير مخلوق لأنه قول الله، والله لا يقول لقوله: كن
الرد على الجهمية:

ويقال لهم: ليس لم ير الله عدلاً بأوليائه وأعدائه، فلماذا من نعم، قيل لهم: فهل تقولون إنه لم ير مريدًا للسرقة بين أوليائه وأعدائه؟ فإن قالوا: نعم، قيل لهم: فإذا كانت إرادة الله لم ترل مهي غير محسوسة، وإذا كانت إرادته خير مخلوقة فلم لا قلتم: إن كلامه غير مخلوق؟ فإن قالوا: لا، نقول: لم يزل مريدًا للتفريق بين أوليائه وأعدائه فقد زعموا أن الله لا يريد التفريق بين أوليائه وأعدائه، ونسبوه سبحانه إلى النقص - تعالى عن قول القدرية علواً كبيراً.

جواب: ويقال لهم: إن الشيء المحروق إما أن يكون بدنًا من الأبدان شخصًا من الأشخاص، أو يكون نعتًا من نعوت الأشخاص، فلا يجوز أن يكون كلام الله شخصًا؛ لأن الأشخاص يجوز عيبها الأكل والشرب والنكاح، ولا يجوز ذلك على كلام الله عز وجل، ولا يجوز أن يكون كلام الله نعتًا لشخص مخلوق؛ لأن النعوت لا تبقى طرفة عين لها لا تحمل البقاء، وهذا يوجب أن يكون كلام الله قدسي ومعصي، فلما لم يمر أن يكون شخصًا ولا نعتًا لشخص لم يجوز أن يكون مخلوقًا، على أن الأشخاص يجوز أن تموت؛ فمن أثبت كلام الله شخصًا مخلوقًا لزمه أن يجوز الموت على كلام الله عز وجل وذلك مما لا يجوز، وأيضًا فلا يجوز أن يكون كلام الله مخلوقًا في شخص مخلوق كما لا يجوز أن يكون نعتًا

لشخص مخلوق، ولو كان مخلوقاً في شخص ككلام الإنسان معمولاً فيه كان لا يمكن التفريق بين كلام الله وكلام الخلق إذ كانا مخلوقين في شخص مخلوق كما لا يجوز أن يكون علمه مخلوقاً في شخص مخلوق.

جواب: ويقال لهم أيضاً: لو كان كلام الله مخلوقاً لكان جسماً أو نوعاً لحسم، ولو كان جسماً لجار أن يكون متكلماً، والله قادر على قلبهما، وفي هذا ما يلزمهم ويجب عليهم أن يجوزوا أن يقلب الله القرآن إنساناً أو جيباً أو شيطاناً - تعالى الله عز وجل أن يكون كلامه كذلك، ولو كان نوعاً لجسم كالنوع فبالله قادر أن يجعلها أجساماً فكان يجب على إلهية أن يجوزوا أن يجعل القرآن جسماً متجسداً يأكل وبشر، وأن يجعله إنساناً وبشراً، وهذا ما لا يجوز على كلامه عز وجل.



باب ما ذكر من الرواية في القرآن

مسألة قال أبو مكر: أثبت أنا والعباس بن عبد العظيم العسيري أبا عبد الله أحمد بن حنبل؛ فسأل العباس بن عبد العظيم أبا عبد الله فقال له: قوم هاهنا قد حدثوا يقولون القرآن لا مخلوق ولا غير مخلوق، فقال هؤلاء أصروا من الجهمية على الناس، ويلكم فإن لم تقولوا ليس مخلوق فقولوا مخلوق، قال أبو عبد الله: هؤلاء قوم سوء، فقال العباس: ما تقول يا أبا عبد الله؟ فقال الذي اعتضد وأذهب إليه ولا أشك فيه أن القرآن غير مخلوق، ثم قال: سبحان الله، ومن شك في هذا؟ ثم تكلم أبو عبد الله مستعظماً لشك في ذلك فقال: سبحان الله، أي هذا شك؟ قال الله تبارك وتعالى ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾^(١) وقال تعالى ﴿الرَّحْمَنُ﴾^(٢) عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾^(٣)، لفرق بين الإنسان وبين القرآن، فقال: عَلَّمَ خَلْقًا فجعل بعينها عَلَّمَ خَلْقَ أَي قَرَأَ يَنْهَاهَا

قال أبو عبد الله القرآن من علم الله؛ ألا تراه يقول: ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾، والقرآن فيه أسماء الله عز وجل، أي شيء يقولون؟ ألا يقولون: إن أسماء الله غير مخلوقة لم يزل الله قديرًا عليًا عزيزًا حكيمًا سميعًا بصيرًا، لسا شك أن أسماء الله عز وجل غير مخلوقة، لسا نشك أن علم الله غير مخلوق؛ فالقرآن من علم الله وفيه أسماء الله؛ فلا شك أنه غير مخلوق، وهو كلام الله عز وجل ولم يزل الله به متكلمًا، ثم قال: وأي كفر أكبر من هذا؟ أو أي كفر أشد من هذا؟ إذا زعموا أن القرآن مخلوق فقد زعموا أن أسماء الله مخلوقة، وأن علم الله مخلوق، ولكن الناس يتهاونون بهذا ويقولون: إنما يقولون القرآن مخلوق، ويتهاونون ويقولون أنه

(١) الأعراف: ٥٤.

(٢) الرحمن: ١-٣.

هين، ولا يدرون ما فيه وهو الكفر، وأن أكره أن أبوح بهذا لكل أحد وهم يسألون وأنا أكره الكلام في هذا، فبلغني أنهم يدعون أبي أمسك، فقلت له. فمن قال: القرآن مخلوق، ولا يقول. إن أسماء الله مخدوقة ولا علمه ولم يزد على هذا أقول. هو كافر، فقال: هكذا هو عندنا.

ثم قال أبو عبد الله: نحن لا نحتاج أن نشك في هذا القرآن عندنا فيه أسماء الله، وهو من علم الله؛ فمن قال: إنه مخلوق فهو عندنا كافر، فجعلت أردده عليه، فقال لي العباس وهو يسمع: سبحان الله أما يكفيك دون هذا؟ فقال أبو عبد الله: بل وذكر الحسين بن عبد الأول قال سمعت وكيعاً يقول من قال القرآن مخلوق فهو مرتد يُتاب فإن تاب وإلا قُتل.

وذكر محمد بن الصباح البرار قال علي بن الحسين بن سفيان قال: سمعت ابن المبارك يقول: إنا نستطيع أن نحكم كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكم كلام الجهمية، قال محمد بن قولبة: نحاف أن نكفر ولا نعلم.

وذكر هارون بن إسحاق الحمداي عن أبي نعيم عن سليمان بن عيسى القاري عن سفيان الثوري قال لي حماد بن أبي سفيان. بلغ أبا حيفة المشرك أبي مه بري^(١) قال سليمان: ثم قال سفيان: لأنه كان يقول: القرآن مخلوق، وذكر سفيان بن وكيع قال سمعت عمر بن حماد بن أبي حيفة قال أخبرني أبي قال: الكلام الذي استتاب منه ابن أبي ليلى أبا حيفة هو قوله القرآن مخلوق، قال: فتاب منه وطاف به في الخلق، قال أبي: فقلت له: كيف صرت إلى هذا؟ قال: حسنت والله أن يقدم عليّ فأعطيته التوبة.

وذكر هارون بن إسحاق قال سمعت إسماعيل بن أبي الحكم يذكر عن

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/٢٣٩)

همر بن عبيد لطافسي أن حمادًا - يعني ابن أبي سليمان - بعث إلى أبي حبيبة، إنني بريء مما تقول إلا أن تتوب، وكان عنده ابن أبي عبيدة قال فقال: أحبرني جارك أن أبا حبيبة دعه إلى ما استتيب منه بعد ما استتيب.

وذكر عن أبي يوسف قال: ناظرت أبا حبيبة شهرين حتى رجع عن خلق القرآن، وقال سليمان بن حرب: القرآن غير مخلوق، وأخبر به من كتاب الله تعالى: قال الله عز وجل: ﴿وَلَا يُحِيطُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾^(١) وكلام الله ونظيره واحد يعني غير مخلوق

وذكر الحسين بن عبد الأول قال محمد بن (الحسين بن أبي يزيد)^(٢) الحمداني عن (عمرو بن قيس عن أبي قيس اللاتني)^(٣) عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ كَلَامِ اللَّهِ هُوَ وَجَلُّهُ هَلْ سَائِرُ الْكَلَامِ كَفَضْلِي اللَّهِ هَلْ خَلْقِي»^(٤).

فهذا يثبت أن القرآن كلام الله عز وجل، وما كان كلامًا لم يكن خلقًا، وقد بين الله أن القرآن كلامه بقوله عز وجل: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾^(٥) ودل على ذلك في مواضع من كتابه، وقد قال الله عز وجل: ﴿خَبِّرْ أَنَّ اللَّهَ كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾. وروى وكيع عن الأعمش عن خبثمة عن عدي بن حاتم قال: قال رسول

(١) آل عمران ٧٧.

(٢) الصواب: الحسن بن أبي يزيد.

(٣) الصواب: عمرو بن قيس أبي عبد الله اللاتني.

(٤) أخرجه الترمذي ح (٢٩٢٦) من طريق شهاب بن عباد عن محمد بن الحسن بن أبي يزيد به، وقال: «حدثني حسن غريب». اهـ. فان ابن حجر في الفتح (٦٦/٩)، ترجمته تحت إلهة عطية المعروف فيه ضعف. اهـ.

(٥) التوبة ٦.

الله ﷻ: «ما منكم من أحد إلا سبكنه ربه ليس بينه وبينه تُرْجُحَانُ»^(١). وعما بين أن الله عز وجل متكلم وأن له كلاماً ما رواه عفان قال حماد بن سلمة عن الأشعث الحُدَّاني عن شهر بن حوشب قال: فصل كلام الله عز وجل على سائر الكلام كفضل الله على خلقه^(٢).

وروى يعلى بن المهال السعدي قال إسحاق بن سليمان الرازي. قال الجراح بن الضحاك الكندي عن علقمة بن مرثد عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أَفْضَلُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»^(٣)، وقال: «إِنْ فَضَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ»^(٤). وذلك أنه مه.

وذكر مسيد بن داود قال أبو سفيان عن معمر بن قتادة قوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَكْلٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُ، مِنْ بَعْدِهِمْ مَبْنُوعَةٌ أَفْكَرُوا مَا نَهَيْتُ كَلِمَتُ اللَّهِ»^(٥)... الآية، وذكر هارون بن معروف: قال جرير بن منصور عن هلال بن يساف عن فروة بن نوفل قال: كنت جازاً الخباب بن الارت فقال لي: يا هذا تقرب

(١) أخرجه ابن ماجه ح (١٨٤٣) من طريق وكيع به وأخرجه البخاري ح (٦٥٣٩، ٧٤٤٣، ٧٥١٢)، ومسلم ح (١٠١٦/٦٧) من طرق أخرى عن الأعمش به.

(٢) أخرجه الدارمي في سننه ح (٣٣٥٧) من طريق سليمان بن حرب، وأبو داود في المراسيل ح (٥٣٧) من طريق موسى بن إسماعيل، كلاهما من حماد بن سلمة عن أشعث الحُدَّاني عن شهر بن حوشب عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا.

(٣) أخرجه البخاري ح (٥٠٢٨) من طريق سعيد الثوري عن علقمة بن مرثد به.

(٤) أخرجه الترمذي ح (٢٩٢٦)، والبيهقي في الشعب ح (٢٠١٥) من حديث أبي سعيد الخدري، واللفظ للبيهقي، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. اهـ وقال ابن حجر في الفتح

(٦٦/٩): «رجاله ثقات إلا عطية العرق فيه ضعف». اهـ.

(٥) لقمان: ٢٧.

إلى الله عز وجل بما استطعت، ولن يتقرب إلى الله شيء أحب إليه من كلامه^(١).

وروي عن ابن عباس في قوله عز وجل ﴿قُرْءَانًا غَرِيْبًا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾^(٢) قال غير مخلوق^(٣) وذكر البيث بن يحيى قال حدثني إبراهيم بن أبي الأشعث قال: سمعت مؤمل بن إسماعيل عن الثوري قال: من زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر، وصحت الرواية عن جعفر بن محمد أن القرآن لا خالق ولا مخلوق^(٤)، وروي ذلك عن عمه زيد بن علي وعن جده علي بن الحسين^(٥).

ومن قال: إن القرآن غير مخلوق وأن من قال بحلقه كافر من العلماء وحمله الآثار وثقله الأحبار لا يحدون كثرة منهم: الحنابلة والثوري وعبد العزيز بن أبي سلمة ومالك بن أنس والشافعي وأصحابه والبيث بن سعد وسفيان بن عيينة وهشام وعيسى بن يوسف وحمص بن غياث وسعد بن عامر وعبد الرحمن بن مهدي وأبو بكر بن عياش وروكيع وأبو عاصم النبيل ويعلى بن عبيد ومحمد بن يوسف وشرب بن المغفل وعبد الله بن داود وسلام بن أبي مطيع وأبو المبارك وعلي بن عاصم وأحمد بن يوسف وأبو نعيم وقبيصة بن عقبة وسليمان بن داود وأبو عبيد القاسم بن سلام ويريد بن هارون وغيرهم، ولو تنعنا ذكر من يقول بذلك لطال الكلام مذكرهم، وفي ذكرنا من ذلك مقنع، والحمد لله رب العالمين

(١) أخرجه البيهقي في الشعب ج (٢٠٢٠) من طريق إسحاق بن راهويه عن جرير بن الرمر ٢٨.

(٢) أخرجه الأجرى في الشريعة (ص ٧٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات ج (٥١٨).

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في المسند ج (١٣٢، ١٣٣، ١٣٤)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٢٤١-٢٤٣).

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد في مسنده ج (١٣٥)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٢٣٧).

وقد احتججنا لصحة قولنا: إن القرآن غير مخلوق من كتاب الله عز وجل وما تضمنته من البرهان وأوصحه من البيان، ولم نجد أحداً ممن تحمل عنه الآثار وتنقل عنه الأخبار ويأثم به المؤمنون من أهل العلم يقول بحلق القرآن، وإسما قال ذلك رهاق الناس وجهال من جهالهم لا موقع لقرهم، والحجاج الذي قدمناه في ذلك يأتي على كثير من قلوبهم ودفع باطلهم، والحمد لله على قوة الحق حمداً كثيراً



باب الكلام على من وقف في القرآن وقال:

لا أقول إنه مخلوق ولا أقول إنه غير مخلوق

جواب يقال هم لم رعمتم دنت وتمتموه؟ فإن قالوا قلنا ذلك لأن الله لم يقل في كتابه إنه مخلوق ولا أنه رسول الله ﷺ ولا أجمع المسلمون عليه، ولم يقل في كتابه إنه غير مخلوق ولا قال ذلك رسوله ولا أجمع عليه المسلمون؛ فقصا لذلك، ولم يقل: إنه مخلوق ولا إنه غير مخلوق؛ يقال لهم مهل قال الله عز وجل لكم في كتابه فمر به ولا تقولوا: إنه غير مخلوق، وقال لكم رسول الله ﷺ توفعوا عن أن تقولوا إنه غير مخلوق، وهل أجمع المسلمون على التوقف عن القول إنه غير مخلوق؟ فإن قالوا: «نعم» هتوا، وإن قالوا: «لا»، قيل لهم: فلا تفعوا عن أن تقولوا غير مخلوق بمثل الحجة التي بها ألرمت أنفسكم التوقف ثم يقال لهم ولم أيتهم أن يكون في كتاب الله ما يدل على أن القرآن غير مخلوق؟ فإن قالوا: لم نجد، قيل لهم: ولم رعمتم أنكم إذا لم تجدوه في القرآن فليس موجودا فيه، ثم إنا نوجدهم ذلك ونثقل عليهم الآيات التي احتججنا بها في كتابنا هذا، واستدلنا على أن لقرن غير مخلوق كقوله عز وجل: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ وكقوله ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ وكقوله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ آلِ الْبَيْتِ مِثْلَ آبَاءِ الْكَافِرِينَ﴾ وسائر ما احتججنا في ذلك من آي القرآن، ويقال لهم يرمكم أن تفعوا في كل ما اختلف الناس فيه ولا تقدموا في ذلك على قول، فإن جاز لكم أن تقولوا بمعص تأويل المسلمين إذا دل على صحتها دليل علم لا فلتتم إن القرآن غير مخلوق بالحجج التي ذكرناها في كتابنا هذا قبل هذا الموضع

سؤال: فإن قال قائل: حدثونا: اتقولون إن كلام الله في اللوح المحفوظ؟ قيل له: كذلك نقول؛ لأن الله عز وجل قال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ في لوح

مَحْفُوظٌ»^(١) فالقرآن في الدوح المحفوظ وهو في صدور الذين أوتوا العلم؛ قال الله عز وجل: «بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبْسُتُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ»^(٢) وهو متلو بالأسنة قال الله تعالى: «لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ»^(٣) والقرآن مكتوب في مصاحفنا في الحقيقة محفوظ في صدورنا في الحقيقة متلو باللسان في الحقيقة مسموع لنا في الحقيقة كما قال عز وجل: «فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ»

سؤال: فإن قال: حدثونا عن اللفظ بالقرآن كيف تقولون فيه؟ قيل له: القرآن يقرأ في الحقيقة ويقرأ ولا يجوز أن يقال: يلغظه؛ لأن القائل لا يجوز له أن يقول: إنه كلام ملغوظ به؛ لأن العرب إذا قال قائلهم: «لَعَطْتُ بِاللَّغْظَةِ مِنْ فَمِي» معناه رميت بها، وكلام الله عز وجل لا يقال: يلغظه وإنما يقال: يقرأ ويكتب ويحفظ، وإنما قال قوم: لغظك بالقرآن؛ ليشبها به مخلوق ويضاهيه منهم وقولهم بخلفه فدلوا كفرهم على من لم يقف على معانيهم، فلما وقفنا على معانيهم أنكرنا قولهم، ولا يجوز أن يقال: إن شيئاً من القرآن مخلوق؛ لأن القرآن مكمله غير مخلوق

سؤال: إن قال قائل: أليس قد قال الله تعالى: «مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ»^(٤) قيل له: الذكر الذي هناء الله عز وجل ليس هو القرآن بل هو كلام الرسول ﷺ ورعته إياهم، وقد قال الله تعالى لبيه: «وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَيْنِ تُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ»^(٥) وقد قال الله تعالى: «ذِكْرُكُمْ»^(٦) فسمى الرسول ذكراً، والرسول محدث، وأيضاً فإن الله عز وجل قال:

(١) البروج: ٢١-٢٢.

(٢) المعنكوت: ٤٩.

(٣) القيامة: ١٦.

(٤) الأنبياء: ٢.

(٥) الذاريات: ٥٥.

(٦) الطلاق: ١٠-١١.

﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾^(١) يحبر أنهم لا يأتِيهم ذكر محدث إلا استمعوه وهم يلعبون، ولم يقل: لا يأتِيهم ذكر إلا كان محدثاً، وإذا لم يقل هذا لم يوجب أن يكون القرآن محدثاً، ولو قال قائل: ما يأتِيهم رجل من التميميين يدعوهم إلى الحق إلا أعرضوا عنه - لم يوجب هذا القول أنه لا يأتِيهم رجل إلا كان تميميّاً، فكذلك القول فيما سألونا عنه.

سؤال: وإن سألونا عن قول الله عز وجل ﴿قُرْآنًا غَرِيبًا﴾^(٢) قيل لهم: الله عز وجل أنزله وليس مخلوقاً، فإن قالوا: فقد قال الله: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾^(٣) والحديد مخلوق، قيل لهم: الحديد جسم موات وليس يجب إذا كان القرآن منزلاً أن يكون جسماً مواتاً، ولذلك لا يجب إذا كان القرآن منزلاً أن يكون مخلوقاً وإن كان الحديد مخلوقاً.

جواب: ويقال لهم: قد أمرنا الله عز وجل أن نستعيز به وهو غير مخلوق، وأمرنا أن نستعيز بكلمات الله الثامات، وإذا لم نؤمن أن نستعيز بمخلوق من المخلوقات، وأمرنا أن نستعبد بكلام الله فقد وجب أن كلام الله غير مخلوق.



(١) الأبيات: ٢.

(٢) الرمر: ٢٨.

(٣) الحديد: ٢٥.

باب ذكر الاستواء على العرش

إن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟ قبل له نقول إن الله عز وجل مستوي على هرشه كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(١) وقد قال الله عز وجل: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾^(٢) وقال ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾^(٣) وقال عز وجل ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾^(٤) وقال حكاية عن فرعون: ﴿يَهَيِّئْ لِي سَرًا لِتَكُنْ أَبْنُوعُ الْأَسْبَابِ﴾^(٥) أَسْبَابُ السَّمَوَاتِ فَأَطْلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَكْذِبُ كَذِبًا^(٦) كذب موسى عليه السلام في قوله: إن الله عز وجل فوق السموات، وقال عز وجل: ﴿وَأُيُنْتُمُّنُ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّتْ بِكُمْ الْأَرْضُ﴾^(٧) فالسموات فوقها العرش، فلي كان العرش فوق السموات قال: ﴿وَأُيُنْتُمُّنُ فِي السَّمَاءِ﴾ لأنه مستوي على العرش الذي فوق السموات، وكل ما علا فهو سماء فالعرش أهل السموات، وليس إذا قال: ﴿وَأُيُنْتُمُّنُ فِي السَّمَاءِ﴾ يعني جميع السموات، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السموات، ألا ترى أن الله عز وجل ذكر السموات فقال: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِي سُدْرَةٍ﴾^(٨)، ولم يرد أن القمر يملأ من جميعاً وأنه فيهن جميعاً، ورأى المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء لأن الله عز وجل مستوي على العرش الذي هو فوق السموات، فلو لا أن الله عز وجل على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش كما لا يحطونها

(١) طه: ٥٠.

(٢) فاطر: ١٠.

(٣) البقرة: ١٥٨.

(٤) السجدة: ٥.

(٥) طه: ٣٦-٣٧.

(٦) الملوك: ١٦.

(٧) نوح: ١٦.

سؤال وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية، إن قول الله عز وجل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (١) أنه استولى وملك وقهر، وأن الله عز وجل في كل مكان، وجمعدوا أن يكون الله عز وجل على عرشه كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة؛ ولو كان هذا كما ذكره كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة؛ فأنه سبحانه قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم؛ فلو كان الله مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء وهو عز وجل مستولٍ على الأشياء كلها لكان مستوياً على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقدار؛ لأنه قادر على الأشياء مستولٍ عليها، وإذا كان قادراً على الأشياء ولم يجر عد أحد من المسلمين أن يقول: إن الله عز وجل مستولٍ على الحشوش والأخيلة لم يجر أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معناه استواء يختص بالعرش دون الأشياء كلها، وزعمت المعتزلة والحرورية والجهمية أن الله عز وجل في كل مكان فلم يهتم أنه في بطن مريم وفي الحشوش والأخيلة، وهذا خلاف الدين - تعالى الله عن قولهم

جواب: ويقال لهم: إذا لم يكن مستويًا على العرش بمعنى يجتص العرش دون غيره كما قال ذلك أهل العلم ونقطة الأثر وحمة الأخبار، وكان الله عز وجل في كل مكان فهو تحت الأرض التي السماء فوقها، وإذا كان تحت الأرض والأرض فوقه والسماء فوق الأرض ففي هذا ما يلزمكم أن تقولوا: إن الله تحت التحت والأشياء فوقه، وإنه فوق الفوق والأشياء تحته، وفي هذا ما يوجب أنه تحت ما هو فوقه وفوق ما هو تحته، وهذا المحال المتناقض تعالى الله عن أن يرائكم عليه علوًا كبيرًا.

دليل آخر: ومما يؤكد أن الله عز وجل مستور على عرشه دون الأشياء كلها ما نقله أهل الرواية عن رسول الله ﷺ، روى عن حماد بن سلمة قال ثنا عمرو بن دينار عن نافع بن جبير عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «ينزل الله عز وجل كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ حتى يطلع الفجر»^(١)، وروى عبدالله بن بكر قال: ثنا هشام بن أبي عبدالله عن يحيى بن أبي كثير عن أبي جعفر أنه سمع أبا هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «إذا بقي ثلث الليل ينزل الله تبارك وتعالى فيقول: من ذا الذي يدهوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يستكشف الضر فأكشفه؟ من ذا الذي يسترزقني فأرزقه؟ حتى يتفجر الفجر»^(٢)

وروى عبدالله بن بكر السهمي قال: ثنا هشام بن أبي عبدالله عن يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة قال [ثنا عطية بن يسار أن رفاعة الجهنمي حدثه قال قلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنّا بكنديد - أو قال بقديد - فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إذا مضى ثلث الليل - أو قال ثلث الليل - نزل الله عز وجل إلى السماء فيقول: من ذا الذي يدهوني أستجب له؟ من ذا الذي يستغفرني أغفر له؟ من ذا الذي يسألني أعطيه؟ حتى يتفجر الفجر»^(٣)

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٨١/٤) من طريق حماد ومن طريق أسود بن عامر، والسنائي في الكبرى ح (١٠٣٢١) من طريق يحيى بن حماد، ثلاثتهم عن حماد بن سلمة به. وقال الهيثمي في المجمع (٢٣٥/١٠) «رواه أحمد والبراء وأبو يعقوب ورجالهم رجال الصحيح» اهـ.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٥٢١، ٢٥٨/٢)، والسنائي في النس الكبرى ح (١٠٣١١، ١٠٣١٠) من طرق عن هشام بن أبي عبدالله به. وقال الهيثمي في المجمع (٢٣٦/١٠) «رواه أحمد ورجالهم رجال الصحيح» اهـ.

(٣) أخرجه ابن ماجه ح (١٣٦٧)، وأحمد في مسنده (١٦/٤)، وصححه ابن حبان ح (٢١٢) من طرق عن يحيى بن أبي كثير به.

دليل آخر وقال الله عز وجل ﴿يَحْفَاقُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ﴾^(١) وقال ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾^(٢) وقال ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾^(٣) وقال ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ بُرْخُسٌ فَشَقَّ بِوَيْهِ خَيْبَرًا﴾^(٤) وقال ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾^(٥) فكل ذلك يدل على أنه تعالى في السماء مستو على عرشه، والسماء بإجماع الناس ليست الأرض؛ يدل على أن الله تعالى منفرد بوحديته مستو على عرشه.

دليل آخر وقال جل وعز ﴿وَحَاجَةً رَبِّكَ وَأَتَمَلَّكَ صَفًا صَفًا﴾^(٦) وقال ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي سُنْبُلٍ مِّنَ الْعَصَايِرِ﴾^(٧) وقال ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۖ فَأَوْخَىٰ إِلَىٰ عِندِهِ ۖ مَا أَوْخَىٰ ۖ مَا كَذَّبَ الْمَوَادُّ مَا رَأَىٰ ۖ أَفَتَحْمُرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾^(٨) إلى قوله ﴿فَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَانِسَاتٍ بِهِ الْكِبَرَىٰ﴾ وقال عز وجل لعيسى ابن مريم ﴿يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَٰذَا زَبَابُكَ وَزَايِلُكَ إِلَيَّ﴾^(٩) وقال ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾^(١٠) بل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ^(١١) وأجمعت الأمة على أن الله عز وجل رفع عيسى إلى السماء، ومن دعاء أهل الإسلام جميعًا إذا هم رغبوا إلى الله عز وجل في الأمر البار لهم يقولون جميعًا يا ساكن العرش، ومن حلفهم جميعًا لا والذي

(١) المحل، ٥٠.

(٢) المعارج ٤.

(٣) فصلت ١١.

(٤) المرقاة ٥٩.

(٥) السجدة ٤.

(٦) المعجزة ٢٢.

(٧) البقرة ٢١٠.

(٨) النجم، ٨-١٢.

(٩) آل عمران: ٥٥.

(١٠) النساء ١٥٧-١٥٨.

احتجب سبع سموات.

دليل آخر وقال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَرْدِيهِ مَا يَشَاءُ﴾ وقد خصت الآية البشر دون غيرهم ممن ليس من جنس البشر، ولو كانت الآية عامة للبشر وغيرهم كان أبعد من الشبهة وإدخال الشك على من يسمع الآية أن يقول: ما كان لأحد أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيرتفع الشك والحيرة من أن يقول: ما كان لجنس من الأحاس أن يكلمه إلا وحياً أو من وراء حجاب أو أرسل رسولاً، ونزل أجناصاً لم يعمهم بالآية؛ فدل ما ذكرنا على أنه خص البشر دون غيرهم.

دليل آخر وقال عز وجل: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾^(١) وقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾^(٢) وقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ أُلْجِئُوا مَوْتَ تَاكِسُوا زُهُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾^(٣) وقال عز وجل: ﴿وَعَرَّضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفَاءً﴾^(٤) كل ذلك يدل على أنه ليس في خلقه ولا خلقه فيه، وأنه مستو على عرشه بلا كيف ولا استقرار - وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً، فلم يشئوا له في وصفهم حقيقة، ولا أوجوا مذكرهم إياه وحدانية؛ إذ كل كلامهم يقول إلى التعطيل، وجميع أوصافهم تدل على النقي؛ يريدون بذلك - زعموا - التنزيه ونفي التشبيه، فنعود بالله من تنزيهه يوجب النقي أو التعطيل.

(١) الأنعام. ٦٢.

(٢) الأنعام. ٣٠.

(٣) السجدة. ١٢.

(٤) الكهف. ٤٨.

دليل آخر: قال الله عز وجل ﴿لَهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١) فسمى نفسه نوراً، والنور عبد الأمة لا يخلو من أن يكون أحد معيين إما يكون نوراً يسمع أو نوراً يُرى، فمن رعم أن الله يسمع ولا يرى فقد أخطأ في نفيه رؤية ربه وتكذيبه بكتابه وقول نبيه ﷺ، وروى العلماء عن عبد الله بن عباس أنه قال: تفكروا في خلق الله عز وجل ولا تفكروا في الله عز وجل، فإن بين كرسيه إلى السماء ألف عام، والله عز وجل فوق ذلك^(٢).

دليل آخر: وروى العلماء عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَا تَزُولُ قَدَمَاهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَسْأَلَهُ عَنْ عِلْمِهِ»^(٣)، وروى العلماء أن رجلاً أتى النبي ﷺ بأمة سوداء فقال: يا رسول الله! إنني أريد أن أعتقها في كفاية فهل يجوز عتقها؟ فقال لها النبي ﷺ: «أَيْنَ اللَّهُ؟» قالت: في السماء، قال: «فَمَنْ أَنَا؟» قالت: أنت رسول الله، فقال النبي ﷺ: «أَعْتَقْتُهَا بِأَسْمَا مُؤْمِنَةً»^(٤)، وهذا يدل على أن الله عز وجل على عرشه فوق السماء



(١) النور ٣٥

(٢) أخرجه ابن بطّة في الإبانة عن شريعة العرقه الدجبة ح (١٠٨) بحوه.

(٣) أخرجه الترمذي ح (٢٤١٧) من حديث أبي بررة الأسلمي، وقال: حديث حسن صحيح، اهـ.

(٤) أخرجه مسلم ح (٥٣٧) من حديث معاذ بن الحكم السلمي به.

باب الكلام في الوجه

والعينين والبصر واليدين

قال الله تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ وَجْهٌ لَّهِ لَا وَجْهَ لَهُ﴾^(١) وقال عز وجل: ﴿وَيَتَنَبَّاهُ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(٢) فأحبر أن له وجهًا لا يصى ولا يلحقه اهلاك، وقال عز وجل: ﴿تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا﴾^(٣) وقال: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا﴾^(٤) فأحبر عز وجل أن له وجهًا وعينًا لا يكيف ولا يحده، وقال عز وجل: ﴿وَأَضْمِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾^(٥) وقال: ﴿وَلَنُصْنَعَنَّ عَلَى عَيْنَيْكَ﴾^(٦) وقال عز وجل: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^(٧) وقال لموسى وهارون: ﴿إِنِّي مَتَعِسُكُمْ أَتَمَحُّ وَأَزِيفُ﴾^(٨) فأحبر عز وجل سمعه وبصره ورؤيته، ونعت الجهمية أن يكون لله وجه كما قال، وأبطلوا أن يكون له سمع وبصر وعين، ووافقوا النصارى لأن النصارى لم تثبت الله سميعًا بصيرًا إلا على معنى أنه عالم، وكذلك قالت الجهمية: ففي الحقيقة قول الجهمية أنهم قالوا: نقول: إن الله عالم، ولا نقول: سميع بصير على غير معنى عالم، وكذلك قرئ النصارى.

وقالت الجهمية: إن الله لا علم له ولا قدرة ولا سمع له ولا بصر، وإنما قصدوا إلى تعطيل التوحيد والتكذيب بأسماء الله عز وجل؛ فأعطوا ذلك لفظًا

(١) القصص: ٨٨.

(٢) الرحمن: ٢٧.

(٣) القمر: ١٤.

(٤) هود: ٣٧.

(٥) الطور: ٤٨.

(٦) طه: ٢٩.

(٧) النساء: ١٣٤.

(٨) طه: ٤٦.

ولم يحصلوا قولاً في المعنى، ولولا أنهم سمعوا السيف لأفصحوا بأن الله غير سميع ولا بصير ولا عالم، ولكن خوف السيف منهم من إظهار زندقتههم وزعم شيعتهم مقدم أن علم الله هو الله، وأن الله عز وجل علم فنفى العلم من حيث أنهم أنه أثبت حتى ألزم أن يقول: يا علم اغفر لي؛ إذ كان علم الله عنده هو الله، وكان الله على قياسه علماً وقدرته تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

قال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، بالله استهدي وإياه نستكفي، ولا حول ولا قوة إلا بالله وهو المستعد، أما بعد! فمن سألنا فقال: أتقولون إن الله سبحانه وجهه؟ قيل له: نقول ذلك خلافاً لما قاله المعتزلة، وقد دل على ذلك قوله عز وجل: ﴿قُنْتُ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾

سؤال: فإن سألنا أتقولون إن الله يدين؟ قيل: نقول ذلك، وقد دل عليه قوله عز وجل: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(١) وقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾^(٢) وروى عن النبي ﷺ أنه قال: **إِنَّ اللَّهَ مَسَحَ ظَهْرَ آدَمَ بِيَدِهِ** فاستخرج منه قُرَيْشٌ^(٣)، فثبتت اليد، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ وقد جاء في الخبر المأثور عن النبي ﷺ أن الله خلق آدم بيده، وخلق جنة عدن بيده، وكتب التوراة بيده، وعرس شجرة طوبى بيده، وقال عز وجل: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾^(٤)

(١) الفتح ١٠

(٢) ص ٧٥.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٠٣)، والترمذي (٣٠٧٥)، وصححه ابن حبان (١١٦٦)، والحاكم في المستدرج (٣٢٥٦، ٧٤، ١٠٠١) من رواية مسلم بن يسار عن عمر بن الخطاب، وقال الترمذي: حديث حسن، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر، وقد ذكر بعضهم في هذا الاستناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلاً مجهولاً

(٤) المائدة ٦٤

وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: «كلنا يديه يمين»^(١)، وقال عز وجل: «لَا خَدَّاءَ بَيْنَهُ
وَالْأُفْهَامِ»^(٢) وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول
القاتل: عملت كذا بيدي، ويعني به النعمة، وإذا كان الله عز وجل إنما خاطب
العرب بلغتها وما يجري مفهوماً في كلامها ومعقولاً في خطاياها، وكان لا يجوز
في لسان أهل البيان أن يقول القاتل: عملت بيدي، ويعني النعمة، فيبطل أن يكون
معنى قوله عز وجل: «يَبْدَى» النعمة، وذلك أنه لا يجوز أن يقول القاتل: لي
عليه يد بمعنى عليه نعمة، ومن دافعاً عن استعمال اللمعة ولم يرجع إلى أهل
اللسان فيها دفع عن أن تكون اليد بمعنى النعمة، إذا كان لا يمكنه أن يتعلق في
أن اليد النعمة إلا من جهة اللمعة، فإذا دفع النعمة لزمه أن لا يفسر القرآن من
جهتها، وأن لا يثبت اليد نعمة من قبلها؛ لأنه إن رجع في تفسير قول الله عز
وجل: «يَبْدَى» نعمتي إلى الإجماع فليس المسلمون كل ما ادعى متعقبن، وإن
رجع إلى اللمعة فليس في اللمعة أن يقول القاتل: «يبدى» يعني نعمتي، وإن لجأ إلى
وجه ثالث سألاه عنه ولن يجد إليه سبيلاً.

سؤال ويقال لأهل البدع: لم رعمتم أن معنى قوله: «يَبْدَى» نعمتي؛
أزعمتم ذلك إجماعاً أو لغة فلا يجدون ذلك في إجماع ولا في اللمعة، وإن قالوا:
قلنا ذلك من القياس، قيل لهم: ومن أين وجدتم في القياس أن قول الله
«يَبْدَى» لا يكون معناه إلا نعمتي؟ ومن أين يمكن أن يعلم بالعقل أن يعسر
كذا وكذا مع أننا الله عز وجل قد قال في كتابه الناطق هل لسان نبيه
الصادق: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوِيمٍ»^(٣)، وقال: «لِسَانُ الَّذِي

(١) أخرجه مسلم ج (١٨٢٧) من حديث عبد الله بن عمرو به.

(٢) الحاقة: ٤٥.

(٣) إبراهيم: ٤.

يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ غَرِيبٌ مُبِينٌ^(١) وقال: «جَعَلْتَنِي قُرْءَانًا غَرِيبًا»^(٢)، وقال: «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَةَ»^(٣)، ولو كان القرآن بلسان غير العرب لما أمكن أن تتبره ولا أن تعرف معانيه إذا سمعناه، فلما كان من لا يحسن لسان العرب لا يحسه، وإنما يعرفه العرب إذا سمعوه علم أنهم إنما علموه لأنه بلسانهم بل وليس في لسانهم ما ادعوه.

سؤال. وقد اعتل معتل بقول الله عز وجل: «وَالْأَسْمَاءُ بَيِّنَاتٌ لِّأَيِّ يَدٍ»^(٤)، قالوا: الأيد القوة؛ فوجب أن يكون معنى قوله «يَبْدِي» بقدرتي، وقيل لهم: هذا التأويل فاسد من وجوه أحدها أن الأيد ليس بجمع ليد؛ لأن جمع يد التي هي معة أيادي، وإنما قال: «إِنَّمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ» فبطل بذلك أن يكون معنى قوله «يَبْدِي» معنى قوله «بَيِّنَاتٌ لِّأَيِّ يَدٍ» وأيضا فلو كان أراد القوة لكان معنى ذلك: بقدرتي، وهذا ناقض لقول هالعا وكاسر لمذهبهم لأنهم لا يشنون قدرة واحدة فكيف يشنون قدرتين؟!.

وأیضا فلو كان الله عز وجل عنى بقوله: «إِنَّمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ» القدرة لم يكن لأدم نقمة على إبليس في ذلك مزلة، والله عز وجل أراد أن يُري فصل آدم ^{عليه السلام} بيده لم يكن لتفضيله عليه بذلك وجه، وكان إبليس يقول محتجا على ربه: فقد خلقتني بيديك كما خلقت آدم بهما؛ فلما أراد الله عز وجل تفضيله عليه بذلك قال له موبخا على استكباره على آدم أن يسجد له: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ

(١) المحل ١٠٣.

(٢) الزخرف: ٣.

(٣) همد: ٢٤.

(٤) الداريات: ٤٧.

أَشْتَكِرْتِ»^(١) دل على أنه ليس معنى الآية لقدرة إذا كان الله عز وجل خلق الأشياء جميعاً بقدرته، وإنما أراد إثبات يدي، ولم يشارك إبليس آدم ﷺ في أن خلق بهما.

وليس يخلو قوله عز وجل «لَمَّا خَلَقْتُ بَدَنِي» أن يكون معنى ذلك إثبات يدين نعمتين، أو يكون معنى ذلك إثبات يدين جارحتين، أو يكون معنى ذلك إثبات يدين قدرتين، أو يكون معناه إثبات يدين ليستا نعمتين ولا جارحتين ولا قدرتين لا بوصفان إلا كما وصف الله عز وجل فلا يجوز أن يكون معنى ذلك نعمتين؛ لأنه لا يجوز عند أهل اللسان أن يقول القائل، «عملت يدي»، وهو يعني نعمتي، ولا يجوز عنده ولا عند حصوما أن يعني جارحتين، ولا يجوز عند حصوما أن يعني قدرتين، وإذا فسدت الأقسام الثلاثة صح القسم الرابع وهو أن معنى قوله: «بَدَنِي» إثبات يدين ليستا جارحتين ولا قدرتين ولا نعمتين لا بوصفان إلا بأن يقال: إنها بدان ليستا كالأيدي خارجتان عن سائر الوجوه الثلاثة التي سلفت

سؤال: وأيضا فلو كان معنى قوله عز وجل: «بَدَنِي» نعمتي لكان لا فضيلة لأدم ﷺ على إبليس في ذلك على مذهب مخالفين لأن الله عز وجل قد ابتداء إبليس على قوهم كما ابتداء بذلك آدم ﷺ، وليس يخلو النعمتان أن يكون عنى بهما بدن آدم ﷺ أو يكونا عرضين خلقا في بدن آدم، فلو كان عنى بدن آدم فالأبدان عند مخالفين من المعتزلة جسد واحد، وإذا كانت الأبدان عندهم جسداً واحداً فقد حصل في جسد إبليس على مذهبهم من النعمة ما حصل في جسد آدم ﷺ، وكذلك إن عنى عرضين فليس من عرض فعلة في بدن آدم من لون أو

حياة أو قوة أو غير ذلك إلا وقد فعل من جسده عندهم في بدن إبليس، وهذا يوجب أنه لا فصيلة لأدم ^{عليه السلام} على إبليس في ذلك، والله عزيز، وإنما احتج على إبليس بذلك ليريه أن لأدم ^{عليه السلام} في ذلك لفصيلة؛ فدل ما قلناه على أن الله عز وجل لما قال: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدَيَّ﴾ لم يعني نعمتي.

جواب ويقال لهم: لم أنكرتم أن يكون الله عز وجل عسى بقوله: ﴿بَيْدَيَّ﴾ يدين ليستا نعمتين، فمن قالوا لأن اليد إذا لم تكن نعمة لم تكن إلا جارحة، قيل لهم: ولم قصيتم أن اليد إذا لم تكن نعمة لم تكن إلا جارحة؟ فمن رجعونا إلى شاهدنا وإلى ما سجده فيها يس من الخلق فقالوا: اليد إذا لم تكن نعمة في الشاهد لم تكن إلا جارحة، قيل لهم: إن عمدتم عن الشاهد وقصيتم به على الله عز وجل فكذلك لم نجد حياً من الخلق إلا جسماً لحماً ودماً فاقصوا بذلك على الله عز وجل، وإلا كنتم لقولكم تاركين ولا اعتلالكم باقضيين، وإن أثبتتم حياً لا كالأحياء منا فلم أنكرتم أن تكون اليدين اللتان أخبر الله عز وجل عنهما يدين ليستا نعمتين ولا جارحتين. ولا كالأيدي، وكذلك يقال لهم: لم تجدوا مدبراً حكيماً إلا إنساناً ثم أثبتتم أن للمدبر مدبراً حكيماً ليس كالإنسان وخالفتم الشاهد ونقضتم اعتلالكم فلا تمنعوا من إثبات يدين ليستا نعمتين ولا جارحتين من أجل أن ذلك خلاف الشاهد.

سؤال: فإن قالوا: إذا أثبتتم لله يدين لقوله: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدَيَّ﴾ فلم لا أثبتتم له أيدي لقوله: ﴿لَمَّا عَمِلَتْ آيَاتُنَا﴾؟ قيل لهم: قد أجمعوا على بطلان قول من أثبت لله أيدي؛ فلما أجمعوا على بطلان قول من قال ذلك وجب أن يكون الله عز وجل ذكر أيدي ورجع إلى إثبات يدين؛ لأن الدليل قد دل على صحته.

الإجماع، وإذا كان الإجماع صحيحاً وجب أن يرجع من قوله أيدي إلى يدي، لأن القرآن على ظاهره ولا يرول عن ظاهره إلا بحجة، فوجدنا حجة أزلياها ذكر الأيدي عن الظاهر إلى ظاهر، ووجب أن يكون الظاهر الآخر على حقيقة لا يزول عنها إلا بحجة

سؤال: فإن قال قائل إذا ذكر الله الأيدي وأراد يدين فيها أنكرتم أن يذكر الأيدي ويريد يداً واحدة؟ قيل له: ذكر الله عز وجل أيدي وأراد يدين لأنهم أجمعوا على مطلق قول من قال: أيدي كثيرة، وقول من قال: يداً واحدة، فقلنا: يداً! لأن القرآن على ظاهره إلا أن تقوم حجة بأن يكون على خلاف الظاهر

سؤال: فإن قال قائل ما أنكرتم أن يكون قوله: ﴿يَمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيَا﴾ وقوله ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدَيَّ﴾ على المجاز؟ قيل له: حكم كلام الله عز وجل أن يكون على ظاهره وحقيقته، ولا يخرج أمشيء من ظاهره إلى المجاز إلا لحجة، ألا ترون أنه إذا كان ظاهر الكلام العموم فإذا ورد بلفظ العموم والمراد به الخصوص فليس هو على حقيقة الظاهر، وليس يجوز أن يعدل بها ظاهر العموم من العموم بغير حجة، كذلك قول الله عز وجل: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدَيَّ﴾ على ظاهره، وحقيقته من إثبات اليدين، ولا يجوز أن يعدل به من ظاهر اليدين إلى ما ادعاه خصوصاً إلا بحجة، ولو جاز ذلك لجاز المدع أن يدعي أن ما ظاهره العموم فهو على الخصوص، وما ظاهره الخصوص فهو على العموم بغير حجة، وإذا لم يجر هذا لمدعيه بغير برهان لم يجر لكم ما ادعيتموه أنه مجاز بغير حجة، بل واجب أن يكون قواه: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدَيَّ﴾ إثبات يدين لله تعالى في الحقيقة غير نعمتين؛ إذ كانت النعمتان لا يجوز عند أهل اللسان أن يقول قائلهم: فعلت بيدي، وهو يعني النعمتين.

باب الرد على الجهمية في نفيتهم علم الله تعالى
وقدرته وجميع صفاته

قال الله عز وجل: ﴿أَرَأَيْتُمْ يَوْمَ﴾^(١) وقال ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ
إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾^(٢) وذكر العلم في خمسة مواضع من كتابه وقال: ﴿فَلَا تَرْتَجِبُوا
لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَمَّا أَنْزِلَ يَعْلَمُ اللَّهُ﴾^(٣) وقال ﴿وَلَا يُجِطُّونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا
بِمَا شَاءَ﴾^(٤)، وذكر القوة فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ بِهِمْ
قُوَّةً﴾^(٥) وقال: ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾^(٦) وقال: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾^(٧)
وزعمت الجهمية أن الله عز وجل لا علم له ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا
بصر له، وأرادوا أن ينفوا أن الله عالم قادر حي سميع بصير، فمهم حروف
السيف من إظهارهم في ذلك فأتوا بمعناه لأهم إذا قالوا: لا علم لله ولا قدرة
له، فقد قالوا: إنه ليس بعالم ولا قادر، ووجب ذلك عليهم، وهذا إما أخذوه عن
أهل الزندقة والتعطيل لأن الرادقة قال كثير منهم: إن الله ليس بعالم ولا قادر
ولا حي ولا سميع ولا بصير، فلم تقدر المعتزلة أن تمصع بذلك فأتت بمعناه،
وقالت: إن الله عالم قادر حي سميع بصير من طريق التسمية من غير أن يشتروا له
حقيقة العلم والقدرة والسمع والبصر.

سؤال. وقد قال رئيس من رؤسائهم وهو أبو الهذيل العلاف: إن علم الله هو

(١) الباء: ١٦٦.

(٢) فاطر: ١١.

(٣) هود: ١٤.

(٤) البقرة: ٢٥٥.

(٥) فصلت: ١٥.

(٦) القاريات: ٥٨.

(٧) القاريات: ٤٧.

الله، فجعل الله عز وجل علمًا، وأكرم فقير له إذا قلت: إن علم الله هو الله، فقل: يا علم الله اغفر لي وارحمني! فأبى ذلك فمرته المدقضة.

واعلموا رحمكم الله - أن من قال: عالم ولا علم كان مناقضًا كما أن من قال: علم ولا عالم كان مناقضًا وكذلك القول في القدرة والقدرة والحياسة والحياسة والسمع والبصر والسميع والبصير.

جواب: ويقال لهم: خبروا عما عن رعم أن الله متكلم قائل لم يزل أمرًا تاهيًا، لا قول له ولا كلام ولا أمر له ولا هي، أليس هو مناقض خارج عن جملة المسلمين؟ فلا بد من نعم، يقال لهم: فكذلك من قال: «إن الله عالم ولا علم له» كان مناقضًا خارجًا عن جملة المسلمين، وقد أجمع المسلمون قبل حدوث الجهمية والمعتزلة والحرورية على أن الله علمًا لم يزل، وقد قالوا: علم الله لم يزل وعلم الله سابق في الأشياء، ولا يمنعون أن يقولوا في كل حادثة تحدث ونازلة تنزل «كل هذا سابق في علم الله» فمن جحد أن الله علمًا حالف المسلمين وخرج به عن اتفاقهم

جواب: ويقال لهم: إذا كان الله مريدًا لأفعله لإرادته؟ فإن قالوا لا، قيل لهم: فإذا أنتم مريدًا لا إرادة له فأنتم قائلون لا قول له، وإن أنتمو الإرادة قيل لهم: فإذا كان المريد لا يكون مريدًا إلا بإرادة فما أنكرتم أن لا يكون العالم عالمًا إلا بعلم، وأن يكون الله علم كما أنتم له إرادة.

مسألة: وقد فرقوا بين العلم والكلام فقالوا: إن الله عز وجل علم موسى وفرعون، وكلم موسى ولم يكلم فرعون، فكذلك يقال: علم موسى الحكمة وفصل الخطاب وآتاه النبوة، ولم يعلم ذلك فرعون؛ فإن كان الله كلام لأنه كلم موسى ولم يكلم فرعون فكذلك الله علم لأنه علم موسى ولم يعلم فرعون؛ ثم يقال لهم: إذا وجب أن الله كلامًا به كلم موسى دون فرعون؛ إذ كلم موسى دونهم، فما أنكرتم إذا علمها جميعًا أن يكون له علم به علمها جميعًا، ثم يقال: قد

كلم الله الأشياء بأن قل لها كوني، وقد أنتم لله قولاً فكذلك، وإن علم الأشياء كلها فله علم

جواب: ثم يقال لهم: إذا أوجبتم أن الله كلاماً وليس له علم؛ لأن الكلام أخص من العلم والعلم أعم منه فقولوا: إن الله قسرة؛ لأن العلم أعم عندكم من القدرة؛ لأن من مذاهب القدرية أنهم لا يقولون إن الله يقدر أن يخلق الكفر؛ فقد أثبتوا القدرة أخص من العلم؛ فيبني لهم أن يقولوا على اعتلاهم: إن الله قدرة

جواب: ثم يقال لهم: أليس الله عالمًا والوصف له بأنه عالم أعم من الوصف بأنه متكلم مكلم ثم لم يجب؛ لأن الكلام أخص من أن يكون الله متكلمًا غير عالم فلم لا قلتم: إن الكلام وإن كان أخص من العلم أن ذلك لا ينهي أن يكون لله علم كما لم ينف بخصوص الكلام أن يكون الله عالمًا.

جواب: ويقال لهم: من أين علمتم أن الله عالم؟ فإن قالوا: بقوله ﷻ: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١) قيل لهم: ولذلك فقولوا: إن الله عالمًا بقوله: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾^(٢) وبقوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَمْرٍ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾^(٣) وكذلك قولوا: إن له قوة؛ لقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾^(٤) وإن قالوا: قلنا إن الله عالم لأنه صنع العالم على ما فيه من آثار الحكمة واتساق التدبير، قيل لهم: فلم لا قلتم: إن الله علمًا بما ظهر في العالم من حكمه وآثار تدبيره؛ لأن الصنائع الحكيمة لا تظهر إلا من ذي علم كما لا تظهر إلا من عالم، وكذلك لا تظهر إلا من ذي قوة كما لا تظهر إلا من قادر.

(١) الشورى: ١٢

(٢) النمل: ١٦٦.

(٣) قاطر: ١١.

(٤) فصلت: ١٥.

جواب: ويقال لهم: إذا نفيتم علم الله فهل نفيتم أسمائه؟ فإن قالوا: كيف ننفي أسمائه وقد ذكرها في كتابه؟ قيل لهم: فلا تعلموا العلم والعقود لأسه تبارك وتعالى ذكر ذلك في كتابه.

جواب آخر: ويقال لهم: قد علم الله ~~ذلك~~ بيه ~~الشرائع والأحكام والحلال~~ والحرام، ولا يجوز أن يعلمه ما لا يعلمه فكذلك لا يجوز أن يعلم الله نفيه ما لا علم لله به - تعالى الله عن قول الجهمية علواً كبيراً.

جواب: ويقال لهم: أليس إذا لعن الله الكافرين فلعنه لهم معنى، ولعن النبي ~~اللعنة~~ لهم معنى، فمن قولهم: نعم فيقال لهم: فما أنكرتم من أن الله إذا علم بيه ~~اللعنة~~ شيئاً فيكون للنبي ~~اللعنة~~ علم، والله سبحانه علم، وإد كما متى أثبتاه خاصاً على الكافرين فلا بد من إثبات غصبيه، وكذلك إذا أثبتناه ~~للعن~~ للمؤمنين فلا بد من إثبات رحمة، وكذلك إذا أثبتناه حياً سمياً بصيراً فلا بد من إثبات حياة وسمع وبصر.

جواب: ويقال لهم: وحدنا اسم علم اشتق من علم، واسم قادر اشتق من قدرة، وكذلك اسم حي اشتق من حياة، واسم سميع اشتق من سمع، واسم بصير اشتق من بصر، ولا تحلو أسماء الله ~~ذلك~~ من أن تكون مشتقة أو لإفادة معناه أو على طريق التلقب، فلا يجوز أن يسمى الله ~~ذلك~~ على طريق التلقب باسم ليس فيه إفادة معناه وليس مشتقاً من صفة، فإد فمنا إن الله ~~ذلك~~ عالم قادر فليس ذلك تلقياً كقولنا: زيد وعمر - وعن هذا إجماع للمسلمين، وإذا لم يكن ذلك تلقياً وكان مشتقاً من علم فقد وجب إثبات العلم، وإن كان ذلك لإفادة معناه فلا يختلف ما هو لإفادة معناه، ووجب إذا كان معنى العالم ما أن له علماً أن يكون كل عالم فهو ذو علم، كما إذا كان قولي: «موجود» معيذاً فينا الإثبات كان الباري تعالى واجباً لإثباته لأنه سبحانه وتعالى موجود.

جواب: ويقال للمعتزلة والجهمية والحرورية: أتقولون إن الله علماً بالأمور.

سابقاً فيها وبوضع كل حامل وحمل كل أشى وبإزال كل ما أنزل؟ فإن قالوا: «نعم» أثبتوا العلم ووافقوا، وإن قالوا لا قيل لهم: هذا جحد منكم لقول الله ﷻ: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ ولقوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾^(١) ولقوله: ﴿فَلَا تَرْتَجِبُوا لَكُمْ فَاعْتَمُوا أَنْمَّا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾^(٢) وإذا كان قول الله ﷻ: ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٣) ﴿وَمَا تَقْطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾^(٤)، أوجب أنه عليم يعلم الأشياء كذلك، فما أنكرتم أن تكون هذه الآيات توجب أن الله عليم بالأشياء سبحانه وبحمده.

جواب: ويقال لهم: الله ﷻ علم بالتمرقة بين أوليائه وأعدائه، فهل هو يريد لذلك وهل له إرادة للإيمان إذا أراد الإيمان؟ فإن قالوا: «نعم» وافقوا، وإن قالوا: إذا أراد الإيمان فله إرادة، قيل لهم: وكذلك إذا فرق بين أوليائه وأعدائه فلا بد من أن يكون له علم بذلك، وكيف يجوز أن يكون للخلق علم بذلك وليس للخالق ﷻ علم بذلك؟ هذا يوجب أن للخلق مزية في العلم وفضيلة على الخالق - تعالى عن ذلك علواً كبيراً، ويقال لهم: إذا كان من له علم من الخلق أولى بالمرتبة الرفيعة ممن لا علم له؟ فإذا رعنتم أن الله ﷻ لا علم له لزمكم أن الخلق أصل مرتبة من الخالق - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

جواب: ويقال لهم: إذا كان من لا علم له من الخلق يلحقه الجهل والنقصان فما أنكرتم من أنه لا بد من إثبات علم الله وإلا ألحقتم به النقصان جل وعز عن قولكم وعلاء ألا ترون أن من لا يعلم من الخلق يلحقه الجهل والنقصان، ومن

(١) فاطر: ١١.

(٢) هود: ١٤.

(٣) التور: ٣٥.

(٤) الأنعام: ٥٩.

قال ذلك في الله ﷻ وصف الله سبحانه بها لا يليق به، فكذلك إذا كان من قيل له من الخلق: لا علم له لحقه الجهل والنقصان؛ فوجب أن لا ينفي ذلك عن الله ﷻ؛ لأنه لا يلحقه جهل ولا نقصان.

جواب: ويقال لهم: هل يجوز أن تنسق الصانع الحكيم عن ليس بعالم؟ فإن قالوا: ذلك محال ولا يجوز في وجود الصانع التي تجري على ترتيب و نظام إلا من عالم قادر حي، قيل لهم: وكذلك لا يجوز وجود الصانع الحكيم التي تجري على ترتيب و نظام إلا من ذي علم وقدرة وحياة، فإن جار ظهورها لا من ذي علم فما أنكرتم من حواجز ظهورها لا من عدم قادر حي، وكل مسألة سألتهم عنها في العلم فهي داخلة عليهم في القدرة والحياة والسمع والبصر.

مسألة: وزعمت المعتزلة أن قول الله ﷻ: ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾^(١) معناه عليم، قيل لهم: فإذا قال ﷻ: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ بِأَسْمَعٍ وَأَرَى﴾^(٢)؛ وقال: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾^(٣) فمعنى ذلك عندكم علم؟ فإن قالوا: نعم، قيل لهم: فقد وجب عليكم أن تقولوا معنى قوله: ﴿أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ أعلم وأعلم؛ إذ كان معنى ذلك العلم

مسألة: ونفت المعتزلة صفات رب العالمين وزعمت أن معنى ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ راه بمعنى عليم، كما زعمت النصارى أن السمع هو بصره وهو رؤيته وهو كلامه وهو علمه وهو إلهه - عز الله وجل وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا، فيقال للمعتزلة: إذا زعمتم أن معنى سميع وبصير معنى عالم فهلا زعمتم أن معنى قادر معنى عالم؛ فإذا زعمتم أن معنى سميع وبصير معنى قادر فهلا زعمتم أن

(١) الحج: ٦١.

(٢) طه: ٤٦.

(٣) المجادلة: ١.

معنى قادر معنى عالم، وإذا زعمتم أن معنى حي معنى قادر فلم لا زعمتم أن معنى قادر معنى عالم؟ فإن قالوا هذا يوجب أن يكون كل معلوم مقدورًا، قيل لهم: ولو كان معنى «سَمِيعٌ بَصِيرٌ» معنى عالم لكان كل معلوم مسموعًا، وإذا لم يجر ذلك بطل قولكم.

• • •

باب الكلام في الإرادة

الرد على المعتزلة في ذلك يقال لهم: أليس ثمعمون أن الله ﷻ لم يزل عالماً؟ فمن قولهم: «نعم»، قيل لهم فلم لا قلتم إن من لم يزل عالماً في وقت من الأوقات فلم يزل مريدًا أن يكون في ذلك الوقت، وما لم يزل عالماً أنه لا يكون فلم يزل مريدًا أن لا يكون، وأنه لم يزل مريدًا أن يكون ما علم كما علم؟ فإن قالوا: لا نقول إن الله لم يزل مريدًا لأن الله مريد بإرادة مخلوقة، يقال لهم: ولم زعمتم أن الله ﷻ مريد بإرادة مخلوقة، وما الفصل بينكم وبين الجهة في زعمهم أن الله عالم معلم مخلوق، وإذا لم يجر أن يكون علم الله مخلوقاً فما أنكرتم أن لا تكون إرادته مخلوقة؟ فإن قالوا لا يجوز أن يكون علم الله محدثاً لأن ذلك يقتضي أن يكون حدث بعلم آخر كذلك لا يلى عاية، قيل لهم: ما أنكرتم أن لا تكون إرادة الله محدثة مخلوقة؟ لأن ذلك يقتضي أن تكون حدثت عن إرادة أخرى ثم كذلك لا إلى عاية، وإن قالوا: لا يجوز أن يكون علم الله محدثاً لأن من لم يكن عالماً ثم علم لحقه التقصان قبل فهم ولا يجوز أن تكون إرادة الله محدثة مخلوقة لأن من لم يكن مريدًا حتى أراد لحقه، لتقصان، وكما لا يجوز أن تكون إرادته تعالى محدثة مخلوقة كذلك لا يجوز أن يكون كلامه محدثاً مخلوقاً.

جواب آخر ويقال لهم: إذا زعمتم أنه قد كان في سلطان الله ﷻ الكفر والعصيان وهو لا يريد، وأراد أن يؤمن الخلق أجمعون فلم يؤمنوا! فقد وجب على قولكم أن أكثر ما شاء الله أن يكون لم يكن، وأكثر ما شاء الله أن لا يكون كان؛ لأن الكفر الذي كان وهو لا يشاؤه الله عندكم أكثر من الإيمان الذي كان وهو يشاؤه، وأكثر ما شاء أن يكون لم يكن، وهذا جحد لما أجمع عليه المسلمون من أن ما شاء الله أن يكون كان وما لا يشاء لا يكون.

جواب آخر: ويقال لهم: يستفاد من قولكم إن كثيراً مما شاء إبليس أن يكون

كان؟ لأن الكفر أكثر من الإيمان، وأكثر ما كان هو شاء، فقد جعلتم مشيئة إبليس أبعد من مشيئة رب العالمين جل ثناؤه وتقدست أسماؤه؛ لأن أكثر ما شاء كان، وأكثر ما كان قد شاء، وفي هذا يجاب أنكم قد جعلتم لإبليس مرتبة في المشيئة ليست لرب العالمين - تعالى الله عن قول العالمين علواً كبيراً

جواب آخر ويقال لهم أيها أولى بصفة الاقتدار: من إذا شاء أن يكون الشيء كان لا محالة وإذا لم يردده لم يكن، أو من يريد أن يكون فلا يكون، ويكون ما لا يريد؟ فإن قالوا: من لا يكون أكثر ما يريده أولى بصفة الاقتدار كما برءوا، وقيل لهم: إن جاز لكم ما قنتموه جاز لغير أن يقول: من يكون ما لا يعلمه أولى بالعلم من لا يكون إلا ما يعلمه، وإن رجعوا عن هذه المكابرة، وزعموا أن من إذا أراد أمراً كان، وإذا لم يردده لا يكون أولى بصفة الاقتدار لزمهم على مذاهم أن يكون إبليس - لعنة الله عليه - أولى بالاقتدار من الله تعالى لأن أكثر ما أراد كان وأكثر ما كان قد أراد، وقيل لهم: إذا كان من إذا أراد أمراً كان، وإذا لم يردده لم يكن أولى بصفة الاقتدار فيلزمكم أن يكون الله تعالى إذا أراد أمراً كان وإذا لم يردده لم يكن؛ لأنه أولى بصفة الاقتدار.

جواب: ويقال لهم: أيها أولى بالإلهية والسلطان: من لا يكون إلا ما يعلمه ولا يغيب عن علمه شيء ولا يجوز ذلك عليه، أو من يكون ما لا يعلمه ويعزب عن علمه أكثر الأشياء؟ فإن قالوا: من لا يكون إلا ما يعلمه ولا يعزب عن علمه شيء أولى بصفة الإلهية، قيل لهم: فكذلك من لا يريد كون شيء إلا ما كان ولا يكون إلا ما يريد ولا يعزب عن إرادته شيء أولى بصفة الإلهية كما قلتم ذلك في العلم، وإذا قالوا ذلك تركوا قولهم ورجعوا عنه، وأثبتوا الله تعالى مرئياً لكل كائن، وأوجبوا أنه لا يكون إلا ما يريد أن يكون.

جواب: ويقال لهم: إذا قلتم إنه يكون في سلطانه تعالى ما لا يريد فقد كان إذا في

سلطانه ما كرهه، فلا بد من نعم، يقال لهم: قد كبر في سلطانه ما يكرهه فما أنكرتم أن يكون في سلطانه ما يأبى كونه؟ فإن أجابوا بنى ذلك قبلهم فقد كانت المعاصي شاء الله أم أبى وهذه صفة الضعف والفقر - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

جواب: ويقال لهم: أليس مما فعل العباد ما يخطئه تعالى وما يغضب عليهم إذا فعلوه فقد أعصوه وأخطأوه؟ فلا بد من نعم، يقال لهم: فلو فعل العباد ما لا يريد وما يكرهه لكانوا قد أكرهوه وهذه صفة النقص - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

جواب: ويقال لهم: أليس قد قال الله تعالى ﴿فَعَالٌ لَّيَّاسٌ يُرِيدُ﴾^(١) فلا بد من نعم، يقال لهم: فمن زعم أن الله تعالى فعل ما لا يريد وأراد أن يكون من فعله ما لا يكون لزمه أن يكون قد وقع ذلك وهو ساء عاين عه، أو أن الضعف والتقصير عن بلوغ ما لا يريد له حقه؛ فلا بد من نعم، يقال لهم: فكذلك من زعم أنه يكون في سلطان الله تعالى ما لا يريد من عهده لزمه أحد أمرين إما أن يزعم أن ذلك كان من سهو وغفلة، أو أن يزعم أن الضعف والتقصير عن بلوغ ما يريد له حقه.

جواب آخر: ويقال لهم: أليس من زعم أن الله تعالى فعل ما لا يعلمه قد نسب الله سبحانه إلى ما لا يليق به من الجهل؟ فلا بد من نعم، يقال لهم: فكذلك من زعم أن عبد الله فعل ما لا يريد لزمه أن ينسب الله سبحانه إلى السهو والتقصير عن بلوغ ما يريد فإذا قالوا: نعم، قيل لهم: وكذلك يلزم من زعم أن العباد يفعلون ما لا يعلم الله نسب الله تعالى إلى الجهل، فلا بد من نعم، يقال لهم: فكذلك إذا كان في كل فعل فعله الله وهو لا يريد إيجاب سهو أو ضعف وتقصير عن بلوغ ما يريد فكذلك إذا كان من غيره ما لا يريد وجب إثبات سهو وغفلة أو ضعف وتقصير عن بلوغ ما يريد، لا فرق في ذلك بين ما كان من

وما كان من غيره

جواب آخر. ويقال لهم إذا كان في سلطان الله ما لا يريد، وهو يعلمه ولا يلحقه الضعف والتقصير عن بلوغ ما يريد؛ فما أنكرتم أن يكون في سلطانه ما لا يعلمه ولا يلحقه النقصان، فإن لم يجر هذا لم يجر ما قلتموه.

مسألة أخرى إن قال قائل: لم قلتم إن الله مرید لكل كائن أن يكون، ولكل ما لا يكون أن لا يكون؟ قيل له: الدليل على ذلك أن الحجة قد وصحت أن الله ^{تعالى} خلق الكفر والمعاصي - وسير ذلك بعد هذا الموضع من كتابنا - وإذا وجب أن الله سبحانه خالق لذلك فقد وجب أنه مرید له؛ لأنه لا يجوز أن يخلق ما لا يريد.

وجواب آخر. أنه لا يجوز أن يكون في سلطان الله ^{تعالى} من اكتساب العباد ما لا يريد، كما لا يجوز أن يكون من فعله المجمع على أنه فعله ما لا يريد؛ لأنه لو وقع من فعله ما لا يعلمه لكان في ذلك ^{إحدى} النقصان، وكذلك القول لو وقع من عباده ما لا يعلمه؛ فكذلك لا يجوز أن يقع من عباده ما لا يريد؛ لأن ذلك يوجب أن يقع عن سهر وفعله أو عن ضعف وتقصير عن بلوغ ما يريد، كما يجب ذلك لو وقع من فعله المجمع على أنه فعله ما لا يريد، وأيضاً فلو كانت المعاصي وهو لا يشاء أن تكون لكان قد كره أن تكون وأبى أن تكون، وهذا يوجب أن تكون المعاصي كائنة شاء الله أم أبى، وهذه صفة الضعف - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وقد أوضحنا أن الله لم ير مریداً على الحقيقة الذي علمه هليها، فإذا كان الكفر مما يكون وقد علم ذلك فقد أراد أن يكون.

جواب: ويقال لهم إذا كان الله ^{تعالى} علم أن الكفر يكون وأراد أن لا يكون ما علم على خلاف ما علم، وإذا لم يجر ذلك فقد أراد أن يكون ما علم كما علم.

جواب: ويقال لهم: لم أبيتم أن يريد الله الكفر الذي علم أنه يكون قبيحاً فاسداً متناقضاً خلافاً للإيمان؟ فإن قلوا: لأن مرید السفه سفه، قيل لهم: ولم

قلتم ذلك؟ أوليس قد أخبر الله تعالى عن ابن آدم أنه قال لأخيه ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسٍ بِكَ يَدَيَّ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (١) لئني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار؟ وأراد أن لا يقتل أخاه لئلا يعذب وأن يقتله أخوه حتى يوثق يديه بوزن يثمه فقتله له وسائر آثامه التي كانت عليه؛ فيكون من أصحاب النار؛ وأراد قتل أخيه الذي هو سفيه ولم يكن بذلك سفيهاً؛ فلم زعمتم أن الله سبحانه إذا أراد سفيه العبد وجب أن يسب ذلك إليه؟

جواب: ويقال لهم: قد قال يوسف عليه السلام ﴿رَبِّ السَّجُنِ أَحِبُّ إِلَيَّ مَعَ يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ (٢) وكان سجنهم إياه معصية؛ فأراد المعصية التي هي سجنهم إياه دون فعل ما يدعونه إليه ولم يكن بذلك سفيهاً، فما أنكرتم من أن لا يجب إذا أراد الباري سبحانه سفيه العباد أن يكون قبيحاً منهم حلقاً بلطاعة أن يكون سفيهاً.

مسألة أخرى: ويقال لهم: ليس من يرى منا جرم المسلمين كان سفيهاً، والله سبحانه يراهم ولا ينسب إلى السفيه؟ فلا بد من نعم، يقال لهم: فما أنكرتم أن من أراد السفيه منا كان سفيهاً، والله سبحانه يريد منه السفيه ولا يسب إليه أنه سفيه - تعالى الله عن ذلك.

مسألة أخرى: ويقال لهم: السفيه ما لم يكن سفيهاً لما أراد السفيه؛ لأنه نهي عن ذلك ولأنه تحت شريعة من هو فوقه، ومن يجد له الحدود ويرسم له الرسوم؛ فلما أتى ما نهي عنه كان سفيهاً، ورب العالمين جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ليس تحت شريعة ولا فوقه من يجد له الحدود ويرسم له الرسوم، ولا فوقه مبيح ولا حاذر ولا أمر ولا راجر؛ فلم يجب إذا أراد ذلك أن يكون قبيحاً

(١) المائدة: ٢٨-٢٩.

(٢) يوسف: ٣٣.

أن ينسب إلى الله سبحانه وتعالى

مسألة ويقال لهم اليس من حق بين عبده وبين إيمانه ما يري بعضهم ببعض وهو لا يعجز عن التفريق بينهم يكون سفيهاً، ورب العالمين ﷻ قد حلّ بين عبده وإيمانه يري بعضهم ببعض وهو يقدر على التفريق بينهم، وليس سفيهاً، وكذلك من أراد الله ما كان سفيهاً، ورب العالمين جل وعز يريد الله وليس سفيهاً.

مسألة أخرى: ويقال لهم. من أراد طاعة الله منا كان مطيعاً كما أن من أراد الله كان سفيهاً، ورب العالمين ﷻ يريد الطاعة وليس مطيعاً؛ فكذلك يريد الله وليس سفيهاً.

مسألة أخرى ويقال لهم: قال الله ﷻ «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَوْا»^(١) فآخبر أنه لو شاء أن لا يقتلوا ما اقتلوا؛ قال: «وَلَيْكُنْ اللَّهُ بِفَعْلٍ مَا يُمِرُّ» من القتال فإذا وقع القتال فقد شاء كما أنه لما قال: «وَلَوْ رُذُّوا لَعَادُوا لِمَا كُفُوا عَنْهُ»^(٢) فقد أوجب أن الرد لو كان إلى الدنيا لعادوا إلى الكفر، وأهم إذ لم يردهم إلى الدنيا لم يعودوا، فكذلك لو شاء أن لا يقتلوا لما اقتلوا، وإذا اقتلوا فقد شاء أن يقتلوا.

مسألة أخرى: ويقال لهم: قال الله ﷻ «وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(٣) وإذا حق القول بذلك فما شاء أن يوتي كل نفس هداها، لأنه إنما لم يوتها هداها لما حق القول بتعليب الكافرين، وإذا لم يرد ذلك فقد شاء ضلالتها، فإن قالوا: معنى ذلك لو شئنا لأجبرناهم على الهدى واضطربناهم إليه، قيل لهم: فإذا أجبرهم على الهدى

(١) البقرة ٢٥٣

(٢) الأنعام: ٢٨.

(٣) السجدة ١٣.

واضطربهم إليه أيكومون مهتدين؟ فإن قالوا: نعم، قيل لهم: فإذا كان إذا فعل الهدى كانوا مهتدين فما أنكرتم لو فعل كهر الكافرين لكانوا كافرين، وهذا هدم لقولهم لأنهم رعموا أنه لا يفعل الكفر إلا كافراً ويقب لهم أيضاً، على أي وجه يؤتاهم الهدى لو آتاهم إياه وشاء ذلك لهم؟ فإن قالوا: عى لإجاء، قيل لهم: وإذا ألباهم إلى ذلك هل تصعب ما يفعلونه على طريق الإلجاء؟ فمس قولهم: نعم، قيل لهم: فإذا ألباهم لو شاء لأنهم الهدى لولا ما حق به من القول أنه يملأ جهنم، وإذا كان لو ألباهم لم يكن نافعاً لهم ولا مزيلاً للعذاب عنهم كما لم يرفع مرعون قوله الذي قاله عند الفرق والإلجاء؛ فلا معنى لقولكم لأنه لولا ما حق من القول لأوتيت كل نفس هداه، وإتيان الهدى على الوجه الذي قلتموه لا يزيل العذاب

مسألة أخرى: ويقال لهم: قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّقَّ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾^(١) وقس: ﴿وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوتِيَهُمْ سُفُفًا مِّنْ فِضَّةٍ﴾^(٢) فأخبر أنه لولا أن يكون الناس مجتمعين على الكفر لبسط للكافرين الرق، وجعل ليوتهم سففاً من فضة، لكنه لم يبسط لهم الرق ولم يجعل للكافرين سففاً من فضة؛ فما أنكرتم من أنه لو لم يرد أن يكفر الكافرون ما خلقهم مع علمه بأنه إذا خلقهم كانوا كافرين كما أنه لو أراد أن يكون الناس على الكفر مجتمعين لجعل للكافرين سففاً من فضة ومعارج عليها يظهرون لكنه لم يجعل للكافرين سففاً من فضة ومعارج عليها يظهرون؛ لئلا يكونوا جميعاً على الكفر متطابقين إذا كان في معلومه أنه لو فعل ذلك لكانوا جميعاً على الكفر متطابقين.

• • •

(١) الشورى: ٢٧.

(٢) الزخرف: ٢٣.

باب الكلام في تقدير أعمال العباد والاستطاعة

والتعديين والتجوير

يقال للقدرة هل يجوز أن يعلم الله ﷻ عباده شيئاً لا يعلمه؟ ومن قالوا: لا يعلم الله عباده شيئاً إلا وهو به عالم، قيل لهم فكذلك لا يقدرهم على شيء إلا وهو عليه قادر؛ فلابد من الإجابة بنـ ذلك، يقال لهم فإذا أقدرهم على الكفر فهو قادر على أن يخلق الكفر لهم، وإذا قدر على خلق الكفر لهم فلم أثبتهم أن يخلق كفرهم فاسداً متافضاً باطلاً، وقد قال تعالى ﴿فَعَالٌ لِّمَآ يُرِيدُ﴾^(١) وإذا كان الكفر مما أراد فقد فعله وقدره، ويرد عليهم في اللطف: يقال لهم أليس الله ﷻ قادراً على أن يعمل بحلقه من بسط الرزق ما لو فعله بهم ليخسوا، وأن يفعل بهم ما لو فعله بالكسار لكفروا كما قال: ﴿وَلَوْ فَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَقُوا فِي الْأَرْضِ﴾^(٢) وكما قال: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوشِكُمْ شِقَاقًا مِّنْ فَصْةٍ﴾^(٣) الآية؟ فلابد من نعم، يقال لهم: فما أنكسرتم من أنه قادر أن يعمل بهم لطفاً لو فعله بهم لا مسراً أجمعون، كما أنه قادر على أن يعمل بهم أمراً لو فعله بهم لكفروا كلهم

مسألة أخرى: ويقال لهم أليس قد قال الله ﷻ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَتَفَعَثُوا الشَّيْطَانُ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٤) ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾^(٥) وقال: ﴿لَا تُلَاحِظُوا وَفِي سَوَاءٍ لِّلْجَاهِمِ﴾^(٦) يعني في وسط

(١) البروج: ١٦.

(٢) الشورى ٢٧.

(٣) النساء: ٨٣.

(٤) النور: ٢١.

(٥) الصافات: ٥٥.

الجحيم، قال. «تالله إن كنت لأزدين» ﴿١﴾ ولولا نعمة نبي لكنت من
 الْمُخَضَّرِينَ ﴿٢﴾ ما الفصل الذي فعه بالمؤمن الذي لو لم يفعله لا تبعوا
 الشيطان، ولو لم يفعله ما ركني منهم من أحد أبدًا، وما النعمة التي لو لم يفعلها
 لكان من المحصرين، وهل ذلك شيء لم يفعله بالكافرين ونخص به المؤمنين؟ فإن
 قالوا نعم، تركوا قولهم وأثبتوا الله ففعل نعمًا وفضلًا على المؤمنين ابتدأهم بحمسه
 ولم ينعم مثله على الكافرين، وصاروا إلى القول بالحق، وإن قالوا قد فعل الله
 ذلك أجمع بالكافرين لما فعله بالمؤمنين قبلهم، فإذا كان الله ففعل ذلك
 أجمع بالكافرين فلم يكونوا راكبين وكانوا للشيطان متبعين وفي النار محصرين،
 وهل يجوز أن يقول للمؤمنين: لولا أني خلقت لكم الأيدي والأرجل لكنتم
 للشيطان متبعين، وهو قد خلق الأيدي والأرجل للكافرين وكانوا للشيطان
 متبعين؟ فإن قالوا: لا يجوز ذلك، قبل لهم وكذلك لا يجوز ما قلتموه، وهذا
 يبين أن الله ففعل اختص المؤمنين من النعم والتوفيق والتسديد بما لم يعط الكافرين
 وفصل عليهم المؤمنين



مسألة في الاستطاعة

ويقال لهم: أليست استطاعة الإيمان نعمة من الله ﷻ وفصلًا وإحسانًا؟ فإذا قالوا: نعم، قيل لهم: فما أنكرتم أن يكون توفيقًا وتسديدًا؟ فلا بد من الإجابة إلى ذلك، يقال لهم: فإذا كان الكافرون قادرين على الإيمان فما أنكرتم أن يكونوا موفقين للإيمان، ولو كانوا موفقين مسدين لكانوا محذوحين، وإذا لم يجر ذلك لم يجر أن يكونوا على الإيمان قادرين، ووجب أن يكون الله ﷻ اختص بالقدرة على الإيمان المؤمنين.

مسألة أخرى: يقال لهم: ولو كنت لقدرة على الكفر قدرة على الإيمان فقد رغب إليه في القدرة على الكفر؛ فلما رأينا المؤمنين يرحصون إلى الله ﷻ في قدرة الإيمان ويزهّدون في قدرة الكفر علمنا أن الذي رخصوا فيه خير الذي زهدوا فيه. مسألة أخرى: ويقال لهم: أخبروا عن قوة الإيمان أليست فضلًا من الله ﷻ؟ فلا بد من نعم، يقال لهم: فالتميّز ليس هو ما للتميّز أن لا يتفضل به وله أن يتفضل به؟ فلا بد من الإجابة إلى ذلك نعم؛ لأن ذلك هو الفرق بين التفضل وبين الاستحقاق، ويقال لهم: وللمفضل إذا أمر بالإيمان أن يرفع التفضل ولا يتفضل به فيأمرهم بالإيمان وإن خذلهم لم يعصهم قدرة على الإيمان، وهذا هو قولنا ومذهبنا.

جواب: ويقال لهم: هل يقدر الله على توفيق يوفق به الكافرين حتى يكونوا مؤمنين؟ فإن قالوا: لا، نطقوا بتعجيب الله ﷻ - تعالى عن ذلك علمًا كبيرًا، وإن قالوا: نعم، يقدر على ذلك ولو فعل بهم التوفيق لآمنوا، تركوا قولهم وقالوا بالحق. مسألة: وإن سألوا عن قول الله ﷻ: «وَمَا آتَاهُ يَرْهَدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ»^(١) وعن

قوله: «وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ»^(١) قبل هم: معنى ذلك أنه لا يريد أن يظلمهم؛ لأنه قال: وما الله يريد ظلماً لهم، ولم يقل: لا يريد ظلم بعضهم لبعض فلم يرد أن يظلمهم، وإن كان أراد ظلم بعضهم لبعض أي فلم يرد أن يظلمهم وإن كان أراد أن يظالموا.

مسألة: وإن سألوا عن قول الله تعالى «مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ»^(٢) قالوا: والكفر متعاقب فكيف يكون من خلق الله؟ والجواب عن ذلك أنه ﷻ قال: «خَلْقٌ مَتَّبِعٌ سَمَوَاتٍ مَطْبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَإِذَا رَجَعْتَ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ»^(٣) ثُمَّ أَزْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَايِقًا وَهُوَ حَسِيمٌ»^(٤)، فإنها عنى حيث: وما ترى في السموات من فطور؛ لأنه ذكر خلق السموات ولم يذكر الكفر، وإذا كان هذا على ما قلنا بطل ما قالوه، والحمد لله رب العالمين.

جواب: ويقال لهم: هل تعرفون ﷻ نعمة على أبي بكر الصديق ﷺ خص بها دون أبي جهل ابتداء؟ فإن قالوا: لا! فحش قوهم، وإن قالوا: نعم! تركوا مذهبهم، لأنهم لا يقولون: إن الله خص المؤمنين في الابتداء بما لم يخص به الكافرين.

مسألة: وإن سألوا عن قول الله ﷻ: «وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا»^(٥)، فقالوا: هذه الآية تدل على أن الله ﷻ لم يخلق الباطل، والجواب عن ذلك: أن الله ﷻ أراد تكذيب المشركين الذين قالوا: لا حشر ولا نشور ولا

(١) آل عمران: ١٠٨.

(٢) الملك: ٣.

(٣) الملك: ٣-٤.

(٤) ص: ٢٧.

إعادة، فقال تعالى. ما خلقت ذلك وأنا لا أثيب من أطاعني ولا أعاقب من عصاني كما ظن الكافرون أنه لا حشر ولا مشور ولا ثواب ولا عقاب؛ إلا تراهم قال. «ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن كُتَابٍ»^(١) ويثبت ذلك بقوله «أُمِرَ جَمْعُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أُمْرَ جَمْعُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ»^(٢)، أي لا نسوي بينهم في أن نسيهم أجمعين ولا نعيدهم فيكون سيلهم سيلاً واحداً

مسألة: وإن سألوا عن قول الله ﷻ «مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ»^(٣)، والحوادث عن ذلك أن الله ﷻ قال: «وإن تُصِيبَهُمْ حَسَنَةٌ - يعني الحبيب والخير - «يَقُولُوا هَدَاهُ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ - يعني الحسرة والمعصية والمصائب - «يَقُولُوا هَدَاهُ مِنْ عِندِ اللَّهِ» - أي لشؤمك، قال الله ﷻ: «فَلَنْ تَكُونَ مِنَ الْعَادِلِينَ» فَمَالِ هَؤُلَاءِ مِنَ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا»^(٤) في قولهم: «مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ» - فمذهب قولهم: لأن ما تقدم من الكلام يدل عليه؛ لأن القرآن لا يتنافى، ولا يجوز أن يقول في آية إن الكل من عند الله، ثم يقول في الآية الأخرى التي تليها إن الكل ليس من عند الله على أن ما أصاب الناس هو غير ما أصابوه، وهذا يبين بطلان تعليقهم بهذه الآية ويوجب عليهم الحجة

مسألة: وإن سألوا عن قول الله ﷻ «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا

(١) ص: ٢٧

(٢) ص: ٢٨

(٣) الب: ٧٩

(٤) الب: ٧٨

لِيَقْبَلُونِ»^(١) فالجواب عن ذلك أن الله ﷻ إنما عصى المؤمنين دون الكافرين؛ لأنه أخبرنا أنه درأ لحهم كثيرًا من خلقه؛ فالدين حنقهم لجهنم وأحصاصهم وعدهم وكتبهم بأسمائهم وأسماء آبائهم وأمهاتهم غير الدين حنقهم لعبادته

• • •

مسانة في التكليف

ويقال لهم: أليس قد كشف الله عنكم لكامرين أن يستمعوا الحق ويقبلوه
ويؤمنوا بالله؟ فلا بد من نعم، يقال لهم: فقد قال الله ﷻ: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ
السَّمْعَ﴾^(١) وقال: ﴿وَمَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾^(٢) وقد كلفهم استماع الحق.
جواب: ويقال لهم: أليس قد قال الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى
السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾^(٣) أليس قد أمرهم ﷻ بالسجود في الأحرى، وجاء في الخبر أن
الشافعين يجعل في أصلهم كالصفائح فلا يستطيعون السجود وفي هذا ثبت لما نقوله
من أنه لا يجب لهم عن الله ﷻ إذا أمرهم أن يفترهم، وهو بطلان قول القدرية



(١) مرد، ٢٠.

(٢) الكهف، ١٠١.

(٣) القلم، ٤٢.

مسألة في إيلام الأطفال

ويقال لهم: أليس قد آلم الله ﷻ الأطفال في الدنيا بآلام أوصلها إليهم كحرق
الجذام الذي يقطع أيديهم وأرجلهم وغير ذلك من يؤلمهم به، وكان ذلك سائماً
جائزاً؟ فإذا قالوا: نعم، قيل لهم: فإذا كان هذا عدلاً فما أنكرتم أن يؤلمهم في
الآخرة ويكون ذلك منه عدلاً؟ فلو قالوا: ألمهم في الدنيا ليعتبر بهم الآباء، قيل
لهم: فإذا فعل بهم ذلك في الدنيا ليعتبر بهم الآباء وكان ذلك منه عدلاً فلم لا يؤلم
أطفال الكافرين في الآخرة ليغيظ بذلك آباءهم ويكون ذلك منه عدلاً؟ وقد قيل
في الخبر إن أطفال المشركين تزجج لهم نار يوم القيامة ثم يقال لهم: اقتحموها
فمن اقتحمها أدخله الجنة، ومن لم يقتحمها أدخله النار

مسألة. وقد قيل في الأطفال وروى عن النبي ﷺ: «إِنْ شِئْتَ أَسْمَعْتُكَ
خُفَاءَهُمْ^(١) فِي النَّارِ^(٢)».

جواب: ويقال لهم: أليس قد قال الله تعالى: «وَنُفِثَ يَدَا ابْنِ كَثَبٍ وَنُسِيَ^(٣) مَا
أَعْنَى عَنَّةٍ مَالَهُ وَمَا كَسَبَ^(٤) سَمُضِلٌ كَارًا ذَاتَ قَسْرِ^(٥)» وأمره مع ذلك
بالإيمان فأوجب عليه أن يعلم أنه لا يؤمن وأن الله صادق في إخباره عنه أنه لا
يؤمن، وأمره مع ذلك أن يؤمن، ولا يجتمع الإيمان والعلم بأنه لا يكون، ولا
يقدر القادر هل أن يؤمن وأن يعلم أنه لا يؤمن، وإذا كان هذا هكذا فقد أمر الله
سبحانه أباه لحب بها لا يقدر عليه؛ لأنه أمره أن يؤمن وأنه يعلم أنه لا يؤمن.

(١) في مسند أحمد، ومسند ابن الجوزي، «تضاعيفهم»

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٠٨/٦)، وابن الجوزي في مسنده ح (٢٩٦٩) من حديث عائشة به،

وقال الميثمي في المجمع (٤٤٠/٧): «رواه أحمد، وفيه أبو حفص يحيى بن النضر، ضعفه جمهور

الأئمة أحمد وغيره ويحيى بن معين، ونقل عنه توثيقه في روايه من ثلاثة» نعم.

(٣) المسند ١-٣.

مسألة. ويقال لهم: أليس أمر الله ﷻ بالإيمان من علم أنه لا يؤمن؟ فمن
قولهم: «نعم»، يقال لهم: فأنتم قد درون على الإيمان وينأتى لكم ذلك؟ وإن قالوا
«لا» وافقوا، وإن قالوا «نعم» رعموا أن العباد يقدرون على الخروج من علم
الله - تعالى الله ﷻ عن ذلك علواً كبيراً.

• • •

الرد على المعتزلة

قال أبو الحسن الأشعري ويقال لهم أليس المجوس أثبتوا أن الشيطان يقدر على الشر الذي لا يقدر الله ﷻ عليه فكسوا قلوبهم هذا كفرين؟ فلا بد من نعم، يقال لهم: فإذا زعمتم أن الكافرين يقدرون على الكفر والله ﷻ لا يقدر عليه فقد ردتم على المجوس في قولهم؛ لأنكم تقولون معهم: إن الشيطان يقدر على الشر والله لا يقدر عليه، وهذا مما يبينه الخبر عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْقُدْرَةَ مَجُوسٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ»^(١)، وإنما صاروا مجوس هذه الأمة لأهم قالوا بقول المجوس.

مسألة: وزعمت القدرية أنا ستحق اسم القدرة؛ لأننا نقول: إن الله ﷻ قَدْرُ الشر والكفر، فمن يشئ القدر كان قدره دون من لم يشئ، فيقال لهم: القدر هو من يشئ القدر لنفسه دون ربه ﷻ وأنه يقدر أعماله دون خالقه، وكذلك هو في اللذة؛ لأن الصانع هو من زعم أنه يصنع دون من يقول إنه يصاغ له، والنجار هو من يضيف التجارة إلى نفسه دون من يزعم أنه ينجر له، فلما كنتم تزعمون أنكم تقدرون أعمالكم وتعملونها دون ربكم وجب أن تكونوا قدرية، ولم تكن نحن قدرية لأننا لم نصف الأعمال إلى أنفسنا دون ربنا ﷻ، ولم نقل: إننا نقدرها دونه، وقلنا: إنها تقدر لنا.

جواب ويقال لهم: إذا كان من أثبت التقدير لله ﷻ قدرنا فيلزمكم إذا زعمتم أن الله ﷻ قدر السموات والأرض، وقدر الطاعات أن تكونوا قدرية، فإذا لم يلزم هذا فقد بطل قولكم وانتصر كلامكم.

• • •

مسألة في الختم

يقال لهم: اليس قد قال الله ﷻ ﴿حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً﴾^(١) وقال ﷻ ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَفْضَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾^(٢)، ففخرونا عن الذين ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم، انزعمون أنه هداهم وشرح للإسلام صدورهم وأصلهم؟ فإن قالوا: «نعم» تناقض قولهم وقيل لهم: كيف القفل الذي قال الله ﷻ ﴿أَمْرٌ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٣) مع الشرح، والصيق مع السعة، والهدى مع الضلال؛ إن كان هذا جاز أن يجتمع التوحيد والإلحاد الذي هو ضد التوحيد، والكفر والإيمان معاً في قلب واحد، وإن لم يجر هذا لم يجر ما قلتموه؛ فإن قالوا: الختم والصيق والصلال لا يجرر أن يجتمع مع شرح الله الصدر، قيل لهم: وكذلك الهدى لا يجتمع مع الضلال؛ وإذا كان هكذا فما شرح الله صدور الكافرين للإيمان بل ختم على قلوبهم وأغفلها عن الحق، شد عليها، كما دعا نبي الله موسى ﷺ على قومه فقال: ﴿رَبِّنَا أَخْلَسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَذُوقُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾^(٤) وقال الله ﷻ ﴿فَإِذَا جِئْتَ دَعَوْتُكَكُمْ﴾^(٥) وقال ﷻ يجبر عن الكافرين أنهم قالوا: ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكْثَرِ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾^(٦) فردا حق الله الأكمة في قلوبهم والقفل والزيف -

(١) البقرة ٧

(٢) الأنعام: ١٢٥

(٣) همد: ٢٤

(٤) يونس: ٨٨

(٥) يونس: ٨٩

(٦) فصلت: ٥

لأن الله تعالى قال: ﴿فَلَمَّا رَاغُوا أَزْوَاجَ اللَّهِ قُلُوبُهُمْ﴾^(١) - والظنم وضيق الصدر ثم أمرهم بالإيمان الذي علم أنه لا يكون فقد أمرهم بها لا يقدرُونَ عليه، وإذا خلق الله في قلوبهم ما ذكرناه من الضيق عن الإيمان؛ فهل الضيق من الإيمان إلا الكفر الذي في قلوبهم، وهذا يبين أن الله خلق كفرهم ومعاصيهم.

جواب: ويقال لهم: قال الله ﷻ لبيهِ أَفَلَيْسَ: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُكَيِّتَكَ لَقَدْ كُذِّبَتْ تَرْكُكُمْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾^(٢) وقال جبر عن يوسف: ﴿وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِوَيْهٍ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾^(٣) فحدثونا عن ذلك الشيت والبرهان هل فعله الله ﷻ بالكافرين أو ما هو مثله؟ فإن قالوا: «لا» تركوا القول بالقدر، وإن قالوا: «نعم» قيل لهم: فإذا كان لم يركس إليهم من أجل الشيت فبجب لو كان فعل ذلك بالكافرين أن لا يثبتوا عن الكفر، وإذا لم يكونوا عن الكفر معترفين فقد بطل أن يكون فعل بهم مثل ما فعله بالسي ﷻ من الشيت الذي لما فعله به لم يركس إلى الكافرين.

(١) الصب: ٥.

(٢) الإسراء: ٧٤.

(٣) يوسف: ٢٤.

مسألة في الاستثناء

يقال لهم: خبرونا عن مطالبة رجل بحق، فقال له: والله لأعطينك ذلك غداً إن شاء الله، أليس الله شائئياً أن يعطيه حقه؟ فمس قلوبهم: «نعم» يقال لهم: أفرأيتم إن جاء الغد فلم يعطه حقه اليس لا يحث؟ فلا بد من نعم، فيقال لهم: ولو كان الله شاء أن يعطيه حقه لحث إذا لم يعطه كما لو قال: والله لأعطينك حقك إذا طلع المجر عدائهم طلع ولم يعطه يكون حاشاً.

• • •

مسألة في الأجل

يقال لهم: أليس قد قال الله ﷻ: ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ﴾^(١) وقال: ﴿وَلَيْ يُؤْخَرُ اللَّهُ عَنْكَ إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا﴾^(٢) فلا بد من نعم، يقال لهم: فخيرونا همن قتله قاتل ظلماً أترعمون أنه قتل في أجله أو بأجله؟ فإن قالوا: نعم، وافقوا وقالوا: ما لحق وتركوا القدر، وإن قالوا: لا، قيل لهم: فمتى أجل هذا المقتول؟ فإن قالوا: الوقت الذي علم الله أنه لو لم يقتل لنزوج امرأة علم أنها امرأته، وإن لم يبلغ إلى أن يتزوجها، وإذا كان في معلوم الله أنه لو لم يقتل وبقي لكفر أن تكون النار داره، وإذا لم يجر هذا لم يميز أن يكون الوقت الذي لم يبلغ إليه أجلاً له، على أن هذا القول لا يبعد، لقول الله ﷻ: ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ﴾^(٣).

مسألة أخرى: ويقال لهم: إذا كان المقاتل همدكم قادراً على أن لا يقتل هذا المقتول فبميش، فهو قادر على قطع أجله وتقديمه قبل أجله، وهو قادر على تأخيرها إلى أجله، فالإنسان على نحوكم يقدر أن يقدم آجال العباد ويؤخرها، ويقدر أن يقي العباد ويطلعهم ويمرح أرواحهم، وهذا إلحاد في الدين

* * *

(١) يونس: ٤٩.

(٢) المنافقون: ١١.

(٣) يونس: ٤٩.

مصالحة في الأرزاق

ويقال لهم: عبرونا عن اعتصم طعامًا فأكله حرامًا هل رزقه الله ذلك الحرام؟ فإن قالوا: «نعم» تركوا القدر، وإن قالوا: «لا» قيل لهم: فمن أكل جميع عمره الحرام فما رزقه الله شيئًا اغتذى به جسمه، ويقال لهم: فإذا كان غيره يعتصم له ذلك الطعام ويطعمه إياه إلى أن مات فرازق هذا الإنسان عندكم غير الله، وفي هذا إقرار منهم أن للحق رازقين أحدهما يرزق الحلال، والآخر يرزق الحرام، وأن الناس تنبت لحومهم ونشتد عظامهم، والله غير رازق لهم ما اغتدوا به، وإذا قلتم: إن الله لم يرزقه الحرام سركم أن الله لم يخله به ولا جعله قوامًا لجسمه، وأن لحمه وجسمه قام وعظمه اشتد بعير الله ﷻ، وهو من رزقه الحرام، وهذا كمر عظيم إن احتملوا



مسألة أخرى في الأرزاق

ويقال لهم لم آيتم أن يرزق الله الحرام؟ فإن قالوا، لأنه لو رزق الحرام لملك الحرام، يقال لهم حجرونا عن الطفل الذي يتعذى من لبن أمه، وعن الهيمة التي ترمى الحشيش من يرزقها ذلك؟ فإن قالوا، الله، قيل لهم: هل ملكها وهل للهيمة ملك؟ فإن قالوا: «لا» قيل لهم: فلم رعمتم أنه لو رزق الحرام لملك الحرام، وقد يرزق الله الشيء ولا يُملكه، ويقال لهم: هل أقدر الله العبد على الحرام ولم يملكه إياه؟ نعم قولهم. «نعم» يقال لهم: فما أنكرتم أن يرزقه الحرام وإن لم يملكه إياه

جواب: يقال لهم، إذا كان توفيق المؤمنين بالله مما أنكرتم أن يكون خذلان الكافرين من قبل الله، وإلا فإن زعمتم أن الله وفق الكافرين للإيمان فقولوا: عصمهم من الكفر، وكيف عصمهم من الكفر وقد وقع الكفر منهم؟ فإن أثبتوا أن الله خذلهم قيل لهم: فالخذلان من الله أليس هو الكفر الذي خلقه فيهم؟ فإن قالوا: نعم وافقوا، وإن قالوا: «لا» قيل لهم: فما ذلك الخذلان الذي خلقه؟ فإن قالوا: تخلته إياهم والكفر، قيل لهم: أليس من قولكم: إن الله خلق حل بين المؤمنين وبين الكفر؟ نعم قولهم: «نعم» قيل لهم: فإذا كان الخذلان التخلية بينهم وبين الكفر فقد لزمكم أن يكون حذل المؤمنين لأنه خلق بينهم وبين الكفر، وهذا خروج عن الدين؛ فلا بد لهم أن يشنوا لهم الخذلان للكفر الذي خلقه الله فيهم فيتركوا القول بالقدر.

مسألة: إن سأل سائل من أهل القدر فقال هل يخلو العبد من أن يكون بين نعمة يجب عليه أن يشكر الله عليها أو بلية يجب عليه الصبر عليها؟ قيل له: العبد لا يخلو من نعمة وبلية، والنعمة يجب على العبد أن يشكر الله عليها، والبلايا على ضربين: منها ما يجب الصبر عليها كالأمراض والأسقام وما أشبه ذلك، ومنها

ما يجب عليه الإقلاع عنها كأنكمروا بمعاصي

مسألة وإن سألوا فقالوا أيها خير الخير أو من الخير منه؟ قيل لهم: من كان الخير منه متمضلاً به فهو خير من الخير، فإن قالوا: فأيا شر: الشر أو من الشر منه؟ قيل لهم: من كان الشر منه جائزاً به فهو شر من الشر، والله ﷻ يكون منه الشر خلقاً وهو عادل به؛ فذلك لا يلزمنا ما سألتهم عنه على أنكم باقصون لأصولكم؛ لأنه إن كان من كان شر منه فهو شر من الشر، وقد خلق الله ﷻ إبليس الذي هو شر من الشر الذي يكون منه؛ فقد خلق ما هو شر من الشرور كلها، وهذا نقص ديبكم وفساد ملهكم

• • •

مسألة في الهدى

يقال للمعتزلة: أليس قد قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ هَدَىٰ آلَ هَارُونَ﴾ (١) فأنه قد هدى آل هارون؟ فلابد من نعم، يقال لهم: أوليس قد ذكر الله ﷻ القرآن فقال: ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ (٢) فأنه قد هدى آل هارون على الكافرين عمنى؟ فلابد من نعم، ويقال لهم: فهل يجوز أن يكون من أخبر الله ﷻ أن القرآن له هدى هو عليه عمنى؟ فلابد من لا، يقال لهم: فكما لا يجوز أن يكون القرآن عمنى على من أخبر الله أنه له هدى كذلك لا يجوز أن يكون القرآن هدى لمن أخبر الله أنه عليه عمنى. مسألة أخرى: ثم يقال لهم: إذا جاز أن يكون دعاء الله إلى الإيمان هدى لمن قبل ولمن لم يقبل، فما أنكرتم دعاء إبليس إلى الكفر أصلاً؟ لمن قبل ولمن لم يقبل؟ وإن كان دعاء إبليس إلى الكفر أصلاً لا للكافرين الذين قبلوا عنه دون المؤمنين الذين لم يقبلوا عنه؛ فما أنكرتم أن دعاء الله ﷻ إلى الإيمان هدى للمؤمنين الذين قبلوا عنه دون الكافرين الذين لم يقبلوا عنه، وإلا فما الفرق بين ذلك.

مسألة أخرى: ويقال لهم أليس قال الله ﷻ: ﴿يُضِلُّ يَوْمَ كَثِيرًا﴾ (٣) فهل يدل قوله: ﴿يُضِلُّ يَوْمَ كَثِيرًا﴾ على أنه لم يضل الكل؛ لأنه لو أراد الكل لقال: يضل به الكل؛ فلما قال: ﴿يُضِلُّ يَوْمَ كَثِيرًا﴾ علمنا أنه لم يضل الكل؛ فلابد من نعم، فيقال لهم: فما أنكرتم أن قوله: ﴿وَيَهْدِي يَوْمَ كَثِيرًا﴾ دليل على أنه لم يرد الكل؛ لأنه لو أراد الكل لقال: ويهدي به الكل، فلما قال: ﴿وَيَهْدِي يَوْمَ كَثِيرًا﴾ علمنا أنه لم يهد الكل، وفي هذا إبطال قولكم: إن الله هدى الخلق أجمعين.

(١) البقرة: ١-٢.

(٢) البقرة: ٢٦.

(٣) البقرة: ٢٦.

مسألة أخرى: ويقال لهم: إذا قلتم: إن دعاء الله إلى الإيمان هدى للكافرين الذين لم يقبلوا عن الله أمره، فما أنكرتم أن يكون دعاء الله إلى الإيمان نعتاً وصلاً وتسديداً للكافرين الذين لم يقبلوا عن الله أمره، وما أنكرتم أن يكون عصمة لهم من الكفر وإن لم يكونوا من الكفر معتصمين، وأن يكون توفيقاً للإيمان وإن لم يوفقوا للإيمان، وفي هذا ما يجب أن الله سدد الكافرين وأصلحهم وعصمهم ووفقهم للإيمان وإن كانوا كافرين، وهذا مما لا يجوز لأن الكافرين مخدولون، وكيف يكونون موفقين للإيمان وهم مخدولون؟! فإن جاز أن يكون الكافر موفقاً للإيمان فما أنكرتم أن يكون الإيمان له متعلقاً فإن استحال هذا فما أنكرتم أن يستحيل ما قلتموه.



مسألة في الضلال

يقال لهم: أضل الله الكافرين عن الإيمان أو عن الكفر؟ فإن قالوا: «عن الكفر» قيل لهم: فكيف يكونون ضالين عن الكفر داهيين عنه وهم كافرون؟ فإن قالوا: أضلهم عن الإيمان تركوا قولهم؛ وإن قالوا: نقول: إن الله أضلهم ولم يصلهم عن شيء، قيل لهم: ما الفرق بينكم وبين من قال: إن الله هدى المؤمنين لا إلى شيء؟ فإن استحال أن يهدي المؤمنين لا إلى الإيمان فيما أمكرتم من أنه محال أن يضل الكافرين لا عن الإيمان.

مسألة أخرى: ويقال لهم: ما معنى قول الله **﴿وَضَلَّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾** ^(١)؟ فإن قالوا: معنى ذلك أنه يسميهم ضالين ويحكم عليهم بالضللال، قيل لهم: اليس خاطب الله العرب بلعنهم فقال **﴿بَلْسَانَ عَرَبٍ مُّشْبِعٍ﴾** ^(٢) وقال: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾** ^(٣)؟ فلا بد من نعم، فيقتلهم فإذا كان أنزل الله القرآن بلسان العرب فمن أين وجدتم في لغة العرب أن يقال: أضل فلان فلاناً، أي سباه ضالاً؟ فإن قالوا: وجدنا القائل يقول: إذا قال رجل لرجل: ضال: قد ضلكته، قيل لهم: قد وجدنا العرب يقولون: ضلل فلان فلاناً إذا سباه ضالاً، ولم نجدهم يقولون: أضل فلان فلاناً بهذا المعنى، فلما قال الله **﴿وَضَلَّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾** ^(٤) لم يجوز أن يكون ذلك معنى ذلك الاسم، والحكم إذا لم يجز في لغة العرب أن يقال: أضل فلان فلاناً إذا سباه ضالاً بطل تأويلكم؛ إذ كان خلاف لسان العرب.

مسألة أخرى: ويقال لهم: إذا قلتم: إن الله أضل الكافرين بأن سباهم: ضالين،

(١) إبراهيم: ٢٧.

(٢) الشعراء: ١٩٥.

(٣) إبراهيم: ٤.

(٤) إبراهيم: ٢٧.

و ليس ذلك في اللغة على ما ادعيتوه، بل مكم إذا سمي السبي **يَهْدِي** قوماً صالحين
وسدين بأن يكون قد أصلهم وأصلهم بأن سيأهم: ضالين فاسدين، وإذا لم يحر
هذا بطل أن يكون معنى **«وَيَهْدِي اللَّهُ لِنُجُومٍ»** الاسم واحكم كما ادعيتهم

جواب. ويقال لهم: أليس قد قال الله تعالى: **«مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ
يَضِلَّ فَلَنْ يُجْدَى لَهُ وَلِيَكَ مَرِشِدًا»**^(١) وقال **«كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا
بَعْدَ إِيمَانِهِمْ»**^(٢) فذكر أنه لا يهديهم، وقال: **«وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»**^(٣) فجعل الدعاء عاماً وأهدى خاصاً، وقال: **«لَا
يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ»**^(٤) فإذا أحسن الله ذلك أنه لا يهدي القوم الكافرين
فكيف يجوز لقائل أن يقول، إنه يهدي الكافرين مع إحصاءه أنه لا يهديهم، ومع
قوله: **«إِنَّكَ لَا يَهْدِي مَنْ أَحْسَنَتْ وَلَكِنْ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ»**^(٥) ومع قوله:
«لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ»^(٦) ومع قوله: **«وَلَوْ
شِئْنَا لَا تَتَنَبَّأُ كُلُّ نَفْسٍ هُدَاهَا»**^(٧) وإن جاز هذا جار أن يقال: أصل المؤمنين مع
قوله: **«مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ»**^(٨) ومع قوله: **«يَهْدِي الْمُتَّقِينَ»**^(٩)، فإن لم يكن
ذلك مما أكرهتم أنه لا يجوز أنه يهدي لكافرين مع قوله **«لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْكَافِرِينَ»** ومع سائر الآيات التي طابهاكم بها

(١) الكهف: ١٧.

(٢) آل عمران: ٨٦.

(٣) يونس: ٢٥.

(٤) المحل: ١٠٧.

(٥) القصص: ٥٦.

(٦) النور: ٢٧٢.

(٧) السجدة: ١٣.

(٨) الكهف: ١٧.

(٩) البقرة: ٢.

جواب: ويقال لهم: أليس قد قال الله ﷻ: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾^(١)؟
فلا بد من نعم، فيقال لهم: فأصلهم ليصلوا أو ليهتدوا؟ فإن قالوا: «أصلهم ليهتدوا» قيل لهم: وكيف يجوز أن يضلهم ليهتدوا، وإن جاز هذا جاز أن يهديهم ليضلوا، وإذا لم يجوز أن يهدي المؤمنين ليضلوا فما أنكرتم من أنه لا يجوز أن يضل الكافرين ليهتدوا.

جواب: ويقال لهم: إذا زعمتم أن الله هدى الكافرين فلم يهتدوا فما أنكرتم أن ينفعهم فلا يتفكرون وأن يصلحهم فلا يصلحون، وإذا جاز أن ينفع من لا ينتفع بنفعه فما أنكرتم من أن يضر من لا يلحقه المضره؟ فإن كان لا يضر إلا من يلحقه الضرر فكذلك لا ينفع إلا متفعلاً، ولم يجاز أن ينفع من ليس متفعلاً جاز أن يقدر من ليس مقتدرًا، وإذا استحال ذلك استحال أن ينفع من ليس متفعلاً ويهدي من ليس مهتديًا.

من تقيت شكوكه جرح مسددي

مسألة: تسألوننا عما تقولون: أليس قد قال الله ﷻ: ﴿يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾؟
أنزل فيه الآية أن هدى للناس وتبين^(٢)؟ فما أنكرتم أن يكون القرآن هدى للكافرين والمؤمنين؟ قيل لهم: الآية خاصة، لأن الله ﷻ قد بين لنا أنه «يُضِلُّ مَن يَشَاءُ» وأخبرنا أنه لا يهدي الكافرين، والقرآن لا يتناقض، فوجب أن يكون قوله: «يُضِلُّ مَن يَشَاءُ» أراد المؤمنين دون الكافرين.

سؤال: فإن قال قائل: أليس قد قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾^(٣)؟

(١) الجاثية: ٢٣.

(٢) البقرة: ١٨٥.

(٣) يس: ١١.

وقال: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ تَخْشَاهَا»^(١) وقد أُنذِر السبي ﷺ من اتبع الذكر ومن لم يتبع، ومن خشي ومن لم يخش؟ قيل له: «نعم» فبن قالوا: فما أنكرتم أن يكون قوله: «هُدًى لِلْمُتَّقِينَ» أراد به هدى لهم ولغيرهم؟ قيل لهم: إن معنى قول الله ﷻ: «إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ» إنها أراد به: ينتفع بالإنذار من اتبع الذكر، وقوله: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ تَخْشَاهَا» أراد أن الإنذار ينتفع به من يخشى الساعة ويخاف العقوبة فيها، وأن الله ﷻ قد أخبر في موضع آخر من القرآن أنه أُنذِر الكافرين فقال: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ»^(٢)، وهذا هو خبر عن الكافرين، وقد: «وَأُنذِرَ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ»^(٣)، وقال: «أُنذِرْ تَكْرِ ضَعِيفَةٍ مِّثْلَ ضَعِيفَةٍ عَادُ وَثُودٍ»^(٤)، وهذا خطاب للكافرين، فلما أخبر الله ﷻ في آيات من القرآن أنه أُنذِر الكافرين كما أخبر الله في آيات أنه أُنذِر من يخشاها وأُنذِر من اتبع الذكر رجب بالقرآن أن الله قد أُنذِر المؤمنين والكافرين، فلما أخبرنا الله أنه هَدَى لِلْمُتَّقِينَ وعَيَّنَّ عَلَى الكافرين، وأخبرنا أنه لا يهدي الكافرين وحب أن يكون القرآن هدى للمؤمنين دون الكافرين.

سؤال: إن سأل سائل عن قول الله ﷻ: «وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا آلَعَمَىٰ عَلَىٰ أَهْدَىٰ»^(٥) فقال: أليس ثمود كانوا كافرين، وقد أخبر الله أنه هداهم؟ قيل له: ليس الأمر كما ظننت، والجواب في هذه الآية على وجهين: أحدهما: أن ثمود على فريقين: كافرين ومؤمنين، وهم الذين أخبر أنه أنجاهم مع

(١) البارات ٤٥

(٢) البقرة: ٦.

(٣) الشعراء: ٢١٤.

(٤) فصلت: ١٣.

(٥) فصلت: ١٧.

صالح بقوله ﷻ: ﴿نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾^(١)؛ فالدين عسى الله ﷻ من ثمود أنه هداهم هم المؤمنون دون الكافرين؛ لأن الله ﷻ قد بيّن لنا في القرآن أنه لا يهدي الكافرين، والقرآن لا يتناقض بل يصدق بعضه بعضاً؛ فإذا أخبرنا في موضع أنه لا يهدي الكافرين ثم أحرر في موضع أنه هدى ثمود علمنا أنه إما أراد المؤمنين من ثمود دون الكافرين.

والوجه الآخر: أن الله ﷻ عني قومًا من ثمود كانوا مؤمنين ثم ارتدوا؛ فأحبر أنه هداهم فاستحووا بعد الهداية الكفر على الإيثار، وكانوا في حال هداهم مؤمنين. فإن قال قائل معترضاً في الجواب الأول: كيف يجوز أن يقول: ﴿فَهَدَيْنَهُمْ﴾ ويعني المؤمنين من ثمود، ويقول: ﴿فَأَسْتَحَبُّوا﴾ يعني الكافرين منهم وهم غير مؤمنين؟ يقال له: هذا جائز في اللغة التي ورد بها القرآن أن يقول: ﴿فَهَدَيْنَهُمْ﴾ ويعني المؤمنين من ثمود، ويقال: ﴿فَأَسْتَحَبُّوا﴾ يعني الكافرين منهم، وقد ورد القول بمثل هذا؛ قال الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلْفَةُ يُعَذِّبُهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾^(٢) يعني الكفار، ثم قال: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلْفَةُ يُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ يعني المؤمنين، ثم قال: ﴿وَمَا لَهُمْ إِلَّا يُعَذِّبُهُمْ أَلْفَةُ﴾^(٣) يعني الكافرين، ولا خلاف عند أهل اللغة في جواز الخطاب بهذا أن يكون ظاهره جنس والمراد به جنسان، فبطل ما اعترض به المعترض ودل على جهله.

• • •

(١) هود: ٦٦.

(٢) الأنعام: ٣٣.

(٣) الأنعام: ٣٤.

باب ذكر الروايات في القدر

روى معاوية بن عمرو قال: ثنا زائدة قال: حدثنا سليمان الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود قال: أخبرنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضَعَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ السَّمَلَكَ، قَالَ: فَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، يُقَالُ: اكْتُبْ أَجَلَهُ وَرِزْقَهُ وَعَمَلَهُ وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ؛ قَالَ: فَإِنْ أَحَدَكُمُ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنْ أَحَدَكُمُ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا» (١).

وروى معاوية بن عمرو قال: ثنا زائدة عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «أَحْتَجُّ آدَمَ وَمُوسَى، قَالَ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ أَهْوَيْتَ النَّاسَ وَأَخْرَجْتَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، قَالَ: فَقَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلِمَاتِهِ تَلُومُنِي عَلَى عَمَلٍ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ؛ قَالَ: فَحَجَّجْتُ آدَمَ وَمُوسَى» (٢).

وروى حديث جع آدم موسى مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة

(١) أخرجه البخاري ح (٣٢٠٨، ٣٣٣٢، ٦٥٩٤، ٧٤٥٤)، ومسلم ح (٢٦٤٣) من طرق عن الأعمش به.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٩٨/٢) من طريق معاوية بن عمرو، والترمذي ح (٢١٣٤) من طريق سليمان التيمي، كلاهما عن الأعمش به. وأخرجه البخاري ح (٤٧٣٦، ٤٧٣٨، ٤٧٣٩)، ومسلم ح (٢٦٥٢) من أوجه أخر عن أبي هريرة.

عن النبي ﷺ^(١)، وهذا يدل على بطلان قول انقلرية الذين يقولون إن الله ﷻ لا يعلم الشيء حتى يكون؛ لأن الله ﷻ إذا كتب ذلك وأمر بأن يكتب فلا يكتب شيئاً لا يعلمه - جل عن ذلك وتقدس

وقال الله ﷻ: ﴿وَمَا تَشْقُطُ مِنْ رِزْقِهِ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَلَا حَبْوِي طَلُمَسْتَ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَافِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٢)، وقال ﴿وَمَا مِنْ ذَاتٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعُهَا﴾^(٣)، وقال ﴿أَخَصَّنَا اللَّهُ وَنَشِئَهُ﴾^(٤)، وقال: ﴿لَقَدْ أَخَصَّنَا وَعَدَّاهُمْ عَدًّا﴾^(٥)، وقال ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾^(٦)، ﴿وَأَخَصَّنَا كُلَّ شَيْءٍ عَدْدًا﴾^(٧)، وقال: ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَزِيمٌ﴾^(٨)

فذلك يبين أنه يعلم الأشياء كلها، وقد أخبر الله ﷻ أن الخلق يعيشون وبحسرون، وأن الكافرين في النار يحلدون، وأن الأسياء والمؤمنين في الجنان يدخلون، وأن القيامة تقوم، ولم تقم القيامة بعد؛ فذلك يدل على أن الله تعالى يعلم ما يكون قبل أن يكون، وقد قال الله في أهل النار ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نَجَّوْا عَنْهُ﴾^(٩)، فأخبر عما لا يكون أن لو كان كيف يكون، وقال: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ

(١) أخرجه البخاري ح (٦٦١٤) من طريق سيف بن حية، ومسلم ح (٢٦٥٢/١٤) من طريق مالك، كلاهما من أبي الرقاد به.

(٢) الأنعام: ٥٩.

(٣) هود: ٦.

(٤) المجادلة: ٦.

(٥) مريم: ٩٤.

(٦) العلق: ١٢.

(٧) الجين: ٢٨.

(٨) البقرة: ٢٩.

(٩) الأنعام: ٢٨.

الْأُولَى ۖ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ نَبِيٍّ كَتَبَ لَا يَصِلُ نَبِيٌّ وَلَا نَسَى ۖ^(١) وَمَنْ لَا يَعْلَمُ الشَّيْءَ قَبْلَ كَوْنِهِ لَا يَعْلَمُهُ بَعْدَ تَفْصِيهِ - تَعَالَى عَنْ قَوْلِ الظَّالِمِينَ عَلَوْا كَبِيرًا وَرَوَى مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ: لَمَّا رَأَيْتُهُ هُوَ سَالِيحًا الْأَعْمَشَ هُوَ عَمْرٍو بْنُ مَرَّةٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رِبْعَةَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: فَذَكِّرُوا رَجُلًا فَذَكَّرُوا مِنْ خُلُقِهِ، فَقَالَ الْقَوْمُ: أَمَا لَهُ مَنْ يَأْخُذُ عَلَى يَدَيْهِ؟ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ قُطِعَ رَأْسُهُ أَكُتِمَ نَسْتَطِيعُونَ أَنْ نَجْعَلُوهُ لَهُ يَدًا؟ قَالُوا: لَا، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنْ الْطِفَّةُ إِذَا وَقَعَتْ فِي الْمَرَاةِ مَكَّتْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ انْحَدَرَتْ دُمَا ثُمَّ تَكُونُ عُلْفَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ تَكُونُ مَصْعَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا يَقُولُ اكْتُبْ أَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَآثَرَهُ وَخُلُقَهُ وَشَقِي أَوْ سَعِيدًا وَإِنْ كُمْ لَسْ نَسْتَطِيعُوا أَنْ تَغْيِرُوا خُلُقَهُ حَتَّى تَغْيِرُوا خُلُقَهُ^(٢)

وَرَوَى مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ: لَمَّا رَأَيْتُهُ هُوَ مَنصُورٌ عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ هُوَ عَلِيٌّ قَالَ: كُنَّا فِي جَنَارَةٍ فِي بَيْتِجِ الْعِرْقَةِ فَأَتَى السَّيِّدُ فَقَعَدَ وَتَحَنَّنَ حَوْلَهُ وَمَعَهُ مَحْصَرَةٌ لَهُ فَكَتَبَ بِهَا وَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مَنْ تَقْسِي مَنفُوسِي إِلَّا لَقَدْ كُتِبَ مَكَائُنَا مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ، وَإِلَّا لَقَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةٌ أَوْ سَعِيدَةٌ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ تَكْتُبُ عَلَيَّ كِتَابَنَا وَتَدْعُ الْعَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنْنَا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ يَصِيرُ إِلَى السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ يَصِيرُ إِلَى الشَّقَاوَةِ؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مَيِّسٌ أَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَمَيِّسُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ وَأَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَمَيِّسُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ»، ثُمَّ قَالَ: «فَأَمَّا سَنَ أَعْطَى وَأَنْتَنِي ۖ وَصَدَّقَ بِالْحَقِّ ۖ فَسَيَبْرُهُ، لَيْسَ تَرَى ۖ وَأَمَّا مَنْ كَذَّبَ وَأَسْتَفْتَنِي ۖ وَكَذَّبَ

(١) ٥١-٥٢.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٩، ١٧٨) من طريق معاوية بن عمرو به، وفيه الميمسي في المجمع

(٧/٤٠٢)، رواه الطبراني ورجاله ثقات. هـ.

بِالْحَسَنِيِّ ﴿١﴾ فَسَتُيَبْرَرُهُ لِمُعْتَرِي ﴿٢﴾.

وروى موسى بن إسماعيل قال شاحد قال أنا هشام بن عروة عن عروة عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي الْكِتَابِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَإِذَا كَانَ قَبْلَ مَوْتِهِ تَحَوَّلَ فَعَمِلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَهَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي الْكِتَابِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا كَانَ قَبْلَ مَوْتِهِ تَحَوَّلَ فَعَمِلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَهَاتَ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ» (١).

وهذه الأحاديث تدل على أن الله ﷻ علم ما يكون أنه يكون وكنهه، وأنه قد كتب أهل الجنة وأهل النار وخلفهم فريقين فريق في الجنة وفريقا في السعير، وبذلك نطق كتابه إذ يقول: «فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ» (٢)، وقال: «فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ» (٣)، وقال: «فَمِنْهُمْ شَقِيحٌ وَسَمِيدٌ» (٤)، فخلق الله الأشياء للشقاوة والسعادة، وقال ﷻ: «وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ» (٥)، وروى عن النبي ﷺ أن الله ﷻ جعل للجنة أهلاً وللنار أهلاً (٦).

(١) الليل ٥-١٠ والحديث أخرجه الترمذي ح (٣٣٤٤) من طريق رابعة به، وأخرجه البخاري

ح (١٣٦٢)، ومسلم ح (٢٦٤٧) من طريق جرير عن منصور به.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٦/١٠٧)، وإسحاق بن راهويه في مسنده ح (٨٣٧)، وأبو يعلى في

مسنده ح (٤٦٦٨) من طريق عن حماد بن حماد به وقال المصنف في المجموع (٧/٤٢٩). فرواه

أحمد وأبو يعلى بأسانيد، وبعض أسانيدهم رجاله رجال الصحيح، اهـ.

(٣) الأعراف: ٣٠

(٤) الشورى ٧

(٥) مود: ١٠٥.

(٦) الأعراف: ١٧٩.

(٧) أخرجه مسلم ح (٣١/٢٦٦٢) من حديث عائشة بنقط: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِنَجَّةِ أَهْلِهِ... وَخَلَقَ

لِلنَّارِ أَهْلًا».

دليل في القدر، وما يدل على بطلان قول القدرية قول الله ﷻ: «وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ»^(١) الآية، وجاءت الرواية عن رسول الله ﷺ: «أَنَّ اللَّهَ ﷻ مَسَحَ ظَهْرَ آدَمَ فَأَخْرَجَ دَرِيَّةً مِنْ ظَهْرِهِ كَأَمْثَالِ الذَّرِّ ثُمَّ قَرَّرَهُمْ بِوَحْدَانِيَّتِهِ وَأَقَامَ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ»^(٢)، لأنه قال: «وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمُ الَّتِي بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا» قال الله ﷻ: «أَنْتُمْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ»^(٣)، فجعل تقريرهم بوحدانيته لما أخرجهم من ظهر آدم حجة عليهم إذا أنكروا في الدنيا ما كانوا عرفوه في الذر الأول ثم من بعد الإقرار جمحدوه، وروى عن النبي ﷺ أنه قبض قبضة للجنة وقبض قبضة للنار، ميز بعضها من بعض فغلبت الشقوة على أهل الشقوة، والسعادة على أهل السعادة، قال الله ﷻ مخبراً عن أهل النار أنهم قالوا: «رَبَّنَا فَلَبِثْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ»^(٤).

وكل ذلك بأمر قد سبق في علم الله ﷻ ونفذت فيه إرادته وتقدمت فيه مشيئته، وروى معاوية بن عمرو قال زائدة قال طلحة بن يحيى القرشي قال: حدثني عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين أن النبي ﷺ دُعي إلى جسارة فلام من الأنصار ليصلي عليه، فقالت عائشة: طوبى لهذا يا رسول الله عصفور

(١) الأعراف: ١٧٢.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٧٢/١)، والبيهقي في الكبرى ح (١١١٩١) من حديث ابن عباس به، وصححه الحاكم في المستدرک ح (٧٥، ٤٠٠٠) قال: «حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وقد احتج مسلم بكتوبهم بن جرير، وأعله البيهقي فقال: «كلهم هذا ليس بقوي»، وحديثه ليس بالمحفوظ، أم وقد اختلف في رصده ورفعه، ورجح ابن كثير في التفسير (٣/ ٥٠١-٥٠٢) الوقف.

(٣) الأعراف: ١٧٢.

(٤) المؤمنون: ١٠٦.

من عصافير الجنة لم يعمل سوءاً ولم يدركه، قال: «أَوْغَيْرَ ذَلِكَ يَا حَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ جَعَلَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَلِلنَّارِ أَهْلًا جَعَلَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ»^(١)، وهذا يبين أن السعادة قد سقت لأهلها والشقاء قد سبق لأهله، وقال النبي ﷺ «اعْمَلُوا فَكُلُّ مِسْرَلٍ خُلِقَ لَهُ»^(٢)

دليل آخر: وقد قال الله ﷻ: «مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرِيدًا»^(٣)، وقال: «يُصِلْ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِ بِهِ كَثِيرًا»^(٤)، فأحبر أنه يصل ويهدي، وقال: «وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ»^(٥)، فأخبرنا أنه فعال لما يريد، وإذا كان الكفر مما أَرَادَهُ فقد فعله وقدره وأحدثه وأنشأه واحضره، وقد بين ذلك بقوله «اتَّبِعُونِ مَا نُنْذِرُكُمْ»^(٦) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ^(٧)، فلو كانت عبادتهم للأصنام من أفعالهم كان ذلك مخلوقاً لله، وقد قال الله تعالى: «حَرَّأَوْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»^(٨) بِكُمْ أَمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، فكذلك إذا ذكر عبادتهم للأصنام وكُفِّرَ بهم بالرحم، ولو كان مما قدره وفعلوه لأنفسهم لكانوا قد فعلوا وقدروا ما حُرِّجَ عَنْ تَقْدِيرِ رَبِّهِمْ وفعله، وكيف يجوز أن يكون لهم من التقدير والعمل والقدرة ما ليس لربهم؟ من رحم ذلك فقد حَجَّزَ اللَّهُ ﷻ - تعالى عن قول المعجزين له هلوا كبيراً.

ألا ترى أن من رحم أن العباد يعلمون ما لا يعلمه الله ﷻ لكان قد أعطاهم

(١) أخرجه مسلم ح (٢٦٦٢/٣١) من طرق عن طلحة بن يحيى به.

(٢) أخرجه البخاري ح (٤٩٤٩)، ومسلم ح (٢٦٤٧/٧) من حديث علي

(٣) الكهف: ١٧.

(٤) البقرة: ٢٦.

(٥) إبراهيم: ٢٧.

(٦) الصافات: ٩٥-٩٦.

(٧) الأحقاف: ١٤.

من العلم ما لم يدخل في علم الله وحملهم الله نظراء، فكذلك من زعم أن العباد يفعلون ويقدرّون ما لم يقدره الله ويقدرّون على ما لم يقدر عليه؛ فقد جعل لهم من السلطان والقدرة والتمكن ما لم يجعله للرحمن - تعالى الله عن قول أهل الزور والبهتان والإفك والعنيان علواً كبيراً

جواب: ويقال لهم: هل فعل الكافر الكفر فاسداً باطلاً متناقضاً؟ فإن قالوا: نعم، قيل لهم: وكيف يفعل فاسداً متناقضاً قبيحاً وهو يعتقد حسناً صحيحاً أفضل الأديان، وإذا لم يجر ذلك لأن الفعل لا يكون فعلاً على حقيقته إلا عس علمه على ما هو عليه من حقيقته كما لا يجوز أن يكون فعلاً عن لم يعلمه فعلاً فقد وجب أن الله تعالى هو الذي قدر الكفر وخلق كفرة فاسداً باطلاً متناقضاً خلافاً للحق والسداد.



بِسْمِ

الكلام في الشفاعة والخروج من النار

ويقال لهم قد أجمع المسلمون أن رسول الله ﷺ شفاعة، فلمن الشفاعة؟
أهي للمذنبين المرتكبين الكبائر أو للمؤمنين المخلصين؟ فإن قالوا: للمذنبين
المرتكبين الكبائر وافقوا، وإن قالوا: للمؤمنين المبشرين بالجنة الموعودين بها، قيل
لهم: فإذا كانوا ملحة موعودين وبها مشربين والله ﷻ لا يخلف وعده فما معنى
الشفاعة لقوم لا يجوز عندهم أن لا يذهبهم الله جناناً؟ وما معنى قولكم قد
استحقوها على الله واستوجبوها عليه، وإذا كان الله ﷻ لا يظلم مثقال ذرة كان
تأخيرهم عن الجنة ظلماً، وإنما يشمع اشمعاء إلى الله ﷻ في أن لا يظلم على
مذهبكم - تعالى الله عن افتراءكم عليه عتراً كبيراً - فإن قالوا يشمع النبي ﷺ إلى
الله ﷻ في أن يريدهم من فضله لا في أن يدخلهم جناناً، قيل لهم: أوليس قد
وعدهم الله ذلك فقال: ﴿قَوْلِهِمْ أَجُورُهُمْ قِيَرُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(١)، والله ﷻ لا
يخلف وعده، فإنما يشمع إلى الله ﷻ عندهم في أن لا يخلف وعده وهذا جهل من
قولكم، وإنما الشفاعة للمعقولة فيمن استحق عقاباً أن يوضع عه عقابه أو فيمن لم
يعده شيئاً أن يحصل به عليه، فأما إذا كان الوعد بالتعصّل سابقاً فلا وجه لهذا.

سؤال: فإن سألوا عن قول الله ﷻ ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾^(٢).

فالجواب عن ذلك: إلا لمن ارتضى فهم يشفعون له، وقد روي أن شفاعة
النبي ﷺ لأهل الكبائر^(٣)، وروي عن النبي ﷺ أن المذنبين يخرجون من النار^(٤).

(١) الساء: ١٧٣٠.

(٢) الأنبياء: ٢٨.

(٣) أخرجه أبو داود ح (٤٧٣٩)، والترمذي ح (٢٤٣٥)، وقال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. اهـ. وصححه ابن حبان ح (٦٤٦٨)، والحاكم في المستدرک ح (٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠) من حديث أنس به، وأخرجه الترمذي ح (٢٤٣٦)، وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه. اهـ. وصححه ابن حبان ح (٦٤٦٧)، والحاكم في المستدرک ح (٢٣١) من حديث

بَاب

الكلام في الخوض

وأنكرت لمعتزلة الخوض وقد روي عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة، وروي عن أصحابه بلا خلاف، وروي عن قال: حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن عن أس بن مالك أنه ذكر الخوض عند عبيد الله بن رباح فأنكره، فيبلغ أنتاف قال: لا جرم والله لا أعلن به، قال: فأتاه فقال: ما ذكرت من الخوض؟ قال عبيد الله: هل سمعت النبي ﷺ يذكره؟ قال: سمعت النبي ﷺ أكثر من كذا وكذا مرة يقول: «ما بين طرفيه - يعني الخوض - ما بين أيلة ومكة أو ما بين صنفاة ومكة، وإن آية أكثر من نحوم السماء»^(١)، وروي أحمد بن عبد الله بن يونس قال: حدثنا (أس بن مالك) (٢) عن عبد الملك بن حمير عن جندب بن سفيان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا فرطكم على الخوض»^(٣) - في أخبار كثيرة.



جابر به، ويشهد لها ما أخرجه البخاري ح (٦٣٠٤، ٧٤٧٤)، ومسلم ح (١٩٩) من حديث أبي

هريرة: «أخشي دعوتي شعاعه لأني يوم نفيمة»

(١) أخرجه البخاري ح (٢٢)، ومسلم ح (١٨٥) من حديث أبي سعيد الخدري به.

(٢) أخرجه أحمد في مستدركه (٢٣٠ / ٣) من طريق عثمان به.

(٣) صوابه كما في صحيح مسلم، ونعمة الأشراف (١٨١ / ٤): «والله».

(٤) أخرجه مسلم ح (٢٢٨٩) من طريق أحمد بن عبد الله بن يونس به، وأخرجه البخاري ح

(٦٥٨٩) من طريق شعبة عن عبد الملك بن حمير به.

باب

الكلام في عذاب القبر

وأنكرت المعتزلة عذاب القبر، وقد روي عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة، وروي عن أصحابه رضي الله عنهم، وما روي عن أحد منهم أنه أنكره ونعاه وجحدته، فوجب أن يكون إجماعاً من أصحاب النبي ﷺ، وروي أبو بكر بن أبي شيبة قال: ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تَمُوتُ^(١) بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ^(٢)»، وروي أحمد بن إسحاق الحضرمي قال: ثنا وهيب قال: ثنا موسى بن عقة قال: حدثني أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عَذَابُ الْقَبْرِ^(٣)»، وروي أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «لَوْ لَا أَنْ لَا تَلْقَئُوا لَسَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُسَوِّعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَا أَسْمَعُنِي^(٤)».

دليل آخر: وما يبين عذاب الكافرين في القبور قول الله ﷻ: «الَّذِينَ يُعْرِضُونَ عَنْهَا غُدُوءًا وَغَشِيًّا قَوْمٌ يَقُومُ آسَافَةٌ أَذْجِلُونَ أَلْ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ^(٥)»؛ فجعل عذابهم يوم تقوم الساعة بعد مرصهم على النار في الدنيا غُدُوءًا وَغَشِيًّا، وقال: «مَنْعَذِبُهُمْ مَرَّتَيْنِ^(٦)» مرة بالسيف ومرة في قبورهم: «ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ^(٧)» في الآخرة، وأحبر الله ﷻ أن الشهداء في الدنيا يرزقون

(١) في مصنف ابن أبي شيبة «تَمُوتُوا»

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ح (٢٩١٣٦)، وأخرجه الترمذي ح (٣٦٠٤) من طريق أبي

كريب عن أبي معاوية به، وقال: «حديث حسن صحيح»

(٣) أخرجه البخاري ح (١٣٧٦) من طريق وهيب به

(٤) أخرجه مسلم ح (٢٨٦٨).

(٥) غافر: ٤٦.

(٦) النوبة: ١٠١.

ويفرحون بفضل الله، قال ﷺ: «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ» ﴿١٦٧﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَتَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» ﴿١٦٨﴾، وهذا لا يكون إلا في الدنيا لأن الذين لم يلحقوا بهم أحياء لم يموتوا ولا قتلوا.

* * *

بسم الله

الكلام في إمامة أبي بكر الصديق عليه السلام

قال الله تبارك وتعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيُخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ حَكَمًا أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾^(١)، وقال ﷺ ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٢)، وأثنى الله ﷻ على المهاجرين والأنصار والسابقين إلى الإسلام وعلى أهل بيعة الرضوان، ونطق القرآن بمدح المهاجرين والأنصار في مواضع كثيرة، وأثنى على أهل بيعة الرضوان فقال ﷻ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُوكَ مَحْتِ الْشَّجَرَةِ﴾^(٣) الآية، قد أجمع هؤلاء الدين أثنى الله عليهم ورضي عنهم على إمامة أبي بكر الصديق عليه السلام وسموه خليفة رسول الله ﷺ وبابعوه وانقادوا له وأقروا له بالفضل، وكان أفضل الجماعة في جميع الخصال التي يستحق بها الإمامة من العلم والزهد وقوة الرأي وسياسة الأمة وغير ذلك.

دليل آخر من القرآن على إمامة الصديق عليه السلام وقد دل الله على إمامة أبي بكر في سورة براءة، فقال للمقاتلين عن نصرة نبيه ﷺ والمُخْلَفِينَ عَنْ الْخُرُوجِ مَعَهُ: ﴿فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾^(٤)، وقال في سورة أخرى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِنَأْخُذْ بِهَا ذُرُوعَنَا

(١) البقرة: ٥٥.

(٢) الحج: ٤١.

(٣) الفتح: ١٨.

(٤) التوبة: ٨٣.

يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَتَ اللَّهِ^(١)، يعني قوله: «لَنْ تَخْرُجُوا مِنِّي أَبَدًا» ثم قال: «كَذَّبَكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُوْنَ إِلَّا قَلِيلًا»^(٢)، وقال: «قُلْ لِّلْمُحْسِبِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُنُدُ عَوْنٍ إِلَى قَوْمِهِ أُولَى بِأَسْ شَهِيدٍ تُقْبِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَمَنْ يُصِغِرُوا يُؤْيِكُمْ اللَّهُ أَفَرَأَ حَسْبًا وَإِنْ تَقُولُوا» -
يعني تعرضوا عن إجابة الداعي لكم إلى قتالهم «كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا»^(٣)

والداعي لهم إلى ذلك غير النبي ﷺ الذي قال الله ﷻ له: «فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مِنِّي أَبَدًا وَلَنْ تُقْبِلُونَا مِنِّي عَدُوًّا»^(٤)، وقال في سورة الممتح: «يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَتَ اللَّهِ» فمنعهم عن الخروج مع به القتل وجعل خروجهم معه تبديلاً لكلامه؛ فوجب بذلك أن لداعي الذي يدعوهم إلى القتال داع يدعوهم بعده نبيه ﷺ، وقد قال الناس: هم أهل فارس، وقالوا أهل اليمامة، وقالوا: الروم؛ فإن كانوا أهل اليمامة فقد قاتلهم بكر الصديق ﷺ، ودعا إلى قتالهم، وإن كانوا الروم فقد قاتلهم الصديق أيضاً، وإن كانوا أهل فارس فقد قاتلوا في أيام أبي بكر وقاتلهم عمر من بعده وخرج معهم، وإذا وجبت إمامة عمر وجبت إمامة أبي بكر كما وجبت إمامة عمر؛ لأنه العاقد له الإمامة؛ فقد دل القرآن على إمامة الصديق والماروق رضوان الله عليهما، وإذا وجبت إمامة أبي بكر بعد رسول الله ﷺ وجب أنه أفصل المسلمين ﷺ.

دليل آخر: الإجماع على إمامة أبي بكر الصديق ﷺ؛ وما يدل على إمامة

(١) الممتح ١٥.

(٢) الممتح ١٥.

(٣) الممتح ١٦.

(٤) النوبة ٨٣.

الصديق عليه السلام أن المسلمين جميعًا بايعوه وانقدوا لإمامته وقالوا له: يا خليفة رسول الله! ورأيًا علينا والعباس عليه السلام مايعاء عليه السلام وأقرأ له بالإمامة، وإذا كانت الرافضة يقولون: إن عليًا هو المنصوص عن إمامته، والراوندية تقول العباس هو المنصوص عن إمامته

ولم يكن في الناس في الإمامة إلا ثلاثة أقوال

من قال منهم: إن النبي ﷺ نص على إمامة الصديق وهو الإمام بعد الرسول، وقول من قال: نص على إمامة علي، وقول من قال الإمام بعده العباس، وقول من قال هو أبو بكر الصديق، هو إجماع المسلمين والشهادة له بذلك، ثم رأيًا عليًا والعباس قد بايعاه وأجمعا على إمامته فوجب أن يكون إمامًا بعد النبي ﷺ بإجماع المسلمين.

ولا يجوز لقائل أن يقول كان باطن علي والعباس خلاف ظاهرهما، ولو جار هذا لدعيه لم يصح إجماع، وجاز لقائل أن يقول ذلك في كل إجماع للمسلمين، وهذا يسقط حجية الإجماع لأن الله ﷻ لم يتبعنا في الإجماع بساطر الناس وإنما تبعنا بظاهرهم، وإذا كان ذلك كذلك فقد حصل الإجماع والاتفاق على إمامة أبي بكر الصديق، وإذا ثبتت إمامة الصديق ثبتت إمامة الفاروق، لأن الصديق نص عليه وعقد له الإمامة واختاره لها وكان أصلهم بعد أبي بكر عليه السلام، وثبتت إمامة عثمان عليه السلام بعد عمر بعقد من عقد له لإمامة من أصحاب الشورى الذين نص عليهم عمر فاختاروه ورصوا بإمامته وأجمعوا على فصله وعذله.

وثبتت إمامة علي بعد عثمان عليه السلام بعقد من عقد له من الصحابة من أهل الحل والعقد، ولأنه لم يدع أحد من أهل الشورى غيره في وقته وقد أجمع على فصله وعذله، وإن امتناعه عن دعوى الأمر لنفسه في وقت الخلفاء قبله كان حقًا لعلمه أن ذلك ليس بوقت قيامه، فلما كان لنفسه في غير وقت الخلفاء قبله كان

حقاً لعلمه أن ذلك وقت قيامه، ثم لما صار الأمر إليه أظهر وأعلن ولم يقصر حتى مضى على السداد والرشاد كما مضى من قبله من الخلقاء وأئمة العدل على السداد والرشاد متعين لكتاب ربهم وسنة نبيهم

هؤلاء الأئمة الأربعة المجمع على عظمهم وفضلهم ﷺ.

وقد روى سريج بن النعمان قال: ثنا حشرج بن مبانة عن سعيد بن جهمان قال: حدثني سفينة قال: قال رسول الله ﷺ: «الْخِلَافَةُ فِي أُمِّي ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ مِلْكٌ بَعْدَ ذَلِكَ»، ثم قال لي سفينة: أمسك خلافة أبي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان! ثم قال: أمسك خلافة علي بن أبي طالب! قال: فوجدتها ثلاثين سنة^(١)؛ عدل ذلك على إمامة الأئمة الأربعة ﷺ عاماً ما جرى بين علي والربيع وعائشة ﷺ فإنما كان على تأويل واجتهاد، وعلي الإمام وكلهم من أهل الاجتهاد، وقد شهد لهم النبي ﷺ بالشهادة فدل على أنهم كانوا على حق في اجتهادهم، وكذلك ما جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنه كان على تأويل واجتهاد، وكل الصحابة أئمة مأمونون غير متهمين في الدين، وقد أنشأ الله ورسوله على جميعهم وتعبدنا بتوقيعهم وتعظيمهم وموالاتهم والتبري من كل من ينقص أحداً منهم رضي الله عن جميعهم، قد قلنا في الإقرار قولاً وحبراً، والحمد لله أولاً وآخراً

تم الكتاب بعون الله الملك الوهاب وحسن توفيقه، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وأصحابه أجمعين.



(١) أخرجه الترمذي ج (٢٢٢٦) من طريق سريج بن النعمان به، وقال: «حدثت حسن». اهـ.

الملحق الأول والثاني للإبانة

لمحمد عنایت علي الحیدر آبادي



سازمان اسناد و کتابخانه ملی
جمهوری اسلامی ایران

الملحق الأول للإبانة

اعلم أن الإمام أبا الحسن الأشعري صاق الكلام في كتابه (الإبانة في أصول الديانة) في مجموع العقائد الحققة لأهل السنة ومجموع العقائد الباطلة لأهل البدعة أولاً، ثم أتى على إثبات عقيدة عقيدة من عقائد أهل السنة، وإبطال عقيدة عقيدة من عقائد أهل البدع ثانياً، كل ذلك بحجج بلج ودلائل جلائل، كما هو ظاهر من مطالعة كتابه المذكور.

وإذا علمت هذا فانظر أن الأشعري قال في صدر كتابه في باب إبانة قول أهل الريخ والبدعة: «وتكلموا بخلق القرآن نظيراً لقول إخوانهم من المشركين الذين قالوا: **«إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ»** (١)، ولا يحسن أن هذا القول منه غاية في تشنيع القائلين بخلق القرآن وذمهم، ثم قال في باب إبانة قول أهل الحق والسنة: «ونقول إن كلام الله غير مخلوق»؛ فثبت من هذين القولين للأشعري أن عقيدة خلق القرآن ضلالة وغواية عنده وخروج عن منهج السنة والجماعة ومعتقداتها من أهل الشقاوة والعواية، وليس في هذين البابين ما ينسب إلى غيره من نقل عنه أو تحويل عليه بل جملة ما فيها إنما هو من ترتيبه وترصيفه ووصفه وتركيبه؛ فتكون مقولته المرضية ومسلكه المختار، هذه مقدمة يجب عليك أن تقررها في دهك فإنها تنفعك إن شاء الله تعالى

اعلم أن الأشعري عقد باباً طويلاً لعدم خلق القرآن فأثبت بأبلغ الوجوه من عنده بغير أن ينقل عن أحد، ثم ذيل هذا الباب ما ذكر الرواة في القرآن،

وظاهر أن هذا الباب من المتممات للسابق ولواحقه، وصحيح الأشعري في هذا الباب إنما هو حوالة المنقول على ناقله وسببه الرواية إلى راويه، وأما تنقيح الرواة والقدح في الرويات أو تصحيحها وإثبات المنقولات أو إنكارها فما تعرض له - كما يظهر من مقدمة هذا الباب - غير أنه ذكر المروي في بعض المواضع بلفظ يعلم منه أنه صحيح عنده، مثل قوله: صححت الرواية، جاء بالروايات، يوردها بالعاط بعصها أقوى من بعض مثل. قال: فإنه أقوى من. روى، وروى فإنه أقوى من ذكر، والحاصل أن مقصود الأشعري في هذا الباب المذيل سرد روايات الباب تأييداً للسابق كما قال في آخر هذا الباب بأن فيها ذكرنا من ذلك مقع، والحمد لله رب العالمين

وقد احتجنا لصحة قوله: «إن القرآن غير مخلوق» من كتاب الله ﷻ وما تضمنته من البرهان وأوضحه من البيان انتهى.

ومن المعلوم المقرر أن مجموع الروايات يحصل القوة والاعتصاد وإن كان في بعضه ضعف ووهن، لأنه إذا كان المقصود إثبات المطلب من المجموع يكون النظر حينئذ على الحثية للجمعية دون فرد فرد من المجموع، ففي مثل هذا المقام إذا أوردت الروايات لكثرة إنبات مقصد لا يلزم منه صحة كل واحدة من تلك الروايات، وعدم كونها مقدوحة مخدوشة لا سيما إذا لم يكن الكتاب كتاب رواية يبحث فيه عن نفس الرويات، فمن أين يشت أن تكون رواية خلق القرآن المسوبة إلى الإمام الهمام امصدرة بلفظ: ذكر صحيحه، وبعدم تسليمها يختل ما هو بصدد إثباته، وأيضاً ليس هن لفظ يثبت منه أن هذه الرواية صحيحة عند الأشعري، ولا سياق يتحقق منه أنه ألزم نفسه أن يكون كل ما يورده من الروايات صحيحاً لا مجال فيه سقذح، بل هو بصدد أن يثبت منه مقصده ويؤيد به نوع تأييد للباب السابق ويجعل هذا الباب متمماً لذلك الباب ومكملاً له

فمن هذا إن لم نعتبر تلك الروايات وبتصورها خارجاً من الباب يتم مطلبه ويكمل مقصده أيضاً، ويثبت ما هو في إنسانه كما يتم في صورة اعتبارها واعتدادها، ومع هذا كله سوق تلك الرواية وذكرها ليس لبيان مذهب الإمام الأعظم بل لإظهار إنكار وقع على مذهب الإمام من الأئمة المعاصرين له، ولتبييه أن أولئك المكريين كانوا من أشد الراديين على القائلين بهذا القول المكر وإن كان بيان مذهب الإمام مطوياً في الرواية منتهياً صورتها إليه، ولكنه قد يكون المقصود من الأمور المتعددة المنصبة للرواية أمراً واحداً فقط لما يقتضيه المقام ولما يقصر المورد على هذا الأمر الواحد فحسب.

فظهر من هذا التقرير أن الأشعري ليس في إثبات نسبة هذه العقيدة إلى الإمام ولا أنه ثابت عنده بل يحتمل أن تكون نسبة هذا القول إلى الإمام غير ثابتة عنده من مقتضى تلك الروايات نفسها أو من أمور أخرى، ولكنه ذكرها مضمومة ملحوظة مع الروايات الأخرى لكونها مشبهة للمطلب بصورتها الإنكارية المقتضية لإثبات عدم خلق القرآن، وإدراجها في روايات أخرى إما هو لكونها على تلك الصورة، وكل هذا أمور نفسية للروايات توهم الروايات وتجعلها ساقطة من الاعتبار لا يمكن أن تنسب معها هذه العقيدة إلى الإمام، أما الأمور التي هي خارجة من الرواية تعلق بآيات تجعلها حاوية على عروشها، فمن جهتها أن الأشعري ذكر الإمام أحمد والشافعي ومالك وابن المبارك فيمن يقولون بعدم خلق القرآن، ويكفرون القائل بخلقه، وقال بعده: ولم يجد أحداً عن محمد بن عبد الله بن علي بن أبي طالب عن الأئمة والأخبار ويأثم من المؤمن من أهل العلم يقول بخلق القرآن، وإنا قال ذلك رهاق السلس وجهال من جهالهم لا موقع لهم - انتهى.

والأئمة المذكورون كلهم يبالغون في منقبة الإمام الدنيبة ومدحه وشدة ورعه وتقواه وكمال إيمانه وإيفانه، وهذا ينافي كمره الذي يلزمه من هذه العقيدة وينفي

إلى كفر الأئمة المذكورين، حيث بالعوا في مدح مثل هذا الرجل كأنهم رصوا بعقيدته - أعادنا الله من هذا القول فيهم وسوء الظن في الأكابر.

وإذا تأملنا وأعمقنا النظر فيما مدحوا به الإمام لم نجد إلا من باب قول الأشعري المذكور آنفاً بأنه لم نجد أحداً ممن تحمل إلح، أليس موجب تلك المدائح ومقتضاها أن يكون الإمام ممن تحمل عنهم الآثار ونقل عنهم الأخبار ويستعاض ويستمد منهم ويقتدى بهم في الدين؟

بلى هو منهم بل رأسهم ورئيسهم، أو لم يقع الأشعري على مدحهم للإمام أو وقف ولكنه لم يقدر على أن يفهم من ذلك المدح أنه ينفي نسبة أمثال هذه الأمور إلى الإمام وبوضوح كون أمثال هذه الروايات كذباً مختلفاً، وإن في نسبة هذا الأمر إلى الإمام يقع مادحوه في ورطة عظيمة لا يسجون منها ويردون مورداً لا يتخلصون منه، حاشا الأشعري أن يظن أمثال هذه الظنون في حقه فإنه إمام الأئمة لأهل السنة ومقتدي هذه الأمة، وأيضاً إيراد هذه الرواية التي أصل سياقها وصورتها إنها هي القصة المحكية والحكاية الواقعة، وإن كان قصة هذا المطلب في الباب الذي ذكرت فيه روايات تدل بأصلها ورأسها على عدم خلق القرآن بغير أن يحصل هذا المعنى في ضمن أمر آخر يخالف للباب غير مأنوس له، ولهذا لا يكون احتمال وضعها وإدخالها واقعاً في غير موقعه لا سيما إذا كانت الأمور المذكورة معاصرة له فإنه حينئذ يتعين وضعها وإلحاقها.

ثم العلماء الخنفية متفقون على عدم خلق القرآن وعلى تكفير القائلين بخلقه وكتبهم مشحونة بدمهم وبفض دلالتهم، معلومة بحالهم وتوهين حججهم، ومن أكابرهم من يدبون عن الإمام ويدفعون عنه كالعلامة الفاري وغيره، ولم يذكروا شيئاً من هذه الرواية، ودأبهم أنهم يذكرون الأمور المفتراة على الإمام ومطاعته ثم يدفعونها دفعاً بليغاً ويرضون بركته بحيث لا تبقى معه ريبة،

فكيف يتصور أن يتركوا دفع هذه لقبيحة عن الإمام وترثه عها مع أنها من أعظم ما يهتم في دفعها، فهذا من أحل الأمارات على افتراء هذه الروايات واختلاقها، واشاعية كلهم حصراً من ألف منهم في مناقب الإمام وأحواله - لم ينسوا هذه العقيدة إلى الإمام قديمة، وذكر المتكلمون من الحنفية أن هذه المسألة أعني عدم خلق القرآن وقعت بوضع يشك منه أن هذه العقيدة كانت عرضاً لا رقاً لمع مذهب حصرة الإدم أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه، وأن مبدأ المذهب ومنتهاه وشوؤه وبهائم ثم استمرره بعير الانمكالك في حين من الأحيان على هذه العقيدة، فرواية الاستانة بعير الإبادة ثم رواية رجوعه عن عقيدة الخلق في أي حساب وأي عداد؟

قال البيهقي في كتاب (الأسماء والصفات) (١) قال: سمعت سليمان يقول: سمعت الحارث بن إدريس يقول: سمعت محمد بن الحسن العقيق يقول: من قال: القرآن مخلوق فلا تُصلِّ حله، وقرأت في كتاب أبي عبدالله محمد بن يوسف بن إبراهيم الدقاق رواية عن القاسم بن أبي صالح المصداقي عن محمد بن أيوب الرازي قال: سمعت محمد بن سابق يقول: سألت أبا يوسف فقلت: أكان أبو حنيفة يقول: القرآن مخلوق؟ فقال: معاد الله! ولا أنا أقوله، فقلت: أكان يرى رأي جهنم؟ فقال: معاد الله، ولا أنا أقوله، رواه ثقات.

وأبأي أبو عبدالله الخافط إجازة قال: أن أبو سعيد أحمد بن يعقوب النخعي قال: ثنا عبدالله بن أحمد بن عبدالرحمن بن عبدالله اللشتكي قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبا يوسف القاضي يقول: كلمت أبا حنيفة سنة جرداء في أن القرآن مخلوق أم لا، فاتفق رأيه ورأيي على أن من قال «القرآن مخلوق» فهو كافر.

قال أبو عبدالله رواة هذا الكلام ثقت - انتهى

اعلم أرشدك الله تعالى - أنه يشت من هذه الروايات لليهقي أمران الأول. عدم قول الإمام بحلق القرآن، والثاني كون روايات الإبانة واهية بل موضوعة مختلفة، أما الأول فبوجهين:

أحدهما. أن تلك الروايات تدل بالمعاضد وعاراتها على أن هذه العقيدة القبيحة ما حطرت في قلب الإمام وقلوب أصحابه قط وثانيهما أننا إذا أصرغنا النظر عن تلك الدلالة للروايات ورفعناها من ليس هو وقوعه في ذلك المقام يؤيد المقصد تأييداً بليغاً، بيانه أن تلك الروايات في باب هو موضوع لسرد الروايات عن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين رضي الله تعالى عنهم في كون القرآن غير مخلوق كما عونه اليهقي فقال (باب ما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين عليهم السلام في أن القرآن كلام الله غير مخلوق) مكرر ومعرض اليهقي من ذكر الروايات بجميعها في هذا الباب إنما هو إثبات المطلب والاحتجاج على المقصد الذي هو عدم كون القرآن مخلوقاً، فيلزم أن من روى عنه اليهقي أو نقل قوله واعتقاده في هذا الباب أن يكون من أئمة المسلمين، ولما روى اليهقي في هذا الباب عن الإمام وأصحابه لزم أن يكون الإمام وأصحابه من أئمة المسلمين، ومن كان من أئمة المسلمين لا يكون قائلًا بحلق القرآن قط؛ لأن القول بحلقه كفر وضلالة، ومحال أن يكون الكافر من أئمة المسلمين، والحاصل أن محض وقوع الروايات عن الإمام وأصحابه في هذا الباب بعيد أن ينظر إلى أن تلك الروايات تنفي نسبة هذه العقيدة القبيحة إلى الإمام - يدل دلالة بليغة على أن الإمام لم يكن معتقداً بخلق القرآن قط، ومعاد المحضية أنه وإن لم تكن تلك الروايات في عدم خلق القرآن فمحض

وقوعه في مثل هذا المقام يكفي لإثبات المرام

وأما الثاني فبوجوه متعددة: الأول أنه ينصح من رواية محمد بن سابق وصوحًا تأمًا أن الإمام لم يكن معتقدًا بحقيق القرآن في حجب من الأحيان وما كان قائلًا به في زمن من الأزمان؛ فإن محمد بن سابق سأل الإمام أب يوسف بلفظ (كان) وهو للاستمرار في الزمان الماضي، وأجاب أبو يوسف بنفيه فدل دلالة ظاهرة قوية على أن الإمام لم يكن قائلًا بحقيق القرآن في الأمانة كلها، وأما الرواية الأخيرة لأبي يوسف حيث قال فيها: كلمت أب حبيبة سنة جرداء، إلخ، فليس فيها دلالة على أن الإمام كان قائلًا بحقيق القرآن قس الماشئة كما يظهر من روايات الإبانة ثم رجع عنه، كما يعلم من الرواية الأخيرة المذكورة فيه أيضًا، بل إنما يظهر من عبارة هذه الرواية أن الإمام باحث أما يوسف - رحمهما الله تعالى - في هذه المسألة لكي يجعل عدم الخلق محققًا مدللًا؛ فإن بالبحث يصير الأمر محكمًا متقحًا حتى حين الكفر للقتال بالخلق بعدما بذل أقصى جهده في تحقيق المسألة.

والثاني: أن البيهقي هو إمام المحدثين، وكتابه (الأسماء والصفات) حزانة للروايات المستندة، والأشعري هو إمام أهل السنة في الكلام، وكتابه هذا محرم للاستدلالات الكلامية، ومن المقررات المسلمات أن اتباع كل أحد والأخذ بقوله وترجيحه على الآخر في هذا الاتباع ولأخذ إنما يكون في من علب عليه فهو عواص بحاره وسيار قماره؛ فعلى هذا لا يكون ما رواه بسنده معادلًا لما نقله البيهقي، فكيف يرجح ما نقله الأشعري من مرويات الناس بغير أن يوثق روايته وبدون أن يوجد من غيره توثيقهم كما في هذا المقام على ما رواه البيهقي بسنده أو نقله ووثق روايته وعظمهم، ومعناه يخالف معنى ما نقله الأشعري ويناقضه؟.

والثالث: أنه ليس في هذا الباب من كتاب البيهقي شمة من هذه الروايات ورائحة منها مع أنه يحسن إيرادها وإدراجها في أحوائها وأمثالها الثلاث ذكرت في

كتاب ليهفي مسند، فعدم ذكرها في موضعها من ذلك الكتاب أقوى ما يدل على كونها موضوعاً مختلفاً لا يلتصق بغيرها ولا يصفى إلى ما لديها، أما أحوات هذه الروايات وأمثالها من كتاب اليهفي فمما ما قال أخبرنا أبو عبدالله قال أخبرني أبو أحمد بن أبي الحسن قال: أما عبدالرحمن يعني محمد بن إدريس الرازي، قال، في كتابي عن الربيع بن سليمان، قال: حضرت الشافعي رحمه الله وحدثني أبو شعيب إلا أبي أعلم أنه حضر عبدالله بن عبدالحكم ويوسف بن عمرو بن يزيد وحمص المرد، وكان الشافعي رحمه الله يسميه المنعرد، فسأل حمص عبدالله بن عبدالحكم فقال ما تقول في القرآن؟ فأبى أن يجيبه، فسأل يوسف بن عمرو فلم يجبه، وكلاهما أشار إلى الشافعي رحمه الله، فسأل الشافعي فاحتج الشافعي وطالت الماطرة وعلب الشافعي بالحجة عليه بأن القرآن كلام الله غير مخلوق وكثر حمص المرد، قال الربيع: فلقيت حمص المرد فقال: أراد الشافعي قتل أخبرنا أبو عبدالرحمن السلمي قال: سمعت عبدالله بن محمد بن علي بن زياد يقول: سمعت محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: سمعت الربيع يقول: لما كلم الشافعي حمص المرد فقال حمص القرآن مخلوق، فقال الشافعي كمرت بالله العظيم^(١). وقال عبدالرحمن بن همام سمعت سفيان بن عيينة في السنة التي صرب فيها المريسي قال: ويحكم، القرآن كلام الله قد صححت الناس وأدركتهم هذا عمرو بن دينار... إلخ، قال بن عيينة: فما يعرف القرآن إلا كلام الله ﷻ، ومن قال غير هذا فعليه لعنة الله، لا تجالسوه ولا تسمعوا كلامهم^(٢) - انتهى

والرابع: أن اليهفي كان منعصاً في مذهبه ومنصلياً في مسلكه تشهد عليه

(١) الأسماء والصفات (١/٦١٢-٦١٣)

(٢) الأسماء والصفات (١/٦١٦)

(منه الكبرى) فإن فيه اعتراضات فقهية على الإمام ردها، وأجاب عنها العلامة المارديني في كتابه (الخواهر النقي في الرد على البيهقي)؛ فلو كان هذه الروايات أصل لذكرها البيهقي في كتاب الأسماء والصفات وما تركها وغفل عنها ألبتة، ولما لم يذكرها في كتابه بل ذكر ما ينافيها ويناقضها دون على أنه لا أصل لهذه الروايات.

والخامس: أن البيهقي احتج عن الإمام وأصحابه في عدم خلق القرآن، واحتج الأشعري عمر أنكر على الإمام عقيدته الخلق؛ فالإمام مدح في كتاب البيهقي ومحتج به بخلاف هذا الكتاب، فإنه غير محتج به فيه، بل هو مذموم بمقتضى هذه الروايات ومكر عليه؛ فهذان الصنيعان للبيهقي والأشعري متصادمان متدافعان، فتكون روايات البيهقي دافعة لهذه الروايات للأشعري للماعدة التي ذكرناها في الوجه الثاني.

الوجه السادس: أنه قال البيهقي في آخر كتابه^(١): وقد تركت من الأحاديث التي رويت في أمثال ما أوردته ما أدخل معناه فيها نقلته أو وجدته بإسناد ضعيف لا يثبت مثله - انتهى؛ فثبت من قوله هذا أن ما ترك من الروايات لا يخلو تركه من أحد هذين الوجهين، ولما كانت هذه الروايات متروكة ذكرها في كتاب البيهقي ولا يمكن أن يكون تركها لدخول معانيها في روايات البيهقي - وهذا ظاهر جداً - تعين أن وجه تركها إما هو شدة ضعف في إسنادها بحيث لا يثبت بمثل هذا الضعف شيء.

والسابع: أن رواية محمد بن الحسن ترهن هذه الروايات وتجعلها مخدوشة وتقوي افتراءها وتجعلها مقذوحة، وذلك بوجهين:

الأول أنه ليست هذه الرواية في الإبادة مع أن من عاداتهم أنهم يذكرون في

(١) الأسماء والصفات (٢/ ٤٩٥).

معرض الاحتجاج وموضع الاستدلال غالب أقوال العلماء الذين يتقاربون ويتماثلون في العلم، ونقل في هذا الباب ممن هو متقارب في الرمان ومماثل في العلم للإمام محمد محتجاً بهم ومستدلاً بهم، وما ذكر قوله هذا مع أنه أبلغ في تشنيع القائلين بخلق القرآن مبلغاً عظيماً، والمحالمة من القوم في عاداتهم والأجنبية منهم في صنيعهم يחדش الأمر ويحل فيه؛ فاحتمل أنه كانت هذه الرواية في هذا الكتاب ولكنه أخرجت حين ألحقت هذه الروايات به لكونها قدحة فيها ناقضة لها كما يومئ إليه في الوجه الثاني وواقع في موقعه وحال في محله

والثاني: أن مقتضى قول الإمام محمد هو أن تشعروا وتقطعوا على قائل هذا القول غاية تشنيع وتعطيع، واجتنبوه وتحذروا منه سبابة تحذر وتجنب؛ فإن كان الإمام قائلًا به كيف تعلم محمد بن الحسن وأقتدى به في الدين اقتداء كلياً وهما مما يوجب التكريم والاختلاط الأتمين الأكملين لمن يتلمذ ويقتدى به وإن كان محمد بن الحسن كرم الإمام واختلط به اختلاطاً تاماً مع هذه العقيدة له صار قابلاً للدم وسقط الاحتجاج بأقواله، وحيث احتج به البيهقي بكونه هو مطعوناً ملاماً حقيقة بأن يشنع في أنه كيف احتج بمثل هذا العالم الذي يعود عليه الذم شرعاً ويدخل في وعيد قوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ كَكَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ^(١)، فانظر إلى أنه أين صار الأمر وإلى أي قبيحة انتهى، والعباد بالله وإليه المشتكى! ولما لم توجد هذه الأمور ومحال أن توجد؛ فمحال أن توجد هذه العقيدة في الإمام، والله الحمد.

واعلم أن مما يبطل معنى هذه الروايات ويثبت أنه ما قال الإمام هذا القول وما اعتقده قط بل كان بريئاً منه مدة عمره ما روى البيهقي عن محمد بن

إسماعيل البخاري أن القرآن كلام الله تعالى ليس بمحموق عليه أدركا علماء الحجاز أهل مكة والمدينة وأهل الكوفة والنصرة وأهل الشام ومصر وعلماء أهل حراسان^(١) انتهى.

وهذا لأنه إذا أحبر أحد من إدراكه لشخص أو جماعة على حالة مخصوصة بدون أن يعين زمان إدراكه وقيدها في زمان مخصوص وكان للمدرك بالكسر - متأخرًا في الزمان عن المدرك بالفتح أو معاصرًا له، ينبغي أن يعلم منه أن إدراكه عام وشامل لكل ولا يقيد بزمان دون زمان، وأن الحالة المذكورة حالة دائمة للمدرك غير متفككة عنه لاسيما إذا ذكر هذا الإدراك استشهادًا على المقصد وتقوية للمطلب

إذا تقررت هذه المقدمة وارتست في الذهن مرجع إلى المقصد ونقول: إن البخاري ذكر في هذه الرواية إدراكه مطلقًا بغير أن يقيد أن جماعة معينة أو فردًا معينًا من تلك الجماعة كان يعتقد أو لم يخلق القرآن ثم رجع عنه فيجب أن يكون الإمام الأعظم والمجتهد الأمام أبو حنيفة الكوفي في مدركي أهل الكوفة دخولًا أوليًا أولويًا، وأن يكون انتهاء على أن القرآن غير مخلوق.

لا يحصى على النفوس الخبيرة أنه اتفق المحدثون وحفاظ الشرع المنيف، وأجمعت الفقهاء وأئمة الدين الشريف أن الإمام الأعظم كان عالمًا زاهدًا عاملاً وإمامًا متورعًا كاملاً، وما تفوهت الشريعة القليلة بطعه وجرحه لا يمكن أن يكون ناقصًا لذلك الإجماع خارقًا له، بل يصرب بطعنهم في وجوههم فيقلبون خاسرين، لاسيما إذا كانت الأئمة الثلاثة الذين اتبعهم جمع كثير وجم غفير من أكابر العلماء في كل عصر، وما زال كل قطر من أقطار العالم يقلدهم بمدحون الإمام ويشنون عليه، فإنه لما كان الطاعنون أكثرهم من مقلدي هذه الأئمة

(١) الأسماء والصفات (١/٦١٥-٦١٦)

ومتبعيهم ينسبون إلى أحد منهم لا بد أن تكون هذه الأئمة فوق الطاعين في العلم والعلم؛ قطعن تلك الطاعين فيمن أشى عليه أنعتهم ثناء كلياً ومدحوه مدحاً دينياً باطل ومن الحق عاص، نصمحل مطاعهم في مدائحهم وتلاشي فتصير هباء متوراً ويعود كل منهم ملوئاً مدحوراً.

قال الإمام الشافعي أفقههم وأعلمهم بأن الناس في العقص عيال على أبي حنيفة^(١)، وقال مالك عالم المدينة وإمام الأئمة فيما روى الخطيب^(٢) عن أحمد بن الصباغ قال: سمعت الشافعي محمد بن إدريس قال قبل لما لك بن أنس: هل رأيت أبا حنيفة؟ قال: نعم رأيت رجلاً لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها دهنًا لقام بحمته - كذا في تبييض الصحيفة في مناقب الإمام أبي حنيفة للسيوطي، إلى غير ذلك مما يطول شرحه، وسيأتي منه ندة هي كرشعة من اليم أو فطرة من البحر، وقد بطل الشرع بشاهه وأصبح عن بهاله يقف عنده من عنده الرشيد والدهاء، ولا يتجاوز عنه إلا من أسع الهوى وركب متن عشواء، وهو حديث الثرباء، حرجه جهابذة المحدثين كالتحاري ومسلم وغيرهما بالفاظ مختلفة متقاربة لا يختلف معها المعنى، فهو أصل في الشارة بالإمام بالحل الأسنى

قال المحقق المحدث العلامة السيوطي في تبييض الصحيفة في مناقب الإمام أبي حنيفة: إن هذا أصل صحيح معتمد عليه في البشارة بأبي حنيفة، وخلاصة الكلام في هذا المقام أن الإمام أبا حنيفة مدوح بلسان الشريعة ولسان الجماهير من علمائها، ومن كان مدوحاً بلسان لشرع ولسان علمائه ما يقول بخلق القرآن قط، فينتج من هاتين المقدمتين أن الإمام أبا حنيفة ما كان قائلًا بخلق القرآن قط

(١) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (١٣/ ٣٦٤)

(٢) في تاريخ بغداد (١٣/ ٣٣٧-٣٣٨)

أما الصعري فأتيناها، وأما الكبرى فإثباتها أن لقول يخلق القرآن كفر وشرك بالله تعالى، وهما مذمومان عند الشرع وعند كل من علمائهم؛ فالإمام محدوح من جهة الشرع، والكفر مذموم من تلك الجهة أيضًا، فإذا التحدت جهتهما فهما متناقضان فلا يجتمعان.

واعلم أنه قد ألف العلماء من أهل المذهب لأربعة كتبًا ورسائل في مناقب الإمام وشهدوا بجلالة شأنه وعظم مكانه في الدين، ولما لم يكن مقصودنا جمع الروايات والإحاطة بها بل المطلوب إنما هو تقرير أمر من الأمور وإثبات مطلب من المطالب؛ فنورد من تلك الروايات ما يكفي في إثبات مقصدنا وإقراره على مركزه، ومن أراد الإحاطة بها فعليه تلك الكتب وهو روائيان.

الأولى منها: هي ما أورده الحافظ السبرطي في تبيين الصحيفة فقال: وروي أيضًا عن أبي بكر بن عياض قال: مات **عمر بن سعيد** أخو **سفيان** لأتيناها نعره فإذا المجلس غاص بأهله وفيهم **عبد الله بن إدريس** إذ أقبل أبو حنيفة في جماعة معه، فلما رآه **سفيان** تحول من مجلسه ثم قام فاعتقه وأجلسه في موضعه وقعد بين يديه، فقلت له: يا أبا عبد الله رأيتك اليوم فعلت شيئًا أنكرته وأنكر أصحابا عليك، قال: وما هو؟ قلت: جاءك أبو حنيفة فقامت إليه وأجلسته في موضعك وصنعت به صنيعًا بليغًا، فقال: وما أنكرت من ذلك؟ هذا رجل من العلم مكان فإن لم أقم لعلمه قمت لسنه، وإن لم أقم لسنه قمت لعقده، وإن لم أقم لعقده قمت لورعه، فأصحمني فلم يكن له عدي جواب^(١) - انتهى.

أقول: يظهر من هذه الرواية أن الرواية الأولى من روايات الإبانة مفترقة على **سفيان الثوري** لأنه لا تخلو واقعة هذه الرواية إما أن تكون قبل واقعة تلك

(١) رواه الخطيب في تدرج بعداد (١٣ / ٣٤١)

الرواية من الإبانة أو بعدها، فعل الأول تصمحل هذه المتنبة السابقة المسطورة في هذه الرواية من المتقصة اللاحقة المذكورة في تلك الرواية بحيث لا يبقى لتلك المتنبة اعتبار بعد وجود هذه المتقصة، مع أن المعبرين من العلماء كالحافظ السيوطي وغيره أوردوا هذه الرواية في مناقب الإمام وأثبتوا بها علو مكانه في الدين، فيظهر من اعتبار هذه الرواية بإيرادها في مناقبه والاحتجاج بها كون تلك الرواية معتراة على الثوري مسوبة إليه.

وهل الثاني: كيف يتصور أن يصدر من مثل سفیان نحو هذه المبالغة في مدح الإمام وتكريمه، وترديد من أنكر هذه المبالغة المدح له مع أنه سبق تهجينه بما أعلن من كفره وما وافق معه بل ثبت منه التكبير لقائل الخلق، وغاية الاهتمام فيه كما أخرج اللالكائي في السنة^(١)، نا المخلص نا أبو الفصل شعيب بن محمد نا علي بن حرب بن يسام سمعت شعيب بن جهمير^(٢) يقول: قلت لسفيان الثوري حدث بحديث السنة يضمني الله به، فإذا وقعت بين يديه قلت: يا رب حدثني بهذا سفيان فأعجز أنا وتأخذ، قال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، من قال غير هذا فهو كافر، والإيمان قول وعمل ونية يزيد وينقص، وتقدمة الشيخين - لئلا أن ختم هذا الكلام على قوله. إذا وقعت بين يدي الله فسألك من قال هذا؟ فقل: يا رب حدثني بهذا سفيان الثوري ثم خل بيني وبين الله ﷻ.

هذا ثابت عن سفیان أوردته الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ^(٣) في ترجمة سفیان الثوري؛ فإن كان الثوري كرم الإمام وأثنى عليه بمثل هذا التكريم

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣١٤)

(٢) صوابه كما في شرح أصول اعتقاد أهل السنة، وتذكرة الحفاظ: «حرب».

(٣) تذكرة الحفاظ (١/ ٢٠٦)

والثناء البالغين إلى أقصى مدارجها مع كونه على هذه العقيدة التي يستحق معها صاحبها غاية اللوم وبهاية الطرد يكون هو مطعوناً حقيقياً بأن يجعل هدفاً لسهام الملامة، وثبت من استقراء أحواله وأقربائه وتبع أعماله وأفعاله أن شأنه أرفع من أن تنتجه إليه المطاعن الفادحة وأن تلحقه موجبات الملامة.

والثانية ما روى الخطيب^(١) عن محمد بن بشير^(٢) قال: كنت أحلف إلى أبي حنيفة وإلى سفيان فيقول: لقد جئت من عند رجل لو أن علقمة والأسود حضرا لاحتاجا إلى مثله، فأبي سفيان فيقول: من أين جئت؟ فأقول: من عند أبي حنيفة، فيقول: لقد جئت من عند أفقه أهل الأرض - انتهى، ورواه السيوطي أيضاً في تبيين الصحيفة.

قلت: يظهر أيضاً مما قال في الرواية المذكورة قل هذا. وأن الوصف في مقام المدح بأنه أفقه أهل الأرض يكون منقبة ذهنية، والمنقبة الدينية لا تجتمع مع المنقصة الدينية، مفاده أنه متى تحققت المنقبة الدينية لا تصور المنقصة الدينية هنا، ومتى تقررت المنقصة الدينية لا تجتمع معها المنقبة الدينية، ولما قال سفيان للإمام: إنه أفقه أهل الأرض كان هذا منقبة بليغة ومديحة عظيمة في حقه، وعمل صدق هذه الروايات من الإبانة كان الإمام قائلًا بخلق القرآن ولا شك أنه منقصة تامة، فكيف تستقر تلك المنقبة مع هذه المنقصة؟ وكيف كان يجوز مثل الثوري تلك المنقبة لمن فيه مثل هذه المنقصة؟ وكيف يرضى لنفسه هذا الصنيع العظيم؟ حاشاهم عن ذلك وكيف ألسنتنا عن أن نقول فيهم ما هم يبرهون عنه، ويثبت تجديد المقولة على تجديد الإتيان مما قال لراوي في هذه الرواية بأن كنت أحتلف فأبي فيقول:، فأنتهى احتمال أن ما قال الثوري في حق الإمام بأنه أفقه

(١) رواء الخطيب في تاريخ بغداد (١٣/ ٣٤٤)، ومن طريقه الحري في تهذيب الكمال (٢٩/ ٤٢٣).

(٢) صوابه في تاريخ بغداد ومهذب الكمال: «بشير».

أهل الأرض كان بعدما رجع الإمام عن هذه العقيدة؛ لأنه لما كان تجديد هذه المقولة الواحدة للثوري وتعددتها حسب تجديد الإتيان وتعددتها؛ فتعين مقولة من تلك المقولات للبعدية يقتضي تعيين إتيان من الإتيانات المتعددة لها، وتعيينها بلا دليل يدل عليه ترجيح بعير مرجح، وأما أن تسلسل هذا الإتيان يؤخذ ابتداءً بعد رجوع الإمام عن هذه العقيدة أو يحتمل ذلك فيقتضي دليلًا مرجحًا وبرهانًا معيّنًا حتى يعين أن سلسلة الإتيان ابتداءً من وقت كذا أو ليس فليس، فالمقصد على حاله، وإن صرف النظر عن كل هذا فتكون الرواية الأولى من روايات الإبانة مخدوشة وغير مسموعة بمجروحة غير مقبولة أيضًا على قاعدة المحدثين.

قال شيخ الإسلام التاج السبكي في الطغفات: قد عرفناك أن الجرح لا يقبل منه الجرح وإن سره في حق من غلبت طوائفه على معصيته ومادحوه على ذميه ومزكوه على جاريه، إذا كانت هناك قرينة تشهد بالعقل بأن مثلها حامل على الواقعة فيه من تعصب مذهبي أو منافسة دنيوية وغير ذلك كما يكون بين النظراء، وحيث لا يلتفت إلى كلام الثوري وغيره في أبي حنيفة، بل آخر ما قال.

والدهبي عدل الإمام بأهل مدارجه حيث لم يذكر الإمام في كتابه (ميزان الاعتدال في نقد الرجال) لجلالته البهرة وعظمته الطاهرة التي لا تخفى على أحد ولا يشك فيه لمرء كما قال. وكذا لا أذكر في كتابي من الأئمة المتبرعين في القروع أحدًا لجلالتهم في الإسلام وعظمتهم في النفوس مثل أبي حنيفة والشافعي والبخاري^(١) - انتهى.

وظاهر أن الدهبي عكس الرجال وإمام العقادين بصير متيقظ لا يتغافل، متصلي متعصب يبالغ في الجرح لا يتساهل، بل هو لشدة في الجرح عن الحق

(١) ميزان الاعتدال (١/٢).

قد يتهايل، فإن كان الإمام قائلًا بحلق القرآن يستحيل عادة أن يخفى على مثل هذا الخبير ولا يقف عليه، وإن كان يعلم بعيد أن يعدله هكذا مع وجود ما يوجب الجرح القوي فيه، وأما الاستدانة المخصوصة المذكورة في هذه الروايات فهي وإن أبطلناها من الأصل بحيث لا يكون لدخول فيه دخل، ولكن تقوي هذا الإبطال وتزيد حكاية الاستدانة المطلقة التي كذبها وأبطلها القاضي أبو اليمس في كتابه (مختار المختصر) وأبو المؤيد في (جامع المسانيد)، وإذا بطل العام بطل الخاص ضرورة؛ فإن الخاص داخل في العام، قال القاضي أبو اليمس في (مختار المختصر) إن أبا حنيفة استيب من الردقة مرتين، وذلك كذب، وفي رواية: من الكفر مرارًا.

قال أبو المؤيد في (جامع المسانيد): أما قول الخطيب حاكياً عن سفيان الثوري أنه قال: «استيب أبو حنيفة مرتين من الكفرة له وجوه ثلاثة: أحدها أن سفيان كان يبه ويبن أبي حنيفة عدوة لأن أبا حنيفة كان يباحثهم فلا يقدرون على أن يتكلموا؛ فكان سفيان وأمثاله من البشر تأمرهم بالنسب الأمانة بالسرم على الواقعة فيه بحكم البشرية كإخوة يوسف أولاد يعقوب، ثم يتذكرون فإذا هم مبصرون.

الثاني: أن أبا يوسف فر ذلك فقال: لما دعا ابن هبيرة أبا حنيفة إلى القضاء فامتنع، وكان مذهب ابن هبيرة أن من حرج عن طاعة الإمام كفر، فقال له: كفرت يا أبا حنيفة تب إلى الله تعالى، فقال: أتوب إلى الله من كل سوء، ثم دعاه الثانية، ففعل ذلك ثلاث مرات إلى أن قال: فهذا معنى قول سفيان: استيب أبو حنيفة من الكفر مرتين.

الثالث: ما قيل: إن الخوارج دخلوا الكوفة فقصدها أبا حنيفة بالسيف المشهورة فقالوا: تزعم أنه لا يكفر أحد بذنوبه - والحكاية مشهورة - إلى أن قال أبو حنيفة: أتوب إلى الله من كل ذنب، فقل أعداؤه: استيب أبو حنيفة.

ذكرها أيضًا المحدث الحليل المتكلم النزيل المتصلع في العلوم بضلع قوي ابن حجر المكي المهتمي الشافعي فقال في كتابه «الخيرات احسان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان» إنه وقع لبعض حساد أبي حنيفة الذين ينقصونه بما هو بريء منه أنه ذكر في مثابه أنه كثر مرتين واستتيب مرتين، وإنما وقع له ذلك مع الخوارج فأرادوا انتقاصه به وليس بنقص بل غاية في رفعة؛ إذ لم يوجد أحد يحاجهم غيره رحمة الله عليه - انتهى

ثم من مقدمات هذا الافتراء كثرة معاندي الإمام من معاصريه وغيرهم من أهل الأهواء والزندقة، وما حكى من سعيهم في إهدائه وإيلامه، ومن جهدهم في إلزامه واتهامه فكبههم الله تعالى على وجوههم فاقبلوا خاسرين ورجعوا خائبين، وكانوا من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، لأنهم أرادوا إعطاء نور الله في الأرض والله مكرم بوره على رغم المفسدين

اعلم أن الإبانة ليس فيها روية الاستتابة عن سفيان الثوري كما هي في (جامع المسديد) بل الذي عنه في هذا الكتاب أن الإمام كان يقول بخلق القرآن، والاستتابة فيه إما هي مروية من غيره، إلا أنه تنول جميع الروايات إلى جرح سفيان في الإمام بأي وجه كان؛ فتكون مدفوعة بروايات أخرى مه كما ذكرنا، وبفرض ألا تكون مدفوعة منها فالجرح من سفيان في حق الإمام سواء كان بالاستتابة أو نسبة هذه العقيدة إليه مردود على قاعدة المحدثين لا يلتصق إليه كما نقلنا من الطبقات للسبكي، وإن كان الجرح مه بالاستتابة معزولة كما هي معنى الوجه الثاني من (جامع المسديد) أو محرفة كما يعلم من لوجه الثالث من هذا الكتاب أيضًا، وإن لم تعتبر تلك الأمور التي ذكرناها بل بقدرها مرفوعة غير مذكورة، وتأملنا في مسلك الإمام وطريقته وتبعنا مذهبه ومشربه فنعلم منه وحده علمًا جازمًا أن الإمام بريء عن القول بخلق القرآن وأمثاله من العقائد الزائفة.

قال أبو أسامة: سمعت سفيان يقول: ليس طلب الحديث من عدة الموت لكنه علة يتشاغل بها الرجل، قلت: صدق والله، إن طلب الحديث شيء غير الحديث؛ فطلب الحديث اسم عربي لأمر رتبة على ما تحصل ماهية الحديث وكثير منها مراقب إلى العلم وأكثرها أمور يشغف بها المحدث، كتحصيل النسخ المليحة، وطلب المعالي، وتكثير الشيوخ. إلخ، فإذا كان طلبك للعلم البهوي محفوفاً بهذه الآفات فمتى خلاصك إلى الإخلاص؟ وإذا كان علم الآثار مدخولاً بها فمتى تعلم المطلق والحدل، وحكمة الأرائل التي تسلب الإيمان وتورث الشكوك والخيرة التي لم تكن - والله - من علم الصحابة ولا التابعين ولا علم الأوزاعي والثوري ومالك وأبي حنيفة وابن أبي ذئب وشعبة، وهكذا عدّ الآخرين من العلماء ثم قال بعده: بل تعدت علومهم القرآن والحديث والعقيدة والنحو وشبه ذلك - كذا في تذكرة الحفاظ للذهبي الحفاظ الناقد ص ١٦٨ و (١٦٩) من المجلد الأول.

قلت: في هذا غاية تبرة للإمام الأعظم وبهاية نظهير له من هذه العقيدة وأمثالها وأشباهاها وأنه من الأئمة الأجلة وقدره هذه الأمة، وأن طريقه طريق مرصعي ومهجه منهج سوي برهم أصف كل عادر غوي بقوة الله القادر القوي، أمس يقول بحلق القرآن يُجعل من الأئمة المتبوعين للمسلمين ومن الذين قام بهم منار الدين واستنارت بهم صاهح اليقين؟ ولتصم هذه العبارة للذهبي مع قوله الذي نقلناه من (ميران، الاعتدال) لأنها تخرج الجرائع وتورد عليها القبائح وتوقع الحارحين في الفصائح وتثبت للإمام مديحة هي أم المدائح.

وقال فخر الإسلام والمسلمين الرضوي الذي هو إمام الأئمة للأصوليين في كتابه (في أصول الفقه) يمدح الإمام ويبين أحواله السنية: وكان في عدم الأصول إماماً صادقاً، وقد صح عن أبي يوسف أنه قال: ناظرت أبا حنيفة في مسألة خلق

القرآن ستة أشهر فاتفق رأيي ورأيه على أن من قال بحلق القرآن فهو كافر، وصح هذا القول عن محمد بن عبد الله، ودلت المسائل المتفرقة عن أصحابنا في المبسوط وغير المبسوط على أنهم لم يميلوا إلى شيء من مذاهب الاعتزال وإلى سائر الأهواء - انتهى.

وقال شارحه في شرح هذا المقام: وما يدل على تبخره فيه ما روى يحيى بن شيبان عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال: كنت رجلاً أعطيت جدلاً في الكلام فمضى دهر فيه أتردد وبه أخاصم وعنه أن يصل، وكان أكثر أصحاب الخصومات بالصرة فدخلتها بيئاً وعشرين مرة أقيم سنة وأقل وأكثر، وكنت قد بارعت طبقات الخوارج من الإباضية وغيرهم، وطبقات المعتزلة وسائر طبقات أهل الأهواء وكنت بحمد الله أغلبهم وأقهرهم، ولم يكن في طبقات أهل الأهواء أحد أجدل من المعتزلة؛ لأن ظاهر كلامهم محمى تقبله القلوب وكنت أزيل عنهم مبدأ الكلام - انتهى.

أقول: إن قوله قد صح عن أبي يوسف أنه قال: ناظرت أبا حنيفة... إلى آخر ما قال مفسراً للدهوى المتقدمة المذكورة في قوله: «كان في علم الأصول إماماً صادقاً» ومثبت لها؛ ينبغي أن تنزل هذه العبارة المتقدم ذكرها منزل الدعوى ويفهم ما بعدها دليلها، فتقديم الدليل الذي هو مناظرة الإمام في مسألة الخلق على دلائل أخرى وذكره بصورة الفصحة والواقعة دون ما سواه من الدلائل يعلم منه أنه كان للإمام وأصحابه جهد عظيم في إنكار خلق القرآن واهتمام ببلع فيه، حيث باحث معه أفضل تلامذته وأذكاهم وأجودهم بحثاً طويلاً بالعلماء، فصار كأن الإمام أزال بشمس تحقيقه الظلمة المظلمة التي أحاطت الأمر من كل جانب فصارت مستيرة منيرة مستضيئة مصبغة لا يستريب معها في كفر قائله كل أريب لبيب، ولا يدب في الصدور من الشك فيه ديب.

وحيث قدم البردوي هذا الدليل على دلائل أخرى وذكرها بصورة مخصوصة محالمة لقصور تلك الدلائل داله على اهتمام الإمام فيه، فهو من أعظم الأدلة صده على دعواه وهي كون الإمام **مصدقاً صادقاً** في علم الأصول، فبقول البردوي هذا يكشف القناع عن روايات الإمامة بجمعتها بإثبات افتراءاتها ووضعها، ثم ينظر إلى عبارة الشارح فإنه يتضح منها صريح لإمام ودأبه ومخاصمته أهل الأهواء عامتهم وإيرامه وإصحامه لهم؛ فإن كانت عقيدة الخلق متمكة في الإمام وهي من أشهد المكرات وقائلها من أعظم أهل الأهواء وأهل المتدعين كيف يستقيم عليه صيغته هذا؟

وما يوضح مسئلة الإمام وبه حيث لا يتردد عنده متردد هو ما روى فلان عن نعيم بن حماد قال: سمعت عمادته بن المارك يقول قال أبو حنيفة إذا جاء الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعلى الرأس والعين، وإذا كان عن أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم اختاروا ولم يخرج من قولهم، وإذا كان عن التابعين راحناهم - أوردوا الحافظ السيوطي في تبيين الصحيفة في مناقب الإمام أبي حنيفة

أقول إنه يبعد على هذا المسلك للإمام غلبة البعد أن تتمكن هذه العقيدة في الإمام أشد التمكن بحيث انتهى الأمر باستتبته وهي متمكة بعدها أيضاً غير زائلة مع أنه يعلم قبحها من أول النظر في الأحاديث والآثار، فكيف يخفى على من قصر نظره عليها بعد كتاب الله تعالى في الليل والنهار - أعادها الله من هذا القول في الأكابر.

وإذا انتهى الأمر إلى هذا المقام فلمست لقم ولنحتم الكلام فإن الأمور التي تكون يهيتها الإجماعية موجبة لتريد أيقين وتأكيد كثيرة وما أتينا بها فهي منها بنية يسيرة، وهي تكفي العاقل فإن له تكفي الإشارة والجاهل لا تفيد العبارة.

تنبيهات

الأول منها أن القول بمناظرة الإمام في مسألة الخلق مذكور في ثلاثة كتب: أحدها الإبانة، وثانيها كتاب الأسماء والصفات، وثالثها كتاب السردوي، وهي متفقة على أصل المناظرة ولكنها مختلفة متناقضة في بيان ما لها، فهي الأول منها أن الإمام رجع بعد المناظرة عن عقيدة خلق القرآن، وطاهر أن الرجوع من أمر يقتضي سبق الرجوع عنه، وأيضاً يتضح من عبارته أن أبا يوسف ما ناظر الإمام إلا لإبطال عقيدته وإرجاعه عنها، وفي الأخيرين أن الإمام وأبا يوسف اتفقا بعد المناظرة على تكفير قائل الخلق، ولا يحمي أن مقتضى هذا هو أن المناظرة ما كانت إلا لتقرير حكم المسألة بعد تخفيفها التمهيد، وأما أن عقيدة الإمام كانت هكذا قبل المناظرة فأين هو في الرواية المذكورة في هذين الكتابين؟ بل يثبت منها نصه ويظهر منها خلافه، فالعبارة التي وردت بها رواية المناظرة في الكتابين الآخرين يظهر منها كذب رواية الإبانة بمناظرتها الكاذبة.

والثاني: أن رواية المناظرة بأي عبارة كانت تدل على أن البحث في هذه المسألة إنما كان متداً من الإمام أبي يوسف لا الإمام الأعظم، فإن المروي في كتاب الأسماء والصفات هو لم يظ «كلمت أبا حنيفة»، وفي كتاب البزدوي هو «ناظرت أبا حنيفة» لا كلمني ومطري، فيظهر من أن الإمام كان قبل المناظرة على يقين تام بعدم الخلق، وأما بعد المناظرة فزاد يقيناً بعد يقين - فانتهى إلى أقصى مراتبها التي ليست بعدها مرتبة فوقها.

والثالث: أنه يتعطل الخبر ويتعبر لبصير مما ذكر لمجال التحريف والوضع، ومحال الافتراء والاحتلاق في هذا الأمر أنه من أبي حصل لهم السعة لهذا الافتراء، فإنهم يكفيهم أذى سعة وإن كانت أوهى من بيت العكבות. تم بحمد الله الملحق الأول لمحمد عبايت علي، كان الله له.



الملحق الثاني للإبانة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ومن أقوى الدلائل وأوضح البراهين على كون هذه الروايات مقتربات على الأشعري مدخولة في كتابه هذا هو أنه ما ذكر في كتابه (مقالات الإسلاميين) أن الإمام كان قائلاً بخلق القرآن مع أنه جمع فيه مقالات المروق الإسلامية سالكاً في جمعه مسلكاً قوياً ومنهجاً مرضياً خالياً عن الإلحاط والتفريط، مصيفاً إلى كل فرقة أو قائل ما هو قائله ومعتقد، كما ذكر هو في معتبه حيث قال: أما بعد! فإنه لا بد لمن أراد معرفة الديانات والتمييز بينها من معرفة المذاهب والمقالات، ورأيت الناس في حكاية ما يحكون من ذكر المقالات ويصفون في التحل والديانات من بين مقصر فيما يحكيه وغالط فيما يذكره من قول مخالفه، ومن بين متعمد للكذب في الحكاية إرادة التشبيح على من يحالفه ومن بين تارك للتقصي في روايته لما يرويه من اختلاف المختلفين ومن بين من يصيف إلى قول مخالفه ما يطرأ أن الحاجة تلزمهم به، وليس هذا سبيل الربانيين ولا سبيل القطاء المميزين، فحذاني ما رأيت من ذلك على شرح ما التمسست شرحه من أمر المقالات واختصار ذلك وترك الإطالة والإكثار، وأنا مبتدئ شرح ذلك بعون الله وقوته^(١) - انتهى

فهذه الروايات التي تنبئ بعارثها عن مذهب الإمام وتفصح عن اعتقاده لو كانت صحيحة لذكر الأشعري في كتابه (المقالات) هذه العقيدة للإمام، وكيف يتصور أن يتركها مع قوله المذكور آنفاً المؤدي معاً إلى أنه ليس بمقصر فيما يحكيه غلط فيما يذكره وتارك للتقصي فيما يرويه من اختلاف المختلفين؟ وذكر أيضاً هذه الروايات مع أنه ذكر عقيدة الخلق في مواضع من كتابه (المقالات)

(١) مقالات الإسلاميين (ص ١).

ونسبها إلى الفرق المتعددة، كما قال في ذكر القول في القرآن: قالت المعتزلة والخواارج وأكثر الريدية والمرجئة وكثير من الرافضة: إن القرآن كلام الله سبحانه وأنه مخلوق لله لم يكن ثم كان^(١) وقال بفاصلة قبيلة بعده: إنه حكى عن ابن الماجشون أن نصف القرآن مخلوق، ونصفه غير مخلوق، وحكى بعض من يخبر عنه في (المقالات) أن قائلًا من أصحاب الحديث قال: ما كان علمًا من علم الله سبحانه في القرآن فلا يقول مخلوق ولا يقول غير الله، وما كان فيه من أمر وبهي فهو مخلوق، وحكاها هذا الحاكمي عن سليمان بن جرير وهو غلط عندي، وحكى محمد بن شعاع أن عروة قالت: إن القرآن هو الخالق وأن فرقة قالت: هو معصه، وحكى زرقة أن القائل بهذا وكيع بن الخراج^(٢) انتهى

أقول: لو كانت الروايات واقعة صحيحة معلومة للأشعري لذكرها في هذا المقام اللاتق بذكره - كما لا يخفى على العالمين - وقال في ذكر الخوارج: والخواارج جميعًا يقولون بحلق القرآن، وقال في ذكر المرجئة والفرقة التاسعة من المرجئة أبو حنيفة وأصحابه يزعمون أن لا إله إلا المعرفة بالله، والإقرار بالله والمعروفة بالرسول والإقرار بما جاء من عند الله في الحملة دون التفسير، وذكر أبو عثمان الأدمي أنه اجتمع أبو حنيفة وعمر بن أبي عثمان الشمرى بمكة فسأله عمر فقال له: أخبرني عن زعم أن الله سبحانه حرم أكل الخمر غير أنه لا يدري لعمل الخمر الذي حرمه الله سبحانه ليس هي هذه العين، فقال: مؤمن، فقال له عمر: إنه قد زعم أن الله قد فرض الخمر إلى لكعبة غير أنه لا يدري لعلمها كعبة غير هذه بمكان كذا، فقال: هذا مؤمن، قال: فإن قال: أعلم أن الله سبحانه بعث محمدًا

(١) مقالات الإسلاميين (ص ٥٨٢).

(٢) مقالات الإسلاميين (ص ٥٨٦).

وأنه رسول الله غير أنه لا يدري لعله هو لرنجي، قال: هذا مؤمن ولم يجعل أبو حيفة شيئاً من الدين مستخرجاً إيماناً وزعم أن الإيمان لا يتبعض ولا يريد ولا يقص ولا يتعاضل بناس فيه، وأما عان وأكثر أصحاب أبي حيفة فإنهم يحكون عن أسلافهم أن الإيمان هو الإقرار والمحبة لله والتعظيم له والهيبة منه وترك الاستخفاف بحقه وأنه يريد ولا ينقص^(١) - انتهى

أقول: إن هذا أيضاً من مواضع ذكر هذه الروايات وهذه العقيدة للإمام، وما ذكر فيه شيئاً منها، وأما كون الإمام من المرجئة فيأتي دفعه من كتاب (الملل والحل) للشهرستاني، ومن كتاب (أبكر الأفكار) للآمدي.

نعم، هذا المقام جرأ الواضعين والمفتنين على وضع تلك الروايات وافترائها واختلافها من عند أنفسهم ونسبتها إلى الأشعري، وأيدهم على ذلك ما قاله الأشعري بعدما ختم ذكر فرق المرجئة أنه اختلف المرجئة في القرآن هل هو مخلوق أم لا؟ على ثلاث مقالات، فقل قائلون منهم إنه مخلوق، وقال قائلون منهم بالوقف، وإنا نقول: كلام الله سبحانه لا يقول إنه مخلوق ولا غير مخلوق؛ فهذا مما أوسع لهم مجالاً وأمكن لهم محالاً لأمنيتهم التي تمنى لهم الشيطان، وليعلم أن الأشعري حينما عد فرق المرجئة واحدة واحدة لم يذكر عقيدة الخلق أو عدمه لو احد منهم حتى ختم عددهم فأخذ في ذكر ما اختلفوا فيه من أمور أخرى حتى انتهى إلى اختلافهم في أن القرآن هل هو مخلوق أو لا فذكر ما نقلناه آنفاً، ويظهر منه أنهم ليسوا بخارجين في هذه العقيدة عما ذكر، ولكن لا يتعين أنه أي فرقة من الفرق المعدودة قائل بخلقه وأبهم منكر له وواقف فيه، بل دار الأمر

بينهم واحتمل لكل منهم ولم يوجد مرجح ومخصص في عبارته حتى يرجح ويخصص فرقة من الفرق لمقالة من المقالات الثلاثة، ولا يحفى على ذوي البصائر أن الإبهام والإجمال لا يضران عند الأمن من الاحتلاط والالتباس أما حينها يخاف منهما فلا يرخص عند ذلك في الإبهام والإجمال، ولما كانت المرجئة مقابلة لأهل السنة محالفة لهم فعل أي منهم ورد هذا الاعتقاد القبيح فهم أهل لهذا الاعتقاد يصلحون له فحيث لا يضر عدم التمييز.

وأما الإمام الأعظم فهو أعظم معنهدى أهل السنة وأجل فقهاءهم وقع به القدوة العظمى في الإسلام، وهذا معلوم للأشعري وليس مستور عليه؛ فإن كان الإمام قائلًا بخلق القرآن - وحاشاه عن ذلك - فما كان يجهل للأشعري أن يدحله في المبهمين ويترك التصريح به؛ فإن الظاهر عدم دحول الإمام فيمن يعتقد الخلق؛ فدخوله فيهم خلاف الظاهر، وفي مثل ما هو خلاف الظاهر لأمد من التصريح والتأكيد؛ لأن الجري على الطواهر والمشي على الصرائع لا زال ديدنًا للعقلاء من كل طائفة، وهذا لم يصرح الأشعري في هذا الموضع وحين ذكر الفرق التاسعة من المرجئة أن الإمام قد خلق القرآن، على أنها من مواضع تصريحه بذلك - وأيضًا لم يذكر بل لم يشر إليه في موضع جاء فيه الذكر عن الكلام في هذه المسألة من كتاب المقالات - ثبت كون هذه الروايات مفتريات، كيف وقد ألزم الأشعري في هذا الكتاب نفسه كما يظهر مما نقلناه أنه لا يقصر فيما يحكيه ولا يترك التقصي في رواية ما يرويه؛ فكيف يقصر بعدم تصريح ما يلزم فيه التصريح، ولا يتقصي فيما لا بد فيه من التقصي، ويكون به مطعونًا؟ أليس هذا تقصيرًا وتركًا للتقصي؟ فحيث لم يأت عن الإمام بخلق القرآن صدق فيما ألزمه نفسه كما يفهم مما نقلناه أيضًا أنه ليس بغلط فيما يذكره من قول مخالفه، ولا يعتمد للكذب في الحكاية إرادة التشنيع على من يخالفه، ولكنه بشر بخطئه

وينسى ويرل ويسهر ويقع فيما يقع فيه الإنسان فيعمى، ولذا خطاء من متعبي مذهبه وسالكي طريقته مَنْ هم الأعيان في البعض من الأمور كما بين في الكتب بواضح البيان.

ولعل هذه الإمام من المرجئة من خطبه لني لا تتبع لها بل تدفع من كل مكان في كل زمان، ولعمري العالب على لخص إنما هو تصرف المقترين المقهورين في عبارته؛ فإن كتابه هذا ليس مما تداولته الأيدي في كل زمان، وما بلغ في الشهرة مثابة المشهورات من الكتب كما هو حال الإبانة أيضًا، وهذا مما يتوسع فيه المقترون لصنائعهم الفبيحة ودسائسهم لعطية، وينعطف لهذا التصرف مما في (الملل والحل) للعلامة الشهرستاني الشافعي، فيه قال فيما عد عرق المرجئة الغسانية أصحاب غسان الكوفي: زعم أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى وبرسوله والإقرار بما أنزل الله مما جاء به الرسول في الجملة ثم التخصيل، والإيمان يزيد ولا ينقص، وزعم أن قائلًا لو قال: «أعلم أن الله قد أحرم أكل الخنزير ولا أدري هل الخنزير الذي حرمه هذه الشاة أم غيره» كانه مؤمنًا، ولو قال: «إن الله قد حرص الحنج إلى الكعبة غير أن لا أدري أين الكعبة ولعلها بالهند» كان مؤمنًا، ومقصوده أن أمثال هذه الاعتقادات أمور وراء الإيمان لا أنه كان شاكًا في هذه الأمور؛ فإن عاقلًا لا يستجير من عقله أن يشك في أن الكعبة في أي جهة وأن العرق بين الخنزير والشاة ظاهر.

ومن العجب أن غسان كان يحكي عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى مثل مذهبه ويعد من المرجئة، ولعله كذب، ولعمري كان يقال لأبي حنيفة وأصحابه: مرجئة السنة، وعنده كثير من أصحاب المقالات من جملة المرجئة، ولعل السبب فيه أنه لما كان يقول: «الإيمان هو التصديق بالقلب وهو لا يزيد ولا ينقص» ظواهبه أنه يؤخر العمل عن الإيمان، والرجل مع تحريه في العمل كيف يفتي بترك العمل؟

وله سبب آخر، وهو أنه كان يحذف لقدرية والمعتزلة الذين ظهروا في الصدر الأول، والمعتزلة كانوا يلقبون كل من خالفهم في القدر: مرجئاً، وكذلك الوعيدية من الخوارج؛ ولا يعد أن اللقب إنما لزمه من فريق المعتزلة والخوارج والله أعلم^(١) - انتهى.

فانظر إلى هذه العبارة بلشهرستاني وقابلها مع العبارة التي نقلناها من المقالات ترشدك إلى ما قلنا من أن الغالب على الظن أنهم تصرفوا في عبارة الأشعري، وأيضاً الناقل للحكاية في المقالات هو الأدي، وقال الشهرستاني في (الملل والنحل)^(٢): إنه من المعتزلة وإنه صاحب أبي الهذيل من مقدميهم وأئمتهم، وصبق من الشهرستاني أنه لا يعد أن اللقب إنما لزمه من فريق المعتزلة والخوارج، فعل هذا لا يخلو عن الأشعري الإمام في المرجئة إما أن يكون خطأ منه فعما الله به، وإما أن يكون مدحاً كما في كتابه مفترى عليه وهو الغالب، فصح الله مفترى ولا رحم مدحاً.

قال الأدي في (أبكار الأفكار): أما حكاية ذلك عن أبي حنيفة فلعل الناقل كاذب فيه لقصد الاستئناس فيها فإنه إلى أن قال: وليس كذلك مع ما عرف من مبالغة في العمل والاجتهاد فيه، هذا وإن الافتراء والتدليس لم يزل جاريين على أعظم العلماء وأكابر الأئمة كما لا يخفى على من أعطاه الله تعالى الخيرة والاطلاع، فقال الشهرستاني في (الملل والنحل)^(٣) رأيت رسالة نسبت إلى الحسن البصري كتبها إلى عبد الملك بن مروان وقد سأله عن القول بالقدر والجبر، فأجابها بما يوافق مذهب القدرية، واستدل فيها بآيات من الكتاب ودلائل من العقل، ولعلها

(١) الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٤١-١٤٢)

(٢) (١/ ٣٠).

(٣) (١/ ٤٧)

لواصل بن عطاء؛ فما كان الحسن ممن يخالف السلف في أن القدر خيره وشره من الله تعالى؛ فإن هذه الكلمة كالمجمع عليها عندهم انتهى

وأما ما وقع في الغنية المنسوبة لحضرة الحصرات وسيد السادات الغوث الأعظم والقطب الأفخم سلطان الأولياء السيد عبدالقادر الجيلاني رضي الله تعالى عنه وأرضاه عنا من أن الحمية من المرحنة فكشف العلماء عن حال هذه النسبة، ولهم في كشفها وجوه اختاروها تعلم من مطالعة كتبهم، جمعها الفاضل عبدالحفي اللكهنوي في رسالة (الرفع والتكميل في الجرح والتعديل) بإطناب وتطويل، ومع ذلك لم يأت بما يميز أو يقطع ويقع عليه التعويل، لأنه لم يرص إلا على واحد منها، وهذا الرضا أيضاً يعلم من سكونه عليه لا من قوله: إنه صحيح أو مرصّي أو مثل ذلك مما يدل على رضاه مع أنه ببعض الأجوبة منها وقع موقعاً حسناً يظهر من مطالعة ذلك المقام والتأمل فيه، والذي اختاره في هذا الباب ومشى عليه أنه لا يعتد بقول الشيخ رضي الله تعالى عنه في هذا الباب، وكتب الإمام ورير^(١) الحنفية المقلدة له مخالفة له حيث قال: فإن مخالفة الواحد ولو كان من أعظم المشاهير أهون من مخالفة الجماهير، وأي مصابغة في هدم اعتداد قول غوث الثقلين في هذا الباب لكونه مخالفاً لجميع أولي الألباب لاسيما إذا وجد منه بنفسه ما يعارضه ويخالفه^(٢)، إلى آخر ما قال.

والعجب أن هذا الذي ارتضاه في الجواب ليس بصحيح وسالم من النقض لأنه إذا وجد منه رضي الله تعالى عنه ما يعارض هذا القول ويخالفه فإثبات هذا القول له يوقع في مضيق التناقض، وهو لا يصدر من العقلاء، فكيف بمن هو

(١) في الرفع والتكميل - ورير

(٢) الرفع والتكميل (ص ٢٧٨).

أعقل العقلاء وأكمل العلماء الذي عنده موهبي وعلمه لدي، وليساهنا في صدد هذا البحث وإلا يبا ما يرد عن هذا الفاصل فيما سلك عليه في هذا الباب وقررنا الأمر حسب ما يقتضيه انقام مقترناً بالإلصاف متحناً عن الاعتساف، ومن مواضع ذكر هذه العقيدة للإمام الكتب المؤلفة في الملل والنحل، ومن أشهرها وأحبها كتاب (الملل والنحل) للعلامة الشهرستاني الشافعي، وليس فيه شمة منه بل فيه ما يناقسه ويذهب رونق هذه الروايات ويكذبها، بيانه أن الشهرستاني شرط على نفسه أن يورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم من غير تعصب لهم ولا كسر عليهم حيث قال في المقدمة الثانية من كتاب (الملل والنحل)^(١): «وشرطي على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم من غير تعصب لهم ولا كسر عليهم» انتهى.

فلماذا لم يذكر الشهرستاني أن الإمام كان قائلاً بحلق القرآن بل أتى بما يظهر منه تبرئة الإمام وتزكيت من أمثال هذه العقائد الزائفة ظهور الشمس في رابعة النهار - كما علمت مما نقلنا منه سابقاً، ونعلم أيضاً مما نقله عن قريب إن شاء الله تعالى - كان آية واضحة على كذب هذه الروايات، كيف والشهرستاني علامة خاض فيها ألفه من الملل والنحل وفحص في الحجج بحارها، ومن المحالات أن يحفى على مثل هذا العائض الخائض ما لا يحتاج إلى حوض وغوص أفتصور أن يستر بعدما وصح عليه أن الإمام كان قائلاً بحلق القرآن ويخرج عما شرطه على نفسه وينقض ما ألزمه على ذمته؟

إذا علمت هذا فاعلم أنه لما فرغ من كتابه (الملل والنحل) عن تمهيد المقدمات وتوطئة التمهيدات وقرب من المطلب قل أهل الأصول المختصون في التوحيد

ولعدل والوعد والوعيد والسمع والعقل ' تكلم هاهنا في معنى لأصول
والعروع وسائر الكلمات، قال بعض المتكلمين لأصول معرفة الساري تعالى
بوجدانيته وصغاته ومعرفة الرسل بآياتهم وبياتهم، وبالجملة كل مسألة يتعين
الحق فيها بين المتخاصمين فهي من لأصول، ومن المعلوم أن الدين إذا كان
منفساً إلى معرفة وطاعة، والمعرفة أصل والطاعة فرع، فمن تكلم في المعرفة
والتوحيد كان أصولياً، ومن تكلم في الطاعة والشرعية كان مروعياً، والأصول
هو موضوع علم الكلام، والعروع هو موضوع علم الفقه إلى آخر ما قال.

ثم أحد في ذكر أهل الأصول الناطلة التي هي فرق كثيرة، والفرقة الحققة التي
هي الأشعرية، ثم بعده ذكر أهل العروع وفهمهم على قسمين لا ثالث لهما وهما
أصحاب الحديث وأصحاب الرأي، وقد في أصحاب الحديث: إمام أهل الحجاز
الذين هم أصحاب مالك بن أنس وأصحاب محمد بن إدريس الشافعي
وأصحاب سفيان الثوري وأصحاب أحمد بن حنبل وأصحاب داود بن علي بن
محمد الأصمغاني، وبين وجه تسميتهم بأهل الحديث وقال في أصحاب الرأي
إمام أهل العراق وهم أصحاب أبي حنيفة النعمان بن ثابت، ومن أصحابه محمد
بن الحسن وأبو يوسف يعقوب بن محمد لقاضي وزهر بن هذيل والحسن بن زياد
اللولؤي وابن سباعة وعافية القاضي وأبو مطيع البلخي وبشر المريسي، وبين وجه
تسميتهم بأصحاب الرأي وقال في آخره عندما جزم ذكر الفرق الإسلامية: إن بين
العريقين - يعني أصحاب الحديث وأصحاب الرأي - اختلافات كثيرة في الفروع
ولهم فيها تصانيف وعليها مآظرات، وقد بلغت النهاية في مناهج الظنون حتى
كأنهم أشرفوا على القطع واليقين، وليس يدرم بذلك تكصير ولا تصليل بل كل

مجتهد مصيب^(١) - انتهى ما أردنا نقله من هذا الكتاب

مظهر من هذا التقرير للشهرستاني أن الإمام أبا حبيبة رضي الله تعالى عنه وأصحابه ليس إلى تصليلهم طريق فصلًا عن تكفيرهم إلا من نازع منهم في الأصول كالمريسي بل هم مجتهدون مصيبون، أفيكون من يعتقد الخلق مؤمنًا لا يلزم تكفيره وتصليله فصلًا عن أن يكون مجتهدًا ويعلم مصيبًا؟ ولعمري كيف يتصور أن يشيع نسبة الإرجاء إلى الإمام مع أنه أحف من القول بخلق القرآن ولا يوجد راحة من نسبة عقيدة الخلق إليه رضي الله تعالى عنه مع كونه من أقبح العقائد ومع كون تكفيره على عقيدته هذه من معاصريه تعود بالله منه؛ فإن هذا شأنه أن يشيع ويشهر وأن لا يحفى ولا يستتر، وبعدُ حصل لي الاطلاع على كتاب (سيف السنة الرفيعة في قطع رقاب الشهية والشبهة) لمحمد بن موصلي الأصفهاني من معاصري ابن تيمية الحسلي، عرأته قال في هذا الكتاب: قد صرح البخاري في كتابه خلق الأفعال^(٢)، وفي آخر الجامع بأن القرآن كلام الله غير مخلوق.

وقال: قال الحكم بن محمد: حدثنا سفيان بن عيينة قال: أدركت مشيختنا^(٣) منذ سبعين سنة منهم عمرو بن دينار، يقولون القرآن كلام الله غير مخلوق^(٤) قال البخاري: وقال أحمد بن الحسن: حدثنا أبو يعين حدث سليم القاري قال: سمعت سفيان الثوري يقول: قال حماد بن أبي سليمان: أبلغ أبا فلان المشرِك أبي بريء من ديه وكان يقول: القرآن مخلوق^(٥) ثم ساق قصة خالد بن عبد الله

(١) الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٠٦ - ٢٠٧)

(٢) (ص ٤٥).

(٣) صوابه كما في خلق أفعال العباد: «مشايخ»

(٤) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (١)

(٥) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٢).

القسري وأنه صحى بالجعد بن درهم، وقال إنه رعم أن الله لم يتحد إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً، ثم برل فديحه^(١) انتهى

ثم رأيت البخاري أفتح كتبه خلق أفعال العباد باب ما ذكر أهل العلم للمعطلة الذين يريدون أن يبدلوا كلام الله ^{شكراً}، وقال متصلاً به، حدثني الحكم بن محمد الطبري كنت عنه بمكة، قال ثنا سفيان بن عينة قال: أدركت مشيختنا منذ سبعين سنة منهم عمرو بن دينار يقولون: القرآن كلام الله وليس بمخلوق، وقال أحمد بن الحسن: يا أبو يعينة ثنا سليمان القاري: سمعت سفيان الثوري يقول: قال لي حماد بن أبي سليم: أسمع أبا فلان المشرك أبي بريء من دينه وكان يقول: القرآن مخلوق.

حدثنا قتيبة حدثني القاسم بن محمد حدثني عبد الرحمن بن حبيب بن أبي حبيب عن أبيه عن جده قال: شهدت عاتكة بن عبد الله القسري بواسط في يوم أصحى وقال: ارجعوا فصحاء تقول الله منكم فلا مضج بالجعد بن درهم، رعم أن الله لم يتحد إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً، تعالى الله علواً كبيراً عما يقول الجعد بن درهم ثم برل فديحه^(٢) انتهى.

أعلم أن هذه الرواية التي ذكرها البحري عن أحمد بن الحسن ونقلها عن البخاري محمد بن موصلي في كتابه (سيف السنة) هي الرواية الأولى من روايات الإبانة تخالفها في أمرين: (أحدهما) أن في هذه الرواية أحمد بن الحسن - على ما رأيت في نسختين حاضرتين عندي من خلق أفعال العباد - موضع هارون بن إسحاق في رواية الإبانة (وثانيهما) أنه أهتم في هذه الرواية موضع البحث

(١) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٣).

(٢) خلق أفعال العباد (ص ٢-٣).

وموقع الرد فقيل: أبا فلان، وفي لرواية الواقعة في الإبانة تصريح بالإمام الأعظم أبي حنيفة، ويراد على هذين الاثنين بالطر إلى ما نقله في (سيف السنة) إن كان صحيحًا وما كان من سهو الناسح فيقال: ثالثها: سليم القاري، وفي الإبانة سليمان بن عيسى القاري موضعه؛ فهذه الرواية الواقعة في كتاب (خلق الأفعال) لما أتهم فيها ما يقع عليه البحث ويتوجه إليه الرد لا تصلح لأن يبحث عنها مع أنه سبق الرد البليغ لروايات الإبانة التي فيها تصريح بما يقع فيه البحث ويتوجه إليه الرد، وهذه الرواية الواقعة في كتاب (خلق الأفعال) لما جهل فيها موقع الرد وعمل البحث وما تعين فلام يوجه الرد وفي أي أمر يقع البحث؟ ولا يأتي الإبهام في مثل هذا المقام الذي يجب فيه الإكشاف عن المتقين المخلصين لاسيما من البخاري المتصلب في دين الله الذي لا يبالي في الله بأحد كما هو الظاهر من تتبع أحواله، وقد نقل التكفير صريحًا في كتابه خلق الأفعال فقال: وسئل وكيع عن منى الأماطي فقال: كافر^(١)، وقال عبد الله بن داود: لو كان لي على المتنبي الأماطي سبيل لنزعت لسانه من قصده، وكان جهميًا^(٢).

وقال أيضًا: حدثني أبو جعفر قل. ثنا أحمد بن حلال قال: سمعت يزيد بن هارون وذكر أبا بكر الأصم والمريسي فقال: هما والله زنديقان كافران بالرحم حلالا الدم^(٣). مع أن إراداته على الإمام الأعظم واعتراضاته عليه رضي الله تعالى عنه محصورة في القروعات المعقبة أجاب عنها علمائنا رحمهم الله تعالى، ورأيت فيها رسالة حسنة مسماة بـ (بعض الناس في دفع الوسواس) دفع فيها ما أورده الإمام البخاري على الإمام الأعظم أبي حنيفة وعلى الحنفية مصدرًا بقوله:

(١) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٥٦).

(٢) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٥٧).

(٣) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٧٤).

قال بعض الناس مدلاً مفصلاً فجزاه الله حبراً، وما وجد من البحري فيما تصفحنا إلزام على الإمام في أصول الدين، وهذا السهقي واسع العلم ما نقل عن البحري هذه الرواية في كتابه (الأسماء والصفات)^(١) وقد ذكر الرواية السابقة المتصلة عنها وهي رواية البحري عن صفيان بن عبيدة في كتابه هذا، فقال: أخبرنا أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد العقيلي قال: ثنا أبو أحمد الحافظ النيسابوري قال: أنا أبو عروبة السلمي قال: ثنا سلمة بن شبيب قال: ثنا الحكم بن محمد قال: ثنا صفيان بن عبيدة عن عمرو بن دينار قال: سمعت مشيختنا منذ سبعين سنة يقولون (ح) قال أبو أحمد الحافظ وأخبرنا أبو أحمد محمد بن سليمان بن فارس - واللفظ له - قال: ثنا محمد بن إسماعيل البخاري قال الحكم بن محمد أبو مروان الطبري حدثنا صفيان بن عبيدة قال: أدركت مشيختنا منذ سبعين سنة منهم عمرو بن دينار يقولون: القرآن كلام الله ليس بمخلوق.

كذا قال البخاري عن الحكم بن محمد. ورواه غير الحكم عن صفيان بن عبيدة نحو رواية سلمة بن شبيب عن الحكم بن محمد.

وذكر أيضاً قصة ذبح خالد بن عبد الله القسري للجمع بن درهم في كتابه (الأسماء والصفات)^(٢) بسنده، وقال: رواه البخاري في كتاب التاريخ^(٣) عن قتية عن القاسم (بن)^(٤) عبد الرحمن بن محمد بن حبيب بن أبي حبيب عن أبيه عن جده هكذا، يشير إلى ما قل حيث ذكر فيه القصة بسنده كما أومأنا إليه، وهذه القصة قد رواها البخاري في كتابه (خلق أعمال العباد) وذكرها متصلة بما

(١) الأسماء والصفات (٥٣١).

(٢) الأسماء والصفات (٥٦٣).

(٣) التاريخ الكبير (١/٦٤).

(٤) صوابه كما في الأسماء والصفات «عر».

نقله - والله أعلم - عن أحمد بن الحسن عن أبي نعيم عن سليمان القاري عن
سفيان الثوري؛ فيمد عن البيهقي تمتت تعالى أن يذكر الرواية السابقة واللاحقة
ويترك الوسطى مع كونها أبلغ في ذم لقائل بحلق القرآن؛ فدلنا على عدم ثبوت
هذه الرواية، ولو تتبعنا الأمر حتى تتبعه لوجدنا كثيرًا من الدلائل تدل على ما
قل ولكه أصابا مريد التتبع ما ذكرنا سابقًا فإن فيه كفاية لأولي النهي

ثم لما كانت الرواية مقولة عن البحاري في كتاب (سيف السيرة الرفيعة) على
إيهامها لا بد لنا من التأمل في هذا الكتاب ليعلم أن الإمام الأعظم في أي منزلة
عند مؤلفه محمد بن موصلي، وما لعقيدته له فيه حتى يظهر أن الرجل المبهم في
الرواية هل يترجح الإمام الأعظم في كونه مرادًا منه هذه أم لا؟

فاعلم أنا إذا نظرنا في هذا الكتاب وجدنا مؤلفه محمد بن موصلي من
المتشددين رقيق اللسان لا يمسك عن تشنيع أحد وذمه إذا ثبت في زعمه أنه
يستحقه لكونه متحرفًا عن الطريق المستقيم فضلًا عن أن يكف عن نسبة أمر إلى
أحد ثبت هذه نسبة ذلك الأمر إليه، يقال في الوجه السادس والخمسين من
وجوه تزيف العقل وتسحيفه في مقابلة النقل وحصول اليقين من النقل - أم
ترصون بعقول المتأخرين الذين هذبوا العقليات ونحضوا ربدها واختاروا
لأنفسهم ولم يرصوا بعقول سائر من تقدم؟ فهذا أفصلهم هندكم محمد بن عمر
الرازي فأبي معقولاته ترنون بصوص الوحي وأنتم ترنون اضطرابه فيها في كتبه
أشد الاضطراب فلا يثبت عن قول - انتهى

وشنع على المؤلفين في الصعات والمتكلمين؛ فقال في الوجه الخامس
والعشرين من وجوه الإبطال لتقديم العقل على النقل إن غاية ما ينتهي إليه من
ادعى معارضة العقل للوحي أحد أمور أربعة لا بد له منها، إما تكذيبها
وجحدها، وإما اعتقاد أن الرسل خاطبوا الخلق خطابًا جمهوريًا لا حقيقة له وإنما

أرادوا منهم التحيل وصرّب الأمثل، وإما لا اعتقاد أن المراد تأويلها وصرّفها عن حقائقها بالمجارات والاستعارات، وإما الإعراص عنها وعن فهمها وتدبرها واعتقاد أنه لا يعلم ما أريد إلا الله، فهذه أربع مقامات ثم قال حينئذ فصل المقام الثالث من هذه المقامات الأربعة:

لِمَقَامِ الثَّالِثِ مَقَامِ أَهْلِ السَّوَابِ قُلُوا لَمْ يَرِدْ مَا عَقَدَ حَقَائِقُهَا وَإِنَّمَا أُرِيدُ مَا تَأْوِيلُهَا سَمَّا يَجْرِجُهَا عَنِ ظَاهِرِهَا وَحَقَائِقُهَا فَتَكْشُرُ لَهَا وَجُوهَ تَأْوِيلَاتِ الْمُسْتَكْرَهَةِ وَالْمَجَازَاتِ الْمُسْتَكْرَهَةِ الَّتِي يَحْمِلُ الْعَقْلُ أَنَّهَا أَبْعَدُ شَيْءٍ عَنِ احْتِمَالِ أَلْفَاظِ النُّصُوصِ لَهَا وَأَنَّهَا بِالتَّحْرِيفِ أَشْبَهَ مَعَهَا بِالتَّعْسِيرِ، ثُمَّ قَالَ: فَالْطَّائِفَتَانِ - يَعْنِي أَصْحَابَ التَّحِيلِ وَأَصْحَابَ تَأْوِيلِ - اتَّفَعَا عَلَى أَنْ ظَاهِرَ حُطَابِ الرُّسُولِ ﷺ ضَلَالٌ وَبَاطِلٌ وَأَنَّهُ لَمْ يَبَيِّنِ الْحَقَّ وَلَا هَدَىٰ إِلَيْهِ الْخَلْقَ.

وَقَالَ فِي الثَّلَاثِينَ مِنْ تِلْكَ الرُّجُومِ بَيْنَ الطَّرِيقِ الَّتِي سَنَكُهَا هَؤُلَاءِ الْمَعَارِضُونَ بَيْنَ الْوَحْيِ وَالْعَقْلِ فِي إثْبَاتِ الصَّنَاعِ هِيَ بَعْضُهَا تَعْنِي وَجُودَهُ لِرُومَاتِهَا فَإِنَّ الْمَعَارِضِينَ صَنَعَانِ الْعِلَاسَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ: ثُمَّ بَيَّنَّ طَرِيقَ الْعِلَاسَةِ وَالتَّكْلِيمِ فِي إثْبَاتِ الصَّنَاعِ جَلَّ شَأْنُهُ فَقَالَ فِيمَا يَذْكُرُ طَرِيقَ التَّكْلِيمِ فِي إثْبَاتِ الصَّنَاعِ وَأَمَّا التَّكْلِيمُونَ فَلَمَّا رَأَوْا بَطْلَانَ هَذَا الطَّرِيقِ - يَعْنِي بِهِ طَرِيقَ الْعِلَاسَةِ - عَدَلُوا عَنْهَا إِلَى آخَرِ مَا قَالَ، ثُمَّ قَالَ - بَعْدَ مَا ذَكَرَ طَرِيقَ التَّكْلِيمِ، فَلَرَمَهُمْ مِنْ سَبُلِ هَذَا الطَّرِيقِ إِنْكَارُ كَوْنِ الرَّبِّ فَاعِلًا فِي الْحَقِيقَةِ، وَإِنْ سَمَوْهُ فَاعِلًا بِالسُّتَهْمِ إِلَى آخَرِ مَا قَالَ

وَقَالَ فِي الرَّجْعِ الثَّامِسِ وَالثَّلَاثِينَ: ثُمَّ طَهَرَ مَعَ هَذَا الشَّيْخِ الْمُتَأَخَّرِ الْمَعَارِضَ - يَعْنِي بِهِ بَصِيرَ الدِّينِ الطُّوسِي الَّذِي ذَكَرَهُ قَبْلَ مَلْفَاتِهِ بِبَصِيرِ الشَّرْكَ وَالْكَفْرِ الطُّوسِي أَشْيَاءَ لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ قَبْلَهُ حَسْتَ^(١) لَعْمِيدِي وَحَقَائِقُ ابْنِ عَرَبٍ

وتشكيكات لراري، وشع عن الأشعري إمام أهل السنة، فقال في الوجه الثالث والأربعين: قالت المرفة الخامسة بين التجهم وبني القدر معطلة الصمت، صدق الرسول موقوف على قيام المعجزة الدالة على صدقه، وقيام المعجزة موقوف على العلم بأن الله لا يؤيد الكذاب بالمعجزة الدالة على صدقه، والعلم بذلك موقوف على العلم بصدقه، وعلى أن الله تعالى لا يفعل القبيح، وتربيته عن فعل القبيح موقوف على أن العلم بأنه عبي عنه عالم بصدقه، وغناه عنه موقوف على أنه ليس بجسم، وكونه ليس بجسم موقوف على عدم قيام الأعراض والحوادث به، وهي الصدق والأفعال - إلى أن قال مصيفاً إليهم قالوا بهذا الطريق أثبتنا حدوث العالم وبقي كون الصانع جسماً وإمكان المعاد.

ثم قال عصار العلم ببنات الصانع وصدق الرسول وحدث العالم وإمكان المعاد موقوفاً على نفي الصفات، فإذ جاء في السمع ما يدل على إثبات الصفات والأفعال لم يكن القول بموجبه، ويعلم أن الرسول لم يرد إثبات ذلك لأن إرادته لإثباته تنافي تصديقه ثم إما أن يكذب الناقل وإما أن يتأول المتقول وإما أن يعرض عن ذلك حلة ويقول لا يعلم المراد فهذا أصل ما بسى عليه القوم ديبهم وإيهاسهم، ولم يقبض لهم ما بين هم فساد هذا الأصل ومخالفته لصريح العقل إلى أن قال: وهذا الطريق من الناس من بعضها من لوازم الإيهان وأن الإيهان لا يتم إلا بها، ومن لم يعرف ربه هذا الطريق لم يكن مؤمناً به ولا بسما جاء به رسوله، وهذا يقوله الجهمية والمعتزلة ومناخرو الأشعرية بل أكثرهم، وكثير من المتسبين إلى الأئمة الأربعة وكثير من أهل الحديث والصوفية.

ومن الناس من يقول: ليس الإيهان موقوفاً عليها ولا هي من لوازمه، وليست طريق الرسل، ويحرم سلوكها لما فيها من الخطر والتطويل وإن لم يعتقد بطلانها، وهذا قول أبي الحسن الأشعري نفسه فإنه صرح بذلك في رسالته إلى

أهل الشجر، وقال في الوجه السادس والأربعين: أن يقال طولاء المعارضين للوحي بعقولهم: إن من أمتكم من يقول إنه ليس في العقل ما يوجب تنزيه الرب سبحانه عن النقائص ولم يقم على ذلك دليل عقلي أصلاً كما صرح به الرازي وتلقاه عن الجويني وأمثاله، قالوا: وإما نفينا عنه انتفاص بالإجماع، وقد قدح الرازي وغيره من النفاة في دلالة الإجماع وبينوا أنها طيبة لا قطعية؛ فالقوم ليسوا قاطعين تنزيه الله تعالى عن النقائص بل غاية ما عندهم في ذلك الظن إلى آخره، وأيضاً شنع في الوجه السابع والأربعين على الإمام الأشعري والمحدث المحاسبي والقاضي أبي بكر السقلافي وغيرهم تركاء بحجة التطويل.

وقال في الخمسين: أما الصفاتية الذين يؤمنون ببعض ويجهلون بعضاً إلى آخر ما قال، وهذا تشيع منه على المتكلمين المخالفين للمعتزلة والجهمية، وقال فيما بين فيه اختلاف أهل الأرض في كلام الله تعالى: المذهب الخامس مذهب الأشعري ومن وافقه: أنه معنى واحد قائم بذات الرب، وهو صفة قديمة أزلية ليس بحرف ولا صوت ولا يتقسم، ولا له أبعاد ولا له أجزاء، وهو عين الأمر وعين الهي وعين الاستخبار الكل من واحد، وهو عين التوراة والإنجيل والقرآن والزبور، وكونه أمراً ونبيّاً وحبراً واستخباراً صفات لتلك المعنى الواحد لا أنواع له؛ فإنه لا يتقسم بنوع ولا جزء، وكونه قرآناً وتوراة وإنجيلاً تقسيم للعبارات عنه لا لذاته - إلى أن قال. وعنده لم يتكلم الله بهذا الكلام العربي ولا سمع من الله، وعنده ذلك المعنى سمع من الله حقيقة، ويجوز أن يرى ويشم ويذاق ويلمس ويدرك بالحواس الخمس؛ إذ لمصحح عنده لإدراك الحواس هو الوجود، وكل موجود يصح تعلق الإدراكات كلها به كما قرره في مسألة رؤية من ليس في جهة من الرائي وأنه يرى حقيقة وليس مقابلًا للرائي، هذا قولهم في الرؤية، وذلك قولهم في الكلام، والبلية العظمى نسبة ذلك إلى الرسول وأنه جاء

بهذا أو دعا إليه الأمة، وأهم أهل الحق ومن عداهم أهل الباطل
وجمهور العقلاء يقولون إن تصور هذا المذهب كاف في الجزم بطلانه وهو
لا يتصور إلا كما يتصور المستحيلات المتعذرات إلى آخر ما قال، وهذا - كما
قرئ - غابة منه في تشنيع الإمام الأشعري ودمه.

ثم قال المذهب السامع مذهب السالمية ومن وافقهم من أتباع الأئمة الأربعة
وأهل الحديث إنه صفة قديمة قائمة بذات الرب تعالى لم يزل ولا يزال لا يتعلق
بقدرته ومشيتته، ومع ذلك هو حروف وأصوات وسور وآيات سمعه جبرئيل
منه، وسمعه موسى بلا واسطة.

ثم قال وجمهور العقلاء قايروا تصور هذا المذهب كاف في الجزم بطلانه،
والبراهين العقلية والأدلة القطعية شاهدة بطلان هذه المذاهب كلها وأنها
مخالفة لصريح العقل والنقل، والعجب أنها هي الدائرة بين فضلاء العالم لا
يكادون يعرفون غيرها - انتهى.

هذه تشييعاته لأئمة الإسلام - أعل الله مقامهم في دار السلام - لا يسالي هم
ولا يراعي جانب أحد منهم؛ فلو كان المذهب في رواية البخاري يترجح عنده أنه
أريد به الإمام الأعظم لذكره وصرح به بل شنع عليه كما شنع على غيره؛ فإنه
يستحيل من مثل هذا التشدد المتصلب المتعصب الذي يرد بأقصى جهده على من
هو مخالف لمسلكه ويدفعهم بأبغ ما يمكنه من الدفع، ولا يتساهل في الرد أن
يعرض عن ترجيح ذلك المذهب وتعيينه بعدما ثبت عنده الترجيح، وحيث لم
يتعرض لهذا الأمر أصلاً ولم يشع على الإمام في موضع من كتابه في شيء من
المعتقدات وأصول الدين، بل احتج به في موضع الاستدلال على مطالبه الدينية
وسماه إماماً في مثل هذه الموضع التي تشعر تسميته هكذا فيها بوقوعه الدينية
وبسلب الذمائم والقائص عنه، وإثبات المدائح والمكارم له لزم أنه بريء من

هذه العقيدة عنده براءة كاملة

قال في كسر الطاعوت اندي وصعته الجهمية لتعطيل حقائق الاسماء والصفات وهو طاعوت المحر، فنقول تقسيمكم الالفاظ ومعانيها أو استعمالها فيها إلى حقيقة ومجاز إما أن يكون عقلياً أو شرعياً أو لغوياً أو اصطلاحياً فأخذ في إبطال الأقسام الثلاثة الأول واحد، واحداً

وقال حينما يبطل التقسيم اللغوي: وأهل اللغة لم يصرح أحد منهم بأن العرب قسمت لغاتها إلى حقيقة لا مجاز، ولا قال أحد من العرب قط، هذا اللفظ حقيقة وهذا مجاز، ولا يوجد في كلام من نقل عنهم مشاعرة ولا بواسطة ذلك، ولهذا لا يوجد في كلام الخليل وسجويه والعراء وأبي عمرو بن العلاء والأصمعي وأمثالهم كما لم يوجد ذلك في كلام رجل واحد من الصحابة ولا من التابعين ولا تابعي التابعين، ولا في كلام أحد من الأئمة الأربعة، وهذا الشافعي وكثرة مصنعاته ومباحثه مع محمد بن الحسن وغيره لا يوجد فيها ذكر للمجاز البتة إلى أن قال: وكلام الأئمة مدون بحروفه لم يجمعهم أحد منهم تقسيم اللغة إلى حقيقة ومجاز

ثم قال بعد فاصلة قليلة: إذا علم أن تقسيم الالفاظ إلى حقيقة ومجاز ليس تقسيماً شرعياً ولا عقلياً ولا لغوياً فهو اصطلاح محض، وهو اصطلاح حدث بعد القرون الثلاثة المفضلة - انتهى

فاحتجاجة في هذا القلم الجليل خطره العظيم أمره على الجهمية بالإمام الأعظم مع الأئمة الثلاثة، وجعله من أهل القرون المفضلة بالنص هل هو إلا مقبلة للإمام عظيمه ومديحة للإمام فخيمة توصح أن مثل هذا الرجل المتشدد المتجسس والمتعصب المتعق لم يجد أيضاً ما يقدح في شأنه إلا رفع، وقال في هذا البحث أيضاً في مقام الاحتجاج على أنه إذا خص من العموم شيء لم يصر اللفظ مجازاً فيما بقي أنه لا

نزاع بين الصحابة والتابعين والأئمة لأربعة أنه حجة، ومن نقل عن أحد منهم أنه لا يحتاج بالعام المحصور فهو غلط أقبح غلط وأفسد، وإذا لم يحتاج بالعام المحصور ذهب أكثر الشريعة وبطل أعظم أصول الفقه - انتهى.

وهذا - كما ترى - ذهب عن الإمام الأعظم مع الأئمة الثلاثة وتوضيح لسداد طريقته، وهكذا قال في الوجه الحادي والأربعين من هذا البحث: إن العام المحصور حجة بإجماع الصحابة والتابعين وتابعيهم، وإنما حدث الخلاف في ذلك بعد انقراض المصور المفصلة التي شهد لها رسول الله ﷺ بأنها خير القرون. وقال في الوجه السادس عشر من وجوه إبطال المجاز في لفظ الوجه: إن الصحابة والتابعين وجميع أهل السنة والأئمة الأربعة وأهل الاستقامة من أتباعهم متفقون على أن المؤمنين يرون وجه ربهم تعالى في الجنة إلى آخر ما قال، وهذا توضيح منه بأن الإمام الأعظم أبا حنيفة من أهل الاستقامة هذه فإن الأتباع إذا كانوا من أهل الاستقامة يكون المنبر من أهل الاستقامة بالضرورة، وهو ظاهر.

وقال في الوجه الثالث عشر من وجوه الرد على من أنكر حقيقة الفوقية لله تعالى وحملها على المحار: ولم ير السلف الصالح يطلقون مثل هذه العبارة إطلاقاً لا يحتمل غير الحقيقة، فأحد يبين إطلاقاتهم حتى قال: وقصة أبي يوسف صاحب أبي حنيفة مشهورة في استناته لبشر المريسي لما أنكر أن يكون الله فوق العرش، رواها عبدالرحمن بن أبي حاتم وغيره، وشيئ لم ينكر أن الله أفضل من العرش وإنما أنكر ما أنكرته الممثلة أن ذاته فوق العرش.

ثم قال بعد فاصلة قليلة: وقال أبو مطيع الحكم بن عبدالله البلخي: سألت أبا حنيفة عن يقر: لا أعرف ربي في السماء أم الأرض، فقال: قد كفر لأن الله

يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(١) وعرشه فوق سبع سموات، فقلت: إنه يقول: على العرش استوى، ولكن لا يدري العرش في السماء أم الأرض، فقال: إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر - انتهى، فظهر من هذا القول أن الإمام الأعظم عده من السلف الصالح، أفدحله في السلف الصالح مع ثبوت عقيدة الخلق منه عده؟ ولما أدخله في السلف الصالح ثبت أنه ما كان قائلاً بالخلق أبداً

وقال في بحث طويل يرد به على الذين قالوا: لا يحتاج بكلام رسول الله ﷺ على شيء من صفات ذي الجلال قالوا: الأحبار قسبان متواتر وأحاديث فالتواتر وإن كان قطعي السند لكنه غير قطعي الدلالة؛ لأن الأدلة المنطوية لا تفيد اليقين، وبهذا قدحوا في دلالة القرآن على الصفات، والأحاد لا يفيد العلم بهذا الذي اعتمدته نفاة العلم من أخبار رسول الله ﷺ غرقوا به إجماع الصحابة المعلوم بالضرورة وإجماع التابعين وإجماع أئمة الإسلام، ووافقوا به المعتزلة والجهمية والرافضة والخوارج بل هم الذين انتهكوا هذه الحرمة، وتسعمهم بعض الأصوليين والفقهاء، وإلا فلا يعرف لهم سلف من الأئمة بذلك بل صرح الأئمة بخلاف قوتهم، فمن نص على أن خبر الواحد يفيده العلم مالك والشافعي وأحمد وأصحاب أبي حنيفة - انتهى، فظهر من قوله هذا أن الإمام عده من أئمة الإسلام، وكيف يكون من أئمة الإسلام إذ كان قائلاً بخلق القرآن؟ وحيث كان من أئمة الإسلام لم يكن من القائلين بالخلق.

وقال باقلاً عن ابن تيمية: إن الخبر الواحد يفيد العلم اليقيني عند جماهير أئمة محمد ﷺ من الأولين والآخرين، أما السلف فلم يكن بينهم في ذلك نزاع، وأما الخلف فهذا مذهب الفقهاء الكبار من أصحاب الأئمة الأربعة إلى آخر ما قال،

وقال فيمن رد الأحاديث بالعدر لسي أقدامه عذراً لرد الأحاديث. وطائفة عاشرة ردت فيه بعم به البلوى وقتلته فيما عدا، وحكوه عن أبي حيفة وهو كذب عليه وعلى أبي يوسف ومحمد فلم يقل ذلك أحد منهم البتة وإنما هذا قول متأخريهم، وأقدم من قال به عيسى بن أبيان وتبعه أبو الحسن لكرخي وغيره - انتهى.

انظر في هذا المقام كيف دفع الأمر من أن يكون مسوئاً إلى الإمام وصاحبه، وقد أطال محمد بن موصلي الأصمعي مؤلف هذا الكتاب مبحث كلام الله تعالى؛ فبين جميع مذاهب الأرض في كلام الله تعالى كي يدل عليه قوله حين ابتداء في هذا البحث. اختلف أهل الأرض في كلام الله تعالى إلى سبع مذاهب الاتحادية والفلاسفة والجهمية والمعتزلة وغيرها من المذاهب، وبين مذهب السلف وأئمة السنة والحديث فيه حتى قال: فالقرآن عندهم جميعه كلام الله حروفه ومعانيه وأصوات العباد وحركاتهم وأدائهم وتلفظهم، كل ذلك مخلوق بائن عن الله

لأن قيل: فإذا كان الأمر كما قررتم فكيف أنكر الإمام أحمد على من قال: «لعظمي بالقرآن مخلوق»، وبدعه ونسبه إلى التجهم؟ وهل كانت محبة أبي عبد الله البخاري إلا هل ذلك حتى هجره أهل الحديث ونسبوه إلى القول بخلق القرآن؟ قيل: معاذ الله أن يظن بأئمة الإسلام هذا الظن العاسد، وقد صرح البخاري في كتابه (خلق الأفعال)، وفي آخر الجمع بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وقال:..

حدثنا سفيان بن عيينة إلى آخر ما قال، وقد نقلناه في صدر المبحث

ثم قال: فخفي تعريف البخاري وتمييزه على جماعة من أهل السنة والحديث ولم يفهم بعضهم مراده وتعلقوا بالمقول عن أحمد نقلاً مستفيضاً أنه قال: من قال: لعظمي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع، وساعد ذلك نوع حسد بالظن للبخاري لما كان الله نشر له من الصيت إلى أن قال: فوافق المهوى الباطن الشبهة الدشة من القول المجمل، ونسكروا بإطلاق

الإمام أحمد وإنكاره على من قال يعطي باقرآن مخلوق وأنه جهمي؛ فترك من مجموع هذه الأمور مسألة وقعت بين أهل الحديث في مسألة اللفظ، ثم ذكر مخالفة محمد بن يحيى للبحاري؛ فإن محمد بن يحيى كان يعتقد ما يحكيه عن أحمد بن حنبل من الإنكار على من قال يعطي باقرآن مخلوق، والبحاري وقف عنه فتكلم محمد بن يحيى فيه، وقال: قد أظهر هذا البحاري قول اللطيفة، والنعنية شر من الجهمية، ثم نقل عن أبي عبد الله الحاكم قصتهما

قلت. وقد ذكرها أيضًا البيهقي في كتابه (الأسماء والصفات) ثم ذك من البخاري، وبين لقول الإمام أحمد محامل فقال: فالبحاري أعجم هذه المسألة وأولى بالصواب فيها من جميع من خالفه، وكلامه فيها أوضح وأمش من كلام أبي عبد الله؛ فإن الإمام أحمد سد الدريعة حيث منع إطلاق لفظ المخلوق نفيًا وإثباتًا على اللفظ، فقالت طائفة: أراد سد باب الكلام في ذلك إلى آخر ما قال: وقد أحسن في بيان ما هو المحمل لقول أحمد رحمه الله تعالى وما هو مراده، ثم قال بعده: وأبو عبد الله البخاري ميز وفصل وأشبع الكلام في ذلك، وفرق بين ما قام بالرب وبين ما قام بالعبد وأوقع المخلوق على تعطى العباد وأصواتهم إلح، ونهى اسم الخلق عن الملفوظ وهو القرآن إلح، وقد شفى في هذه المسألة في كتاب خلق الأفعال، ثم نقل عن البخاري أن المعروف عن أحمد وأهل العلم أن كلام الله تعالى غير مخلوق وما سواه فمخلوق، وأنهم لم يفهموا دقة مذهب الإمام أحمد.

قلت: لو كان الإمام قائلًا بخلق القرآن لذكرها في هذا البحث الطويل البسيط، وما غفل عن ذكره قط مع ما علم من دأبه فيمن يزعم أنه ليس على الطريقة القويمة.

والحاصل من كل ما نقلنا من كتاب (سيف السنة) إنها هو إظهار أمرين: (أحدهما): تشديد مؤلفه في العلماء المقبولين وتعصبه وإرسال لسانه فيهم وتحمسه للمذاهب كلها وتخيره عن جعلتها فيبعد من مثل هذا المتعصب المتصلب

المتشدد والمتعمق المتجسس المتحبر كن بعد أن لا يذكر نسبة هذه العقيدة إلى الإمام مع كونه معتقداً بها، وحيث لم يذكرها بل لم يوجد شمة منها في كتابه، ووجد ما ينفيها دل دلالة بيغة على أن الإمام كانت صاحبة قلبه الشريف طاهرة عن هذه العقيدة وأمثالها.

و(ثانيها) إقراره بكون الإمام من أئمة الدين والسلف الصالح ومن أهل القرون الممصلة بالصن، واللام منه عدم كون الإمام قائلًا بالخلق؛ فإن هذه الألقاب لا تطلق على قائل خلق القرآن قط؛ لأن بين معاهيم هذه الألقاب وبين القول بخلق القرآن تناقضاً لا يجمعان أبداً، ثم إن كتاب خلق الأفعال محض مروي عن البخاري، نه عليه الحافظ ابن حجر في مقدمة (فتح الباري) لشرح صحيح البخاري فقال بعدما ذكر كتاباً من تصانيفه فيها (خلق الأفعال)، وهذه التصانيف موجودة مروية لبأب السماع أو بالإجازة^(١) - انتهى.

وابن حجر هذا من الملاحين للإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى؛ فإن كانت الرواية موجودة في السخنة من (خلق الأفعال) المروية لابن حجر بالسماع أو بالإجازة فلا تخلو إما أن تكون على هذا الإبهام أو تكون صرح فيها بالاسم؛ فعلى الأول يجب المصص والبحث حتى يتعين ويرجع ويحصل العلم؛ فإن الإبهام جهالة لا تعبد شيئاً ولا تقطع أمراً؛ فإذا بحث عن الإبهام فإما أن يتعين الإمام أو يرجع أو يتعين غيره أو يرجع؛ فعلى الأول لا يستقيم مدحه للإمام بل يعيد هذا المدح ذمًا عليه ويوجه طعنًا إليه، وعلى الثاني ينضج حال الروايات المذكورة في الإبانة، ولا يتصور منهم أن لا يفحصوا عن هذا الإبهام ويتركوه مع أن عقولهم بعيدة الغور وبحور فهمهم لها قعور بحثوا عن المشتبهات فأكشفوها وأحكموها، وفحصوا

(١) هدي الساري (ص ٤٩٣).

عن المجملات ففصلوها وقرروها، وأما إذ لم يجدوا سبيلاً إلى التمييز أو الترجيح من بحثهم العميق وفحصهم البليغ - وهو شدد وبادر - فيفوض الأمر إلى علام الغيوب؛ فإن كانت في رواية أخرى مماثلة لها نصريح يزيد الإيهام لا تكون المصراحة فيها مفسرة للمبهمة؛ لأنهم مع فحصهم الشديد ونجسهم البليغ لم يجدوها، ولو كانت صحيحة لوجدوها وفسروا بها الإيهام، ولا يعقل أن مثل هذه الرواية تخفى عليهم فمنهم وصلت إليها الروايات، وعنهم حصلت لنا الدرايات؛ فإن وجدنا رواية ولم نجد لها فيهم ولا في واحد منهم دائرة فهي وإيهام، وإن اطلعنا على دراية وهي تخالف درايتهم فهي لإيهام

وأما على الثاني فإما أن يكون فيها النصريح بالإمام الأعظم أو غيره؛ فلو كان الأول لشاع وذاع لاسيما بين المحدثين وخصوصاً بين من اعتنى بكتب الإمام أبي عبد الله البخاري، ولم نجد أحداً منهم كتب عقيدته الخلق إلى الإمام، هذا ابن حجر حافظ عصره وحافظ كتب البخاري مادح للإمام معترف بمصلحه، وهذا الذهبي الحافظ الناقد البالغ في تنقيده حتى قالوا هو يفسد في توكيفه وتضييفه ونجسهم وتضميفه يركي الإمام في ميزانه وتذكرته فيلعبها على أقصى مدارجها - وقد ذكرناه وقال في كتابه (العرش والعلو) ^(١) قال أبو جعفر أحمد بن سلامة الطحاوي في العقيدة التي له، ذكر في بيان السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن رحمهم الله تعالى: أن القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولاً وأنزله على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وحياً، وصدق المؤمنين على ذلك حقاً وأيقنوا أنه كلام الله بالحقيقة ليس بمخلوق، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر - إلى آخر ما قال: ذكره الذهبي احتجاجاً على مطلبه هذا.

(١) العلو للعلی الغفر (ص ٢١٥-٢١٦)

والإمام الطحاوي هو الحافظ، جليل والعقبة النبيل السائر ذكره في الأفاق والأقطار لم يخلف مثله، شهد به الحفظ الأيقاظ والنقطة ذوو الاعتبار؛ فعوله هذا يبرئ الإمام بغاية التبرئة وينقص الرواية التي ذكرها البخاري في (خلق الأفعال) بتقدير أن يكون فيها انتصريح بالإمام، ويؤيده ذكر الذهبي له في كتابه المذكور في معرض الاحتجاج، ويؤيده أيضًا قوله في الإمام وصاحبيه أنهم فقهاء الملة؛ أعلم يحصل لهذا الخير النصير العلم على تلك الرواية المذكورة في (خلق الأفعال) مع أنها كانت موجودة فيهم مروية هم، وهذا الحافظ الدوالي أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الراوي عن البخاري كتابه (الصنعاء) قال ابن حجر في مقدمة شرح البخاري^(١)، وقد ذكر الإمام أنا حبيبة هـ في كتاب (الكس) وروى عنه فتياه في مسألة، وما ذكر شيئاً من الجرح فيه

وذكر أيضًا حماد بن أبي سليمان أسوأ أسماهيل، وقال: إنه أستاذ أبي حنيفة العقبة، وفي رواية الإيابة: أن حمادًا هذا هو القائل للثوري: بلغ أبا حنيفة إلخ، وفي الرواية الواقعة في خلق الأفعال: أبلغ أبا فلان، ولو كانت الرواية المذكورة في خلق الأفعال مصرحًا فيها باسم الإمام - كما هو في الإبانة - أو لم تكرر هكذا ولكن كان الإمام هو المرجح لكونه مرادًا من المبهم عندهم لذكرها في ترجمة حماد بن أبي سليمان؛ فإن السكوت عن موجبات الفدح ليس من شأنهم لاسيما في تصانيفهم التي صنفوها في الرجال.

وهذا الخطيب المتعصب العبيد أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت صاحب (تاريخ بغداد) طعان في الإمام عياب له، قد هدى بمثالب الإمام ومعانيه في تاريخه^(٢)،

(١) هدي الساري (ص ٤٩٣)

(٢) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٧٠-٤٥١).

وردها الأئمة بأبلغ الوجوه منهم الحافظ بن يوسف بسط ابن الجوزي في (كتاب الانتصار) لإمام أئمة الأمصار وحافظ حوارزم في (مسند الإمام الأعظم) فإنه أجاب عنها أولاً بالإجمال ثم أتى بمطاعه واحداً واحداً، وأجاب عن كلها تفصيلاً، وقد نقل أكثرها في رسالة (بعض الناس في دفع الوسواس) السابق ذكره، فله درهم حيث أبطلوا المطاعن وصرخوا بها وجه الطاعن ذي الضغائن، وأكثر مطاعنه في الإمام ومعانيه له إنما هو في العروحات الفقهية.

وملخصها. أنه يقدم قياسه على الأحاديث، وبعضها في أمور أخرى سواها وليس في جعلها طعن على الإمام بأنه كان يقول بحلق القرآن؛ فلو كانت الرواية المذكورة في حلق الأعمال صحيحة ثابتة واضحة مشروحة غير مبهمة، وهكذا الروايات الواقعة في الإبانة لو كانت صحيحة ثابتة لجعلها الخطيب المحسود من أعظم مطاعن الإمام المحسود، وإذ لم توجد في مطاعنه شمة من نسبة هذه العقيدة إلى الإمام دل دلالة واضحة على بطلان هذه الروايات؛ لأن العادة جارية على أن الطاعن المحسود والمعتب العنود الواقف بمسالك الطعن والماهر بطرائقه لا يزال يتجسس المناهج والمداخل لطلعه نجساً بليماً؛ فإذا وجد طريقاً للطعن سلكها.

والرواية التي جعلناها في كتاب حلق الأعمال لو كانت صريحة غير مبهمة لا كما هي عندنا أو كانت مبهمة ولكن الإمام يكون المراد المرجح من البهم لدلائل أخرى فكانت مسلكاً واضحاً للطاعنين، وما ارتضى صنيع الخطيب هذا ووقعته في الإمام القاضي شمس الدين ابن خلكان الشافعي فقال في تاريخه (وفيات الأعيان) في ترجمة الإمام أبي حنيفة النعمان: إن مناقبه وفصائله كثيرة، وقد ذكر الخطيب في تاريخه منها شيئاً كثيراً ثم أعقب ذلك بذكر ما كان الألبق تركه والإصرار عنه، فمثل هذا

الإمام لا يُشكُّ في دينه ولا في ورعه ونهضة^(١) - انتهى موضع الضرورة.

ثم إني وقفت على (طقات الشافعية الكبرى) للعلامة تاج الدين عبد الوهاب بن السبكي الشافعي رأيته ذكر فيها للإمام أبي الحسن الأشعري ترجمة طويلة، وأنى فيها بما يقطع عرق الريب ويبين الأمر بواضح البيان بحيث لا يحتاج منه الإنسان إلى الآخر من البيان؛ فإنه أوضح فيها أن معتقد الأشعري في أصول الدين هو معتقد إمامنا الأعظم أبي حنيفة النعمان، وأن ما حالف فيها الأشعري من الحنفية لا يقتضي تبذير أحدهما فضلاً عن التكفير، وأن الأشعري لا يبدع الإمام ولا يتعمد تنقيصه ولا يحالفه في الأصول، وأن الحنفية أكثرهم أشعريون إلا من لحق منهم بالمعتزلة

ونحن نذكر من هذا الكتاب ما يتعلق بمبحثنا ومطلبنا على هواند بلفظ. قلت فنقول. قال ابن السبكي: ولقد قلت مرة للشيخ الإمام تاج الدين أنا أحب من الحافظ ابن عساكر في عدة طوائف من أتباع الشيخ ولم يذكر إلا نزرًا يسيرًا وعددًا قليلًا، ولو وفي الاستيعاب حقه لاستوعب غالب علماء المذاهب الأربعة فإنهم برأي أبي الحسن يدينون لله تعالى، فقال. إنها ذكر من اشتهر بالمناصلة من أبي الحسن، وإلا فالأمر على ما ذكرت من أن غالب علماء المذاهب معه، وقد ذكر شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام أن عقيدته اجتمع عليها الشافعية والمالكية والحنفية وفصلاء الحنابلة، ووافق على ذلك من أهل عصره شيخ المالكية في زمانه أبو عمرو بن الحارث وشيخ الحنفية جمال الدين الحصري.

قلت: وسنجد لهذا الفصل فصلًا فيما بعد، وذكر قاضي القضاة الدامغانى الحنفي وقاضي القضاة أبو بكر الفصحي الحنفي من الطائفة الرابعة وقاضي

القضاة شمس الدين السروجي الحنفي واندلسي شمس الدين الحريري الحنفي من الطلقة السابعة في الأحاديث عن الأشعري والمتبعين له.

وقال في بيان طريقة الشيخ أبي الحسن الأشعري هي التي عليها المعتزليون من علماء الإسلام المتميزون من المذاهب الأربعة في معرفة الحلال والحرام، والقائمون بنصرة دين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، قد قدمنا في تضاعيف الكلام ما يدل على ذلك، وحكما لك مقالة الشيخ ابن عبدالسلام ومن سبقه على مثلها وتلاه على قوما، حيث ذكروا أن الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة أشعريون، هذه عبارة ابن عبدالسلام شيخ الشافعية وابن الحاحب شيخ للمالكية والحنفية شيخ الحنمية.

ومن كلام ابن عساكر حافظ هذه الأمة أئمة الثبت: هل من الفقهاء الحنفية والمالكية والشافعية إلا موافق للأشعري ومتتبع إليه وراض بجهد سعيه في دين الله، ومث بكثره العلم عليه غير شرقة غليله فظهر التشبيه وتعادي كل موحد يعتقد التبريه؟ قلت: كمحمد بن موسى الأصبهاني الشافعي المتقدم ذكره صاحب كتاب (سيف السنة الرقيقة) أو بصاهي قول المعتزلة في ذمه وبباهي لكم بإظهار جهلها بقدره سعة علمه.

قلت: أيتصور من الحنفية أن ينتسبوا إلى الأشعري ويرضوا عنه ويشوا عليه مع ذكره القدح العظيم الموجب للكفر للإمام أبي حنيفة في (كتاب الإبانة) الذي هو آخر كتبه على ما ذكره محمد بن موسى في كتاب (سيف السنة) ومع تثبت عليه وعدم رجوعه عنه حيث ذكره في آخر كتبه، وإذا انتسبوا إليه ورضوا عنه وأثنوا عليه علم أن الأشعري ما ذكر هذه الروايات في الإبانة ولا في كتاب آخر من كتبه، وأنه ليس بمنقصر للإمام ولا بهدام له بوجه من الوجوه ثم ذكر ابن السبكي استثناءات وأسئلة وقعت في الأشعري، منها استثناء

وقع ببعداد، وهذه صورته:

ما قول السادة الأئمة الحجة في قوم اجتمعوا على لعن فرقة الأشعري
وتكفيرهم ما الذي يجب عليهم؟

فأجاب قاضي القضاة أبو عبدالله الدامغانى الحنفى: قد ابتدع وارثك ما لا
يجوز، وعلى الناظر في الأمور - أعرفه أنصاره - الإنكار عليه وتأديبه بما يرتدع
به هو وأمثاله عن ارتكاب مثله - كتب محمد بن علي الدامغانى -

قلت: وفي هذا دلالة ظاهرة على أن الأشعري ما ثبت منه شيء من القدرح في
الإمام والعلو فيه فضلاً عن نسبة هذه العقيدة الفريحة الموحجة للتكفير إليه؛
لأنه إذا ثبت من الأشعري العدم الموجب للتكفير في الإمام الأعظم لرماء
الحنفية من كل جانب وشعرا عليه غاية التشيع فضلاً عن أن ينصروه ويحكموا
على اللاعنين لفرقة الأشعري أنهم ابتدعوا، وارثكوا ما لا يجوز ارتكابه، فيجب
تأديبهم والإنكار عليهم حتى لا يعودوا إلى ارتكاب مثله.

ثم نقل استفتاء آخر وقع ببعداد فيه أيضاً كتب تحته جماعة من الشافعية
والحنفية والمالكية والهابطة متصريحين له رادين على من أنكره.

ثم قال ابن السبكي: ذكر كلام أبي العباس قاضي العسكر الحنفى: كان أبو
العباس هذا رجلاً من أئمة أصحاب الحنفية ومن المتقدمين في علم الكلام،
وكان يعرف بقاضي العسكر.

وقد حكى الحافظ أبو القاسم في كتاب (التبيين) جملة من كلامه فمنه قوله:
وقد وجدت لأبي الحسن الأشعري كتباً كثيرة في هذا الفن - يعني أصول الدين -
وهي قريب من مائتي كتاب، و(الموجز الكبير) يأتي على عامة ما في كتبه، وقد
صنف الأشعري كتاباً كبيراً لتصحیح مذهب المعتزلة فإنه كان يعتقد مذهبهم،
ثم بين الله له ضلالهم فتاب عما اعتقده من مذهبهم، وصنف كتاباً ناقضاً لما

صنف للمعتزلة، وقد أخذ عامة أصحاب الشافعي بما استقر عليه مذهب أبي الحسن الأشعري، وصنف أصحاب الشافعي كتباً كثيرة على وفق ما ذهب إليه الأشعري إلا أن بعض أصحابنا من أهل السنة والجماعة خطثوا أبا الحسن في بعض المسائل مثل قوله: التكوين والمكون واحد، ونحوها - على ما نبين في حلال المسائل إن شاء الله تعالى - فمن وقف على المسائل التي أخطأ فيها أبو الحسن وعرف خطأه فلا بأس له بالنظر في كتبه؛ فقد أمسك كتبه كثير من أصحابنا من أهل السنة والجماعة ونظروا فيها^(١) - انتهى

قلت: وهكذا قال الزدوي في عقائده: هؤلاء علماءنا رحمهم الله تعالى المختبرون بمسلك الأشعري والمطلعون على كتبه؛ فإن كانت الروايات الواقعة في (الإبانة) صحيحة ذكرها الأشعري بعد من مثل هؤلاء المختبرين المتبحرين أن لا يطلعوا عليها، وإن اطلعوا يستحيل منهم أن يذكروا تحطئة أصحابنا للأشعري في مسائل يسيرة غير موجبة للتشيع وتركوا ما يوجب التخطئة العظيمة بل التشيع القبيح للأشعري، وأن يجهلوا النظر في كتبه مع كون الموجب القوي للنفرة عنه خصوصاً للحنفين، وحيث لم يشعروا عليه وأجازوا النظر في كتبه وأمسكوها دل على أن هذه الروايات مفتراة مختلفة ما ذكرها الأشعري في (الإبانة) ثم أخذ في ذكر المسائل الخلافية فقال: ذكر البحث عن تحقيق ذلك: سمعت الشيخ الإمام تارة يقول: ما تضمنته عقيدة الطحاوي هو ما يعتقد الأشعري لا يخالف إلا في ثلاث مسائل

قلت: أنا أعلم أن المالكية كلهم أشاعرة لا أستثني واحداً، والشافعية غالبهم أشاعرة لا أستثني إلا من لحق منهم بنجسيم أو اعتزال عن لا يعبأ الله به.

(١) تبين كتب المفتري (ص ١٤٠).

والحنفية أكثرهم أشاعرة - أعني يعتقدون عقيدة الأشعري - لا يخرج منهم إلا من لحق منهم بالمعتزلة.

والحنابلة أكثر فصلاء متقدميهم أشاعرة لم يخرج منهم إلا من لحق بأهل التجسيم، وهم في هذه الفرقة من الحنبلة أكثر من غيرهم، وقد تأملت عقيدة الطحاوي فوجدت الأمر على ما قال الشيخ الإمام، وعقيدة الطحاوي زعم أنها التي عليها أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد ولقد أجاد فيها، ثم تصمحت كتب الحنفية فوجدت جميع المسائل التي بينا وبين الحنفية خلاف فيها ثلاثة عشر مسألة منها: معنوي مت مسائل، وإساقى لعظمي، وتلك الست المعنوية لا يقتضي مخالفتهم لنا ولا مخالفتنا لهم فيها تكثيراً ولا تبديلاً، صرح بذلك الأستاذ أبو منصور البغدادي وغيره من أئمتنا وأئمتهم، وهو غني عن التصريح لظهوره.

ومن كلام الحافظ: الأصحاب مع اختلافهم في بعض المسائل كلهم أجمعوا على منع تكفير بعضهم بعضاً بمختلف من عداهم من سائر الطوائف وجميع الفرق إلى أن قال: وما مثل هذه المسائل إلا مثل مسائل كثيرة اختلفت الأشاعرة فيها، وكلهم عن أبي الحسن يواصلون ويسفون يقاتلون، أفتراهم ويدع بعضهم بعضاً؟ ثم هذه المسائل الثلاثة عشر لم يثبت جميعها عن الشيخ ولا عن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهم كما حكى لك ولكن الكلام بتقدير الصحة.

ولي قصيدة نورية جمعت فيها هذه المسائل وضمت إليها مسائل اختلفت الأشاعرة فيها مع تصويب بعضهم بعضاً في أصل العقيدة، ودعواهم أنهم أجمعون على السنة، وقد ولع كثير من الناس بحفظ هذه القصيدة لاسيما الحنفية.

قلت: في ولوع الحنفية بحفظها دليل ظاهر على أن علماءنا الحنفية لم يجدوا من الأشعري شيئاً يعود منه الطعن على الإمام، ثم قال: وأنا أذكر لك قصيدتي في هذا المكان لتفيد منها مسائل الخلاف وما اشتملت عليه، فأولها أقول:

الوردُ خدُّكَ صيغ من إنسانٍ
واليفُ لحظُّكَ سُلَّ من أجفائه
تالله ما خُلِقْتَ لحاظُكَ باطلا
إلى آخرها، ومنها:

كَذَّبَ ابْنُ فَاعِلَةٍ يَقُولُ بِجَهْلِهِ
لو كان جسماً كان كالأجسام يا
وَاتَّبَعَ صِرَاطَ الْمُصْطَفَى فِي كُلِّ مَا
وَأَعْلَمَ أَنَّ الْحَقَّ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ
مَنْ أَكْمَلَ الدِّينَ الْقَوِيمَ وَبَيَّنَّ إِلَهُ
قَدْ نَزَّهُوا الرَّحْمَنَ عَنْ شَيْءٍ وَقَدْ
وَمَضَوْا عَلَى خَيْرٍ وَمَا هَدَوْا نَجْمًا
كَلَّا وَلَا ابْتَدَعُوا وَلَا قَالُوا الْبَنَاءَ
وَأَنْتَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ عَلِيمًا ذَا
كَالْشَافِعِي وَمَالِكٍ وَكَأَحْمَدٍ
وَكَمْثَلِ إِسْحَاقٍ وَدَاوُدَ وَمَنْ
وَأَتَى أَبُو الْحَسَنِ الْإِمَامُ الْأَشْعَرُ
وَمُنَاضِلًا عَمَّا عَلَيْهِ أَوْلَتْكَ الْ-

أَمْ فِي الْخُدُودِ شَفَائِي السُّعْمَانِ
فَسَطَا كَمَثَلِ مُهَنَّدٍ وَسَنَانِ
وَسَدَى تَعَالَى اللَّهُ عَنْ بَطْلَانِ

اللَّهُ جِسْمٌ لَيْسَ كَالْجَسَمَانِ
مَجْنُونٌ فَاصْغِ وَخُذْ عَنِ الْبُهْتَانِ
يَأْتِي وَخَلَّ وَسَاوَسَ الشَّيْطَانِ
إِصْحَابَةُ الْمِعْوِثِ مِنْ هَدَنَانِ
كَحَجَّجِ النَّسْرِ يُنْهَدَى بِهَا الثَّقَلَانِ
فَانْصَرَفُوا بِهَا قَدْ جَاءَ فِي الْفَرْقَانِ
لَسَ فِي صِفَاتِ الْخَالِقِ الدُّبَانِ
أَمْ مِثَابَةٌ فِي تَكْوِيلِهِ لِلْبَنَانِ
خَرَسُوا نَاهَا زَا يَجْتَنِيهَا الْجَانِ
وَأَبَى حَنِيفَةً وَالرُّضَى مَفْيَانِ
يَقْفُو طَرَائِقَهُمْ مِنَ الْأَهْيَانِ
يُ مِينًا لِلْحَقِّ أَيُّ يِيَانِ
أَسْلَافٌ بِالتَّحْرِيرِ وَالْإِثْقَانِ

قلت: فيه تصريح بأنه كان الإمام على ما كان عليه الصحابة فلزم منه أنه ما كان قائلاً بالخلق ثم قال بعده:

ما أن يخالف مالكاً والشافعي
 لكن يوافق قولهم ويزيده
 يقضو طرائقهم ويتبع حارثاً
 فلقد تلقى حسن منهمج من الـ
 فلذلك تلقاه لأهل الله بنـ
 مثل ابن أدهم والمضيل وهكذا

وهكذا عد الشيوخ إلى أن قال:

وكذلك أصحاب الطريقة بعده
 وتلمذ الشبل بين يديه وإبـ
 وغلائق كثروا فلا أحصيتهم
 الكل معتقدون أن إنا

إلى أن قال بعد ما ذكر العقائد:

هذا اعتقاد مشايخ الإسلام ومـ
 والأشعري عليه بنصره ولا
 وكذلك حاله مع السنماني لم
 بإصاح إن عقيدة السنماني
 فكلامهما والله صاحب سنة
 لا ذا يمدح فإلا هذا وإن
 من قال إن أبا حنيفة مبديع

وأحمد بن محمد الشيباني
 حسناً بتحقيقه وفضل بيان
 أعني محاسب نفسه بوزان
 بأشياخ أهل الدين والعرفان
 صر قولهم بمهتد ويسان
 معروف المعروف في الإخوان

ضبطوا عقائده بكل هنان
 من خفيف والثقفي والكتابي
 ورؤوا على الهافوت والمرجان
 متوحد فرقة قديم داني

والدين فلتسمع له الأذنان
 بألو جزاء الله بالإحسان
 يستقص عليه عقائد الإيمان
 والأشعري حقيقة الاتقان
 بهدي نبي الله مقتديان
 تحب سواه وهمت في الحسان
 رأيا فذلك قائل المذنبان

أو ظن أن الأشعريَّ مُبَدِّعٌ فلقد أساء وساء بالخسرانِ
كلُّ إمامٍ مقتدى ذو سنةٍ كالسيف مسلولا على الشيطانِ
والخلفُ بينهما قليلٌ أمرٌ سهلٌ بلا بدع ولا كفرانِ
فما يقلُّ من المسائلِ جدَّةٌ ويهونُ عند تطاهنِ الأقرانِ

قلت: هذا عاية البيان في تركية الإمام أبي حنيفة النعمان ونهاية المدح له والذب عنه، وهو من الذين لا يقلدونه في الفروع، ولو كان الإمام قاتلاً بخلق القرآن معتقداً به ما كان الخلف بينه وبين الأشعري قليلاً سهلاً غير موجب للبدعة والكفر، وما أصدق قول هذا المتخبر المتبحر:

الخلف بينهما قليلٌ أمرٌ سهلٌ بلا بدع ولا كفرانِ
إلى آخر ما قال ثم قال:

وكذاك أهل الرأي مع أهل الحديث ست في الاعتقاد الحق متفقانِ
ما أن يكفر بعضهم بعضاً ولا أرزى عليه وساقه يهوانِ
إلا الذين تمزّلوا منهم فهم فتنة تتعشت عنهم الفتانِ
هذا الصواب فلا تظننَّ غيرهُ واعتقد عليه بخنصرٍ ونيانِ
ورأيست ممن قاله حبراً له نبأ عظيمٌ سار في البلدانِ
أعني أبا منصور الأستاذ عبيد سد القاهر المشهور في الأكوانِ
هذا صراطُ الله فاتبعهُ تجد في القلب بركة حلاوة الإيمانِ
وتراه يومَ المحشر أبيضَ واضحاً يهدي إليك رسائل الغفرانِ
وعليه كان السابقون عليهم تحلل النساء وملبس الرضوانِ

والشافعي ومالك وأبو حنبل
 درجوا عليه وخلّفونا إثرهم
 سفة وابن حنبل الكبير الثاني
 إن تسميهم نجتمع بحضار
 مومنين مأخوذين بالمصبيان
 أو نبتدع فلسوف نضلي النار مذ

إلى آخر ما قال

قلت فلقد ثبت من قول ابن السبكي الشافعي أن الإمام الأعظم كان على صراط الله تعالى، ومن كان على صراط الله تعالى لا يكون قائلًا بخلق القرآن قط، ثم ينبغي أن يعلم أن هذه الدلائل كلها إنما هي لمزيد التأكيد وزيادة التوضيح، وإلا فعدم كون الإمام قائلًا بخلق القرآن ومعتقدًا به وكونه معتقدًا بعدم خلقه ومكتمرًا لقائل الخلق يثبت من كلامه **الله نبوتًا لا يترتب معه من له أدنى مسكة من العقل، ويتضح وضوحًا لا يشك بعده من له قليل من الفهم، وهو يكفي لإثبات المرام وينفي عن دلائل أخرى للذات عن الإمام، ولكن الكلام يشد بعضه بعضًا فيصير بنيانًا مرسومًا، هذا الفقه الأكبر من كلام إمامنا الأعظم شرحه جماعة من الحنفية عمدتهم علي القاري العلامة، وهذا كتابه الوصية صرح فيها بعدم خلق القرآن وكرره تأكيدًا واهتمامًا فقال رضي الله تعالى عنه: والقرآن في المصاحف مكتوب وفي القلوب محفوظ وعلى الألسن مقروء، وعلى النبي ﷺ منزل، لفظنا بالقرآن مخلوق وكتبنا له وقراءتنا له مخلوقة، والقرآن خير مخلوق.**

قال العلامة القاري في شرحه: قد قال الإمام الأعظم في كتابه الوصية: نقرر بأن كلام الله ووحيه وتنزيله وصفته لا هو ولا غيره بل هو صفته على التحقيق مكتوب في المصاحف مقروء بالألسن محفوظ في الصدور غير حال فيها،

والحروف والحركة والكاغد والكتابة كلها مخلوقة؛ لأنها أفعال العباد، وكلام الله سبحانه وتعالى غير مخلوق لأن الكتابة والحروف والكلمات والآيات كلها آله القرآن لحاجة العباد إليها، وكلام الله تعالى قائم بذاته ومعناه مفهوم بهذه الأشياء؛ فمما قال بأن كلام الله تعالى مخلوق فهو كافر بالله العظيم، ثم قال العلامة القاري: وقال فخر الإسلام قد صرح عن أبي يوسف رحمه الله تعالى أنه قال: ما ظرت أبا حنيفة رحمه الله تعالى في مسألة خلق القرآن فاتفق رأيي ورأيه على أن من قال بخلق القرآن فهو كافر، وصرح هذا القول أيضًا عن محمد رحمه الله تعالى، وقال رضي الله تعالى عنه في الفقه الأكبر أيضًا: وما ذكره الله تعالى في القرآن عن موسى وغيره من الأنبياء عليهم السلام فإن ذلك كله كلام الله تعالى إخبارًا عنهم، وكلام الله تعالى غير مخلوق، وكلام موسى وغيره من المخلوقين مخلوق، وقال أيضًا بفاصلة يسيرة بعده: ويتكلم لا كلامًا ونحن نتكلم بالآلات والحروف، والله يتكلم بلا آلة وحروف، والحروف مخلوقة، وكلام الله تعالى غير مخلوق، قال العلامة القاري تحت: بل قديم بالذات.

قال الطحاوي: فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وأوعده بسقر حيث قال الله تعالى: ﴿مَأْصِلُهُ سَفَرٌ﴾^(١) فلما أوعده الله بسقر لمن قال: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾^(٢) علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر ولا يشبه قول البشر - انتهى.

وقال شارحه: قد افترق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال، ثم نقل المذاهب التسعة عن شارح عقيدة الطحاوي، وقال بعدما نقل المذهب التاسع -

(١) المذخر: ٢٦.

(٢) المذخر: ٢٥.

وهو أنه تعالى لم يرل متكلّمًا إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم بصوت يسمع، وإن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديمًا - انتهى؛ إن هذا يؤيد ما قدمناه انتهى، يشير إلى ما قل قبل هذا بأن كلام الطحاوي يرد قول من قال: إنه معنى واحد لا يتصور سماعه منه، وأن المسموع المنزل المقروء المكتوب ليس بكلام الله وإنما هو عبارة.

ثم قال العلامة القاري: وهذا - يعني المذهب التاسع - المأثور عن أئمة الحديث والسنة، ولعل تكرار هذه المسألة في تأليف الإمام لكمال الاهتمام في مقام المرام - انتهى، وحقق رحمه الله تعالى هذا البحث وفصله ونختمه بقوله: وبالحملة فأهل السنة كلهم من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم من السلف والخلف - رحمهم الله - متفقون على أن القرآن غير مخلوق، ولكن بعد ذلك تنازع المتأخرون في أن كلام الله هل هو معنى واحد قائم بالذات أو أنه حروف وأصوات، تكلم الله بعد أن لم يكن متكلّمًا أو أنه لم يرل متكلّمًا إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وأن نوع الكلام قديم، وهو مختص بالإمام والطحاوي، والتزاع بين أهل القبلة إنما هو في كونه مخلوقًا خلقه الله أو هو كلامه الذي تكلم به وقام بذاته - انتهى كلام القاري عليه الرحمة من الله الباري.

وقد صرح في (سيف السنة الرفيعة) أيضًا أن المذهب التاسع الذي نقلناه من شرح الفقه الأكبر للعلامة القاري هو مأثور عن أئمة السنة والحديث، ثم إطلاق الحنفية كلهم على عدم خلق القرآن، وعلى تقيح قائل الخلق - كما يظهر من كتبهم الكلامية - ينبغي أن يضم إلى كلام الإمام في هذه المسألة؛ فإنه يفيد قوة فوق قوة ويزيد علمًا إلى علم؛ لأنهم يدينون الله تعالى في الأصول والفروع بأقواله المستمدة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ويقاتلون بسيفه.

هذا وما جراً الواضعين والمختارين على وضع تلك الروايات ونسبتها إلى

الأشعري هو الفتنة التي وقعت بمدينة بيسابور قاعدة بلاد خراسان إذ ذاك في العلم وصارت سبباً لخروج إمام الحرمين والحافظ البيهقي والأستاذ أبي القاسم القشيري من بيسابور وآلت إلى أن صيقت الدثرة من مرام مذهب الأشعري بسوء كما قال العلامة تاج الدين ابن السبكي في طبقاته الكبرى في ترجمة الأشعري: كان سلطان الوقت إذ ذاك السلطان طغرل ملك السلجوقي وكان رجلاً حنفياً مسيئاً حيزاً عادلاً محباً لأهل العلم من كبار الملوك وعظماهم، وهو أول ملوك السلجوقية، وكان يصرم الإنس والجنس، وهو الذي أرسل الشريف ناصر الدين بن^(١) إسماعيل رسولاً إلى ملكة الروم فاستأذنها بالصلاة في جامع القسطنطينية جماعة يوم الجمعة، فصل وحطب للإمام القائم بأمر الله، وتمهدت البلاد لطغرل بك، وسمت نعشة بحيث وصل أمره إلى أن سير إلى الخليفة القائم يحطبه استه، وذلك إلى ذلك الرمان مقدم مهول، فشق ذلك على الخليفة واستعفى ثم لم يجد مدداً من ذلك لعظمة طغرل بك، وكونه ملكاً قاهرًا لا يطاق لمزوجه بها.

وقدم بغداد في سنة خمس وخمسين وأربعمائة وأرسل يطلبها، وحمل مائة ألف دينار برسم نقل جهازها فعمل العرس في صفر بدار المملكة، وأجلست على سرير ملبس بالذهب، ودخل السلطان وقبل الأرض بين يديها ولم يكشف البرقع عن وجهها إذ ذاك، وقدم لها تحفاً وخدماء، وانصرف مسروراً.

وكان لهذا السلطان وزير سوء وهو الوزير أبو نصر منصور بن محمد الكندري كان معتزلياً رافضياً خبيث العقيدة لم يلب أن أحداً جمع له من خبيث العقيدة ما اجتمع له؛ فإنه على ما ذكر كان يقول بخلق الأفعال وغيره من قبائح

(١) في الطبقات: ناصر بن إسماعيل

القدرية، وسب الشيعيين وسائر لصحابة وغير ذلك من قبائح أشرار الروافض وتشييه الله بحدقه، وغير ذلك من قبائح الكرامية، وكان له مع ذلك تعصب عظيم، وانضم إلى كل هذا أن رئيس ابلند أباسهل الموفق^(١) -الذي سذكر إن شاء الله ترجمته في الطبقة الرابعة- كان محمداً جواداً ذا أموال جزيلة وصداقات دائمة وهبات هائلة رسماً وهب ألف دينار لسائل، وكان مرموقاً بالوزارة، وداره مجتمع العلماء وملئى الأئمة من المبرقين الخفية والشافعية في داره يتناظرون وعلى سماطه يلتقون، وكان عارفاً بأصول الدين على مذهب الأشعري قائماً في ذلك مناظلاً في اللب منه، فعمم ذلك على الكندري لما في نفسه من المذهب، ومن بقص ابن الموفق بحصومة^(٢) وحشية منه أن يشب على الوزارة، فحسن للسلطان لمن المبتدعة على المنابر.

فبعد ذلك أمر السلطان بلعن المبتدعة على المنابر فاتخذ الكندري ذلك ذريعة إلى ذكر الأشعرية، وصار يقصد بهم بالإهانة والأذى والمنع عن الوعظ والتدريس وعزلهم عن خطبة الجامع، واستعان بطائفة من المعتزلة الذين رعموا أنهم يقلدون مذهب أبي حنيفة أشربوا في قلوبهم فصائح القدرية، واتخذوا للمذهب بالمذهب الخنفي مباحاً عليهم، فحببوا^(٣) إلى السلطان الإزراء بمذهب الشافعي عموماً والأشعرية خصوصاً.

وهي هذه الفتنة التي طار شررها فعلاً الأفاق وطال ضررها فشمل خراسان والشام والحجاز إلى آخر ما قال، ثم ذكر كتاب الیهقي إلى حميد الملك وفيه: قالقوا إلى سمعه- أي سمع طغرل بك المذكور- ما فيه مسامة أهل السنة والجماعة

(١) الطبقات ابن الموفق

(٢) الطبقات بحصومه.

(٣) الطبقات: فحسوا.

كافة ومصيبتهم عامة من الحنفية والمالكية والشافعية الذين لا يذهبون في التعطيل
مذاهب المعتزلة، ولا يسلكون في التشبيه طرق لمحسنة إلح، ثم قال: وكأنه خفي
عليه - أدام الله عمره - حال شيخنا أبي الحسن الأشعري رحمه الله وما يرجع إليه من
شرف الأصل وكبر المحل في العلم والفصل وكثرة الأصحاب من الحنفية
والمالكية والشافعية الذين رغبوا في علم الأصول وأحبوا معرفة دلائل المعقول.

ثم قال: إلى أن بلغت التوبة إلى شيخنا أبي الحسن الأشعري فلم يحدث في دين
الله حدثاً ولم يأت فيه ببدعة بل أخذ أقاويل الصحابة والتابعين ومن بعدهم من
الأئمة في أصول الدين فصرها بزيادة شرح وتبيين، وأن ما قالوا وجاء به الشرع
في الأصول صحيح في العقول بخلاف ما رعم أهل الأهواء من أن بعضه لا
يستقيم في الآراء، فكان في بيانه وثباته ما لم يبدل عليه أهل السنة والجماعة،
ونصرة أقاويل من مضي من الأئمة كابي حنيفة وسفيان الثوري من الكوفة،
والأوراضي وغيره من أهل الشام ومالك والشافعي من أهل الحرمين ومن نحا
نحوهما من أهل الحجاز وغيرهم من سائر البلاد - إلخ.

ثم نقل رسالة الفشيرى المسماة بلاشكابة أهل السنة بحكاية ما نالهم من
المحنة) أي في هذه الفتنة كتبها الفشيرى إلى البلاد، ووافق الفشيرى على هذه
الرسالة جم من العلماء وكتبوا عليها، منهم القاضي الدامغانى من الحنفية، وفي
آخر هذه الرسالة: ولما ظهر ابتلاء هذه الفتنة ببسببور، وانتشر في الأفاق خبره
وعظم على قلوب كافة المسلمين من أهل السنة والجماعة أثره لم يعد أن يخامر
قلوب أهل السنة توهم في بعض هذه المسائل لعل أبا الحسن علي بن إسماعيل
الأشعري رحمه الله عليه قال ببعض هذه المقالات في بعض كتبه، ولقد قيل: (من
يسمع يخل) أثبتنا هذه الفصول في شرح هذه الحالة، وأوضحنا صورة الأمر
بذكر هذه الجملة ليضرب كل أهل السنة إذا وقف عليها بسهمه إلى آخر ما قال:

اعلم أن الروافض لا زال قصدهم تعريق جمع أهل السنة وكسر شوكتهم وإزالة دولتهم، ورثوه من إمامهم اليهودي المنافق المتسلم المؤسس المؤصل لحدهم ابن مسأ المتعلم من أبي شبيب بن المعلم الذي أراد التعريق بين المسلمين مكيدة ووصوسته لما رأى عرثهم وشركتهم، ورأى ذلة اليهود ومهانتهم حتى صار رجالهم عبيداً وسأؤهم إماء تخدمهم؛ فزخرف هذا المذهب وروّجه على الجهلة من العجم والعرب

ولما كان الله حافظاً لدينه وناصرًا لأهله ما أعقب كيدهم إلا الذلة والخيبة لهم، وإلا الهوان والكرب وما رادوا إلا التبع والصب، صرب الله عليهم الذلة والمسكة وباءوا بنصب الكندري السوء أقام هذه الفتنة لدسيسته الخبيثة الرافضية؛ فأوسعت للفتنة الطاغية معتزلة كانت أو رافضية مجالاً للهنان والعرية؛ فالعالم أنهم افتروا هذه الروايات الخفوها في الإبانة التي هي آخر كتب الأشعري كي تدوم بينهم الفرق ولا تروى فإن آخر الكلام يكون عليه اللزام، ولكن الله حفظ دينه وأقام من كل جانب عاده العلماء حتى بذلوا جهدهم وصرفوا وسعهم في الدب عن الأشعري قدوة هذه الأمة - كما سبق ذكره - فتنه أهل السنة لذلك وأعادوا على الكندري فتنته الوقحة والمصيبة وأحاطت عليه منها الرزية والبلية.

وقول القشيري في رسالته السابق ذكرها بأنه لما ظهر ابتداء هذه الفتنة بنيسابور، وانتشر في الأعاق حبره إلى آخر ما قال؛ وقد ذكرناه تنبيهاً ونصيحة منه لكافة أهل السنة حتى لا يظنوا بالإمام الأشعري سوءاً إذا وجدوا أمراً يوهم السوء في حقه، ويتأملوا إلى شأنه الأرفع أولاً، وإلى أصحابه السالكين على مسلكه الشريف من الخفية والشافعية والمالكية والفضلاء من قدماء الحنابلة ثانياً؛ فإن الأمرين يكفيان لنفي الذمائم عنه وإثبات المدائح له، فيجب علينا أهل

السنة الوقوف على هذا التنبية والصيحة، واعتقد أن هذه الروايات مفتراة على الأشعري موضوع ملحقة في كتابه (الإبانة)

وحيث أتينا بفضل الله تعالى بما يوضح ظلمة متن هذه الروايات وإبطالها بحيث لا يشك معه العاقل في مطلابها نتكلم الآن فيما يتعلق بسندها، وإن كان فيها ذكرًا غيبي من النظر في السد لأن الأصل المقصود هو المنز، والسد دريعة للوصول إليه، فإذا بطل أصل المقصود بالذات لم يكن للدريعة اعتبار حتى ينظر إليها إثباتًا ونفيًا، ولكن نتكلم فيه تكميليًا بسلام وتكميلًا للمقام على مجرى عادتهم وعمر دأبهم، فبحث أولاً عن سد الروايات الواقعة في (الإبانة) ونقول: إن الرواية الأولى في سندها انقطاع؛ فإن هارون مات بعد خمسين ومائتين، وولد الأشعري سنة ستين ومائتين؛ فليس للأشعري الراوي معاصرًا لهارون المروي عنه؛ فحذف الراوي الذي روى للأشعري عن هارون، وهذا القسم مردود عند المحدثين لا يقبلونه، وقد بحكم بطلته إذا عرف أنه جاء مسمى من وجه آخر ذكره الحافظ ابن حجر في شرح نخبة الفكر، وما جاء بهذه الرواية بوجه آخر سمي فيه المحذوف فتصير الرواية مردودة ساقطة من جهة السند أيضًا، وإنما جعل هذا القسم مردودًا للجهل بحال المحذوف ذكره الحافظ ابن حجر أيضًا، هذا حال مبدأ السند

وأما هارون بن إسحاق نفسه فتمة ذكره ابن حبان في كتاب (الثقات) فقال: هارون بن إسحاق بن محمد بن مالك بن زيد الحمداي أبو القاسم من أهل الكوفة يروي عن وكيع وعبيدة بن سليمان حدثنا عنه عمر بن سعيد بن سنان وغيره، مات بعد الخمسين والمائتين^(١) - انتهى.

(١) الثقات (٩/ ٢٤١).

وفي (خلاصة تذهيب تذهيب الكمال في أسماء الرجال) إنه عن ابن عيينة والمعتز
وخلق، وعنه البخاري في حرة القراءة له والترمذي في جامعه والبيهقي في مسنده
ووثقه وابن ماجه في مسنده قال معين. مات سنة ثمان وخمسين ومائتين. انتهى.

والمعجب أن هارون بن إسحاق مع كونه معروف الرواية عن وكيع يروي
عن أبي نعيم هذا، ووكيع يشع أبا حنيفة رحمه الله تعالى ويعني بقوله، ويكفر قائل
الخلق، قال الذهبي في (تذكرة الحفاظ) في ترجمة وكيع: وقال يحيى: ما رأيت
أفضل منه، يقوم الليل، ويسرد انصوم، ويعني بقول أبي حنيفة^(١).

ثم قال الذهبي: وروى أبو هشام وغيره عن وكيع قال: من زعم أن القرآن
مخلوق فقد كفر^(٢)، أفتصور من فصل وكيع في الدين وورعه في الشريعة أن
يكفر قائل الخلق ثم يشع قائله ويعني بقوله؟ لا يتصور من مثل هذا الرجل مثل
هذا الأمر الذي يعيد عليه الدم أبدًا، وحيث اتبعه وكان يعني بقوله، وذكر الأئمة
هذا الإفتاء والاتباع في مقام المدح له يظهر أن الإمام ما كان قائلًا بالخلق، وأنه
كان ثابتًا محققًا عند وكيع، ويتبعه أن لا يعلم هارون هذا فإن هارون ثقة ووكيع
شيخه المعروف، والرواية لاسيما إذا كانت نقابًا أيقاظًا يكون لهم علم بحال
شيوخهم قضا وقصيصًا وبقيرًا وقطميرًا، وخصوصًا إذا كانوا يسكنون في بلد
واحد؛ فهارون كوفي ووكيع شيخه كوفي، واتباع وكيع لأبي حنيفة بإتائه بقوله
كان ظاهرًا مستمرًا

واللازم من كل ذلك أن يعلم هارون من شيخه وكيع أن الإمام ما كان قائلًا
بالخلق فكيف يتصور أن لا يذكره، ويروي عن أبي نعيم الذي لا يعرف له سماع

(١) تذكرة الحفاظ (١/٣٠٧).

(٢) تذكرة الحفاظ (١/٣٠٨-٣٠٩).

وخرار بن صرد الطحان الكوفي الراوي عن إبراهيم بن سعد مات سنة تسع وعشرين ومائتين ليس بثقة، فما ذكره ابن حبان في كتاب (الثقات): قال الذهبي

(۳) میزان الاعتدال (۲ / ۵۹۵).

في ميزانه^(١)؛ صرار بن صرد أبو نعيم الطحان عن إبراهيم بن سعد قال أبو عبدالله البخاري وغيره متروك، وقال يحيى بن معين: كذابان بالكوفة هذا وأبو نعيم النخعي، ثم ساق حديثه ثم قال بروي عنه مطين وجماعة، قال السائي: ليس بثقة، وقال أبو حاتم صدوق لا يحتج به، وقال الدارقطني: ضعيف، وهكذا في (تهذيب التهذيب الكمال)^(٢) لحافظ ابن حجر فإنه نقل فيه جرحه عن أئمة الحديث بالتفصيل. وفصل بن دكين الكوفي عن الأعمش وزكريا بن أبي زائدة وجمعه بن برقان وأدع بن حميد وحلق، وعنه البخاري وأحمد وإسحاق ويحيى بن معين وحلق، قال أحمد: ثقة يقظان عارف بالحديث، وقال الفسوي. أجمع أصحابنا على أن أبا نعيم كان في غيبة الإنتقال، قال يعقوب بن شيبة مات سنة تسع عشرة ومائتين كذا في (حلاصة تهذيب التهذيب الكمال)

فأبو نعيم كنية هؤلاء الثلاثة؛ فإن كان الراوي هارون هو الأول فهو متكلم فيه مختلف في شأنه؛ هذا أحمد بن حنبل رئيس المحدثين يقول فيه: ليس بشيء، وهذا يحيى المتبسط الخبير البصير أثبت الحجة الرجال الجوال القافز من الجانب الشرقي إلى الجانب العربي يرميه بالكذب، ويسميه الكذاب، وهذا ابن عدي المحدث الجليل يقول: إن عامة ما يرويه لا يتابع عليه، وابن حبان مع توثيقه يعترف بأنه يخطئ.

ولعمري إن كان أبو نعيم هذا هو الراوي لهذه الرواية فيتأكد جرحه ويظهر كذبه ويتضح نكارة الرواية نكارة فيها فصيحة له ولباحة عليه؛ فإنك لا تجد أحداً تابع عليها بل تجد جملة من الروايات تكذبها.

(١) ميران الاعتدال (٢/ ٣٢٧-٣٢٨)

(٢) تهذيب التهذيب (٤/ ٤٠٠).

يز في مشارق الأرض ومعاربها وطُف في أفاصي الأرض وأكتافها فانظر هل تجد أحداً يتابعها؟ ألا من شدَّ كَبَّهُ الله في النار، وأحله دار البوار، وليس بشيء من الاعتبار، وليس له في شذوده من قرار، يستقر عليه أمره ويدار

هذا ومن قواعدهم تقديم الخرج على التعديل لاسيما إذا كان الجرح مفسراً مبيّناً، وإن كان المعدلون أكثر، وقد وجد ههنا كل هذا؛ فإن الخرج مفسر مبين لخطائهم ومكارة مروياتهم، والجراحون أكثر فسقط روايتهم خصوصاً على قول ابن عدي: إن عامة ما يرويه لا يتابع عليه، ومع كل ذلك فما ذكروا صريحاً أن هارون سماعاً أو رواية عن أبي نعيم هذا غير ما قاله ابن حبان: إن الكوفيين رووا عن عبد الرحمن بن هانئ عن أبي نعيم؛ فهذا يشق الاحتمال بأن هارون لعله سمع من أبي نعيم ولكن لا يفيد القطع، ولا بد من القطع في مثل هذا المقام المهور؛ فجهل اللقاء بينهما، وإن كان الثاني فهو ليس بثقة كما سبق ذكره - بل قدح فيه الأئمة الذين وقع بهم القدوة في هذا الفن، وتختلف في قدحه عارثهم فأردا ما قيل فيه. إنه كذاب، وقد سبقَتْ كلها فلا نعيمها.

وأيضاً لا يعلم أن هارون سماعاً أم لا، غير ما تحتمله معاصرته وهو احتمال محض، وإن كان الثالث فهو حافظ ثقة يروي كثيراً عن الإمام أبي حنيفة، كما قاله الحافظ الخوارزمي في (جامع المسابيد)، وهو من كبار شيوخ البخاري ومسلم، ولم يرو أحدهما منه نفسه أن الإمام كان يقول بخلق القرآن؛ فإذا كان أبو نعيم هذا يروي عن الإمام، وكان البخاري ومسلم يرويان عنه فيبعد أن يروي عن سليمان وهو يروي عن سفيان ولا يروي عن الإمام نفسه، وأن يروي عنه البخاري بالواسطة ولا يروي عنه نفسه، وأيضاً ليس هارون سماعاً معروف من أبي نعيم هذا غير ما تحتمله المعاصرة

وأما أبو نعيم عن سليمان بن عيسى القاري عن سفيان الثوري؛ فسليمان

اثنان: أحدهما ابن عيسى بن نجيج السجزي، وثانيهما ابن عيسى بن موسى، والثاني ثقة ذكره ابن حبان في (الثقات)^(١) فقال: سليمان بن عيسى يروي عن جده موسى بن طلحة عن علي روى عنه يحيى بن سعيد الأموي، والأول مقذوح مجروح، قال الذهبي: سليمان بن عيسى بن نجيج السجزي عن ابن عون وغيره هالك، قال الخوارجي كذاب مصرح، وقال أبو حاتم: كذاب، وقال ابن هدي: يضع الحديث^(٢)، فهذا متفق على جرحه بأردأ ما يكون

هذا أبو حاتم بن حبان يكذبه؛ فما علم أن سليمان الواقع في هذه الرواية أي سليمان، وأيا من كان مما يعرف لأبي يعيم سواء كان عبدالرحمن بن هاشم أو ضرار بن مرد أو فصل بن ذكوان سماع منه

وأما سماع سليمان من سفيان فيعلم مما ذكره الذهبي أن لسليمان بن عيسى بن نجيج سماعة من سفيان، قال الذهبي في تربيته^(٣): وله عن سفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة فساق حديثه، وأما سليمان بن عيسى بن موسى الثقة فيما عرف له السماع من سفيان، فإن كان سليمان هذا ذاك الهالك الواضع فردّه ظاهر، وإن كان ذاك الثقة فهو في منتهى السد، والمنتهى موقوف على المبدأ، ومبدأ السند قد علمت حاله.

وأما سفيان الثوري القائل: إنه قال لي حماد بن أبي سليمان: بلغ أبا حنيفة المشرك أني مت بريء، فهو وإن كان ثقة ثبّتاً حجة إلا أن قدحه في الإمام وسوء قوله فيه لا يقبل أصلاً؛ لأنه من معاصري الإمام وأقرانه، وقدح الأقران والمعاصرين بعضهم بعضاً لا يقبل، صرح بذلك غير واحد من الأئمة منهم:

(١) الثقات لابن حبان (٦/ ٣٩٤).

(٢) ميران الاعتدال (٢/ ٢١٨).

(٣) ميزان الاعتدال (٢/ ٢١٨-٢١٩).

التاح السككي في طبقاته الكبرى فإنه صرح فيها أنه لا يقلل كلام الثوري وعبره في أبي حنيفة ولا يلتفت إليه، وهذا كلام على وضع المقام؛ لأن المقام مقام البحث عن السند وإلا فالثوري ثبت عنه التركيبة البيعة للإمام، وهو ينقص هذه الرواية ويهدم بنيتها، وقد ذكرناه فأرجع وتذكر.

وما هنا أعجوبة أخرى وهي أن حماد بن أبي سليمان الفاضل لسفيان بلع أبا حنيفة هو شيخ إمامنا أبي حنيفة العماني، وقد ثبت ما يدل على غاية الموافقة الدائمة ونهاية المؤازرة المستمرة بينهما.

قال الحافظ محمد بن محمود الخوارزمي في (جامع المسديد) للإمام الأعظم في ذكر حماد بن أبي سليمان هو أستاذ أبي حنيفة رحمه الله إلى آخر عمره وأحد عنه الفقه، وقال علي المروزي العالي مقام في شرح مسند الإمام: وكان - أي حماد - يقول: ربما اتهمت رأيي برأي أبي حنيفة وأقول بقوله، وفي نسخة انتهت رأيي برأي أبي حنيفة وأقوال بقوله، فهذا غاية موافقة منه مع الإمام، ونهاية محبة منه له، وفي هذه الرواية ما يدل على غاية المتابعة بينهما، والموافقة بينهما هي المعروف المشهور المعلوم عندهم، ولو كانت بينهما مسافة ولو بعير الوجه المذكور في هذه الرواية لعرفت ولرويت، وقد ذكر الذهبي حماداً هذا في (ميران الاحتفال)^(١) وقال: روى عنه سفيان وشعبة وأبو حنيفة وخنيس.

والدولابي في (الكشي) فقال في ذكر من كسبه أبو إسحاق: حماد بن أبي سليمان الفقيه أستاذ أبي حنيفة الفقيه، وحماد بن زيد البصري، وحماد بن عمار السعدي، وحماد بن نافع - إلى آخر ما قال وما ذكر، أما يوجد منه مناهجها مع أن المسافة الواقعة بين الأستاذ والتلميذ تذكر في موضع يذكر أحدهما وينسب بتعلمه

(١) ميران الاحتفال (١/ ٥٩٥).

وأحده إلى الآخر إن كان المذكور أحدًا، وتلميذًا لعير المذكور؛ أو بمشيحة له إن كان المذكور شيخًا لعير المذكور لأن هذه تسمى يدكروها لشهرتها المشعرة للارتباط بين المشاهير؛ فإذا كانت المسافة التي هي مصادرة للارم من هذه النسبة واقعة مستقرة - كما هي مقتضى هذه الرواية - صارت مقابلة للمشهرة الحاصلة من تلك السنة ومساوية لها، فذكروها وما تركوها، إذا لم يدكروا المسافة بقيت هذه السببة على أصلها، والأصل فيها هو إشعارها بالموافقة والمرافقة والمحنة والمؤاساة ثم هذا السند أنى من مدله إلى محتمله على أصعب صيغ الأداء المحتمل للسمع وغيره وهو ذكر (وعن) كما ذكره الحافظ ابن حجر في (سنة الفكر في مصطلحات أهل الحديث والأثر) هذا خلاصة الكلام في سد الرواية الأولى من روايات الإبانة

وأما الرواية الثانية - وهي (ذكر سفيان بن وكيع) قال سمعت عمر بن حماد بن أبي حيفة إلخ، فمدارها على سفيان بن وكيع، وهو ليس بمعاصر للأشعري لأنه مات سنة سبع وأربعين ومائتين ذكره الذهبي عن ابن حبان - ففيه الانقطاع أيضًا فلا يدرى من هو بين الأشعري وبين سفيان بن وكيع؛ فالرواية ساقطة مردودة، وهكذا الرواية الثالثة وهي ذكر هارون بن إسحاق قال: سمعت إسماعيل بن أبي الحكم يذكر إلخ

وأما الرواية الرابعة وهي: ذكر عن أبي يوسف قال: ناظرت إلخ ففيه الانقطاع الكامل الموجب للرد والإسقاط؛ لأنه حذف السند من الأشعري إلى أبي يوسف كنه

وأما سفيان بن وكيع وهو سفيان بن وكيع بن الحراح أبو محمد الرواسي، قال الذهبي: قال البخاري: يتكلمون فيه لأشياء لقوه إياها، وقال أبو زرعة: يتهم بالكذب، وقال ابن أبي حاتم: أشد رأي عليه أن يغير وراقه فإنه أفسد حديثه،

وقال له: لا تحدث إلا من أصولك، فقال سأفعل ثم تمادى وحدث بأحاديث أدخلت عليه، وقد ساق له أبو أحمد خمسة أحاديث مكررة السند لا المتن، ثم قال: وله حديث كثير، وإنما بلاؤه أنه كان يتلقى يقال كان له ورّاق يلقنه من حديث موقوف فيرفعه أو مرسل يوصيه أو يبدل رجلاً برجل، وقال ابن حبان: مات سنة سبع وأربعين ومائتين، وكان شيخاً عاصلاً صدوقاً إلا أنه انتلي سوراق سوء كان يدخل عليه فكُتِّم في ذلك فلم يرجع.

قلت: وتلقنه أيضاً يوجب سقوط رواية هذا.

ثم العجب أن والده وكعب بن الحراح يتبع أنا حبيبة ومعتقده وهو يروي في أبي حبيبة خلاف ما كان يعتقد فيه أبوه؛ فإن الأقرب في الأبناء أن يعتمدوا على آبائهم ويبتطلوا ما كان خلاف أقوالهم ومعتقداتهم؛ فبعد من سفيان أن يروي هذا ولا يعتمد على ما كان يعتقد أبوه في الإمام مع أنه يروي عن أبيه، كما ذكره الحافظ ابن حجر في (تهذيب التهذيب) ^(١) اللهم إلا أن يكون هذا من ملقه السوء، وأما عمر بن حماد بن أبي حبيبة فذكره العلامة القرشي في (الجواهر المصية في طبقات الحنفية) فقال: عمر بن حماد بن أبي حبيبة روى عن أبيه إسماعيل قوله: أنا إسماعيل بن حماد بن أبي حبيبة ثم قال: تفقه على أبيه حماد.

قلت: يبعد غاية البعد أن يروي عمر عن أبيه هكذا ولا يرويه عنه أحوه إسماعيل - رحمه الله تعالى - فإن إسماعيل رحمه الله تعالى من كبار الفقهاء وعشائيرهم روى عنه كثير من الأعيان، فعلم رواية إسماعيل لهذه الرواية بل عدم وجدان شمة من معاصها فيما نقلوا عنه يوضح أن هذه الرواية موضوعة على عمر - قبح الله واصعها - كيف وقد ثبت عن عمر بن حماد بن أبي حبيبة ما

(١) تهذيب التهذيب (٤/ ١٠٩)

يناقض هذه الرواية المروية عنه بقصصاً ظاهرة.

قال في (مفتاح السعادة) في المطلب الرابع الذي بين فيه مذهب الإمام في أصول الدين: قال عمر بن حماد بن أبي حبيبة - رحمه الله - أقمت عند مالك مدة فلما أردت الرجوع قلت لعل بعض الحساد ذكروا حدي عندك هل خلاف ما كان عليه فأذكر لك مذهبه فإن رصيت هناك وإلا فعطني، قلت: كان لا يجرح أحداً من الإيमान بذنب، قال: أصاب، قلت: وإن أصاب العواحي، قال: أصاب، قلت: وكان لا يكفر قاتل النفس، قال: أصاب فمن قل غير هذا فقد أخطأ.

قال بلعي أنه كان يقول: إيمان مثل بيان جبرئيل، قلت: بلغك الباطل، كان يقول: إن الله تعالى بعث جبرئيل إلى النبي ﷺ كما بعثه إلى من قبله؛ فأمره أن يذهب الناس إلى الإيमान إيمان واحد لا إيمانان أو ثلاثة، ولا إيمان هذا وإقرار هذا غير إيمان هذا وإقرار ذاك، فبلى كالأصفي به ولم يقل شيئاً، قلت: وكان يتكرر الشك في الإيमान، قال: وما الشك به؟ قلت: عندما أقوام لا يقولون: أنا مؤمن حتى يستشي إيمانه أو يقول أحدهم لا أدري أنا مؤمن أم لا، فأنكره وقال من يقول هذا - انتهى

فذهب عمر بن حماد رضي الله تعالى عنه عن جده، ويؤيد ما كان عليه من الطريقة المستقيمة في الدين، وذكر في سبب بيان مذهبه لما لك رضي الله تعالى عنه أنه لعل بعض الحساد ذكروا حدي عندك هل خلاف ما كان عليه؛ فأذكر لك مذهبه؛ فإن كان الحساد اتهموا الإمام بعقيدة الخلق واقتروا عليه لذكرها ألبتة وما تركها قط، ولما لم يذكر أن الإمام كان قائلاً بالخلق، والموضع موضع ذكر كل ما نسب إلى الإمام وهو بريء منه أو طعن فيه بسببه ولا يعود عليه الطعن بسببه بل هو الحق والصواب وحلله الخطأ والانحراف - ظهر أن هذه العقيدة ما اتهم بها الحساد أيضاً ما وجدوا مجالاً لانتباهها بها واقتروا عليها لكونه مشهوراً

معروفًا بخلافها؛ أفيكون للاستبانة للرؤية عن عمر المذكورة في (الإبانة) قرار بعد هذه الرواية المذكورة في (مفتاح السعادة)

وأما ابن أبي ليلى الذي ذكر في هذه الرؤية أنه استبان الإمام في قوله بالخلق فهو ممن يقع في الإمام نارة ويمدحه أخرى - قاله الحافظ الخوارزمي في (مسنده)، فوسع حده للإمام مجازاً للوضعين فوضعوا الرواية مسبوقة إليه

وأما إسماعيل بن أبي الحكم الواقع في الرواية الثالثة فلا يعرف؛ فإن ابن حبان ذكر إسماعيل بن أبي حكيم الراوي عن سعيد بن المسيب روى عنه مالك وابن إسحاق؛ قال ابن حبان هو مولى عثمان بن عفان عذابه في أهل المدينة، وقيل: هو مولى لآل الربيع يروي عن سعيد بن المسيب روى عنه مالك وابن إسحاق مات سنة ثلاثين ومائة بالمدينة، وليس به إسماعيل بن أبي الحكم، وذكره الحافظ ابن حجر في (تهذيب التهذيب)^(١)

وذكر الذهبي في (ميرانه)^(٢) في ذكر من عرف بأبيه: فقال ابن أبي الحكم الغفاري عن جده عن عم أبيه وأفع قال: كنت غلاماً أرمي بحل الأنصار لا يكاد يعرف، روى عنه معتمر بن سليمان في عدم اسم ابن أبي الحكم هذا الذي ذكره الذهبي؛ فجهل إسماعيل بن أبي الحكم الواقع في هذه الرواية.

وأما عمر بن عبيد الطنافسي فذكره ابن حبان في (ثقافته)^(٣)، والعلامة القرشي في (طبقات الخنمية)، قال ابن حبان عمر بن عبيد الطنافسي الخنمي من أهل الكوفة كنيته أبو حمص، يروي عن أبي إسحاق السيمعي وسماك بن حرب، روى عنه

(١) تهذيب التهذيب (١/٢٥٣).

(٢) ميراث الاعتقال (٤/٥٩١).

(٣) الطبقات لابن حبان (٧/١٨٩).

إسحاق بن إبراهيم الخطلي وأهل العرق، مات سنة سبع وثمانين ومائة، وقال القرشي وله أخ اسمه محمد بن عبيد وثقها الدارقطني، ووثقه الذهبي في (ميراثه)^(١) فقال في ذكر عمر بن عبيد الخزار: أما عمر بن عبيد الله الطافسي فتقة لا جرح فيه.

قلت: لم يذكر هذا عن عمر بن عبيد واحد من الثلاثة المذكورين لا ابن حبان ولا القرشي ولا الذهبي، ولو كان هذا روي عنه لذكره هؤلاء الثلاثة وما حمي عليهم؛ خصوصاً الأول والثالث؛ فهما محدثان مثيقتان ومع ذلك فليسا حثيين، ولعمري الكذب واضح على هذه الرواية فإن عمر بن عبيد حنفي أفتصور منه أن يقلد أبا حنيفة وينسعه مع علمه بعقيدته التي موجبها الترك والمجران، فهي السد انقطاع وجهانة وطاعة.

وأما الرواية الرابعة وهي: ذكر عن أبي يوسف إلح فصر أن فيه انقطاع تام فهي مردودة، مع أنه روى الثقات عن أبي يوسف ما يناقضه ويخالفه - وقد مر - وبالحملة الروايات كلها قد حوتها الظلمة في سندها ومتنها وأحاطتها الغرامة والنكارة؛ فهي مردودة مجهولة منقطعة ساقطة مظلمة.

وإذا تكلمنا في إسناد الروايات الواقعة في (الإبانة) فتكلم الآن في الرواية الواقعة في خلق أفعال العباد للبخاري بتقدير أن لا يكون فيها الإبهام، وإلا فعل ما وجدناها مبهمه فلا يوجه إليه البحث للمجهالة الواقعة فيها فنقول أولاً: إن هذه الرواية ليست مسندة عن البخاري بل التعويل فيها على أحمد بن الحسن فإن كان أحمد بن الحسن هذا هو الذي ذكره ابن حبان في كتاب (الثقات)^(٢) فقال: أحمد بن الحسن بن جندب^(٣) الترمذي صاحب أحمد بن حنبل يروي عن يزيد بن

(١) ميراثه الاعتقال (٢١٣/٣).

(٢) الثقات لابن حبان (٢٧/٨).

(٣) في الثقات، ومهذب التهذيب: «جندب»

هارون ثنا عنه الحسن بن مفيان ومحمد بن إسحاق بن خزيمة وغيرهما، والحافظ ابن حجر في (تهذيب التهذيب)^(١) وصفي الدين في (حلاصة التهذيب) وقالوا: روى عنه البخاري والترمذي فهو الذي ذكره الحافظ الخوارزمي في رد مطاعن الخطيب ناقلًا عن الخطيب.

فقال: وأما قوله حاكمًا عن أحمد بن الحسن الترمذي أنه قال رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقلت له: يا رسول الله ﷺ ما ترى ما فيه الناس من الاختلاف؟ قال: «في أي شيء؟» قلت: فيما بين أبا حنيفة ومالك والشافعي، فقال: «أما أبو حنيفة فلا أعرفه وأما مالك فكتب العلم وأما الشافعي فمني إلي» والجواب عنه من وجهين: أحدهما: أن في منه ما يدل على وجهه وكده؛ لأنه صرح في الحديث أنه يعرض على رسول الله ﷺ أعمال أمته يوم الإثنين والخميس، فكيف لا يعرفه وإنه ﷺ يعرف كل مر وفاجر يعرض أعماله عليه، فكيف لا يعرف أبا حنيفة وأعمال أكثر أمته على مذهبه - إلى آخر ما قال

فأحمد بن الحسن هذا من الطاعنين في الإمام فلا يعتمد على روايته التي موجهها الجرح في الإمام، ثم لو كان أحمد بن الحسن هذا يروي ذلك بسنده لذكره الخطيب ألبتة، كيف وقد حكى عنه ما يوجب الطعن في الإمام، وإذا ظهر من أحمد بن الحسن روياء الموجبة لطعه فيظهرها بالضرورة لأنها يشتركان في الطعن، لاسيما إذا اطلع عليها البخاري فلا يتصور قط أن يخفى مثل هذه الرواية على الخطيب، وهذا من أقوى الأدلة على كذب الرواية، وعلى أنه ما ذكرها البخاري في (كتاب خلق الأعمال).

وأيضًا لا يجيء من مثل أحمد بن الحسن المتكلم بما يوجب الطعن في الإمام

بعد أن ثبت عنه من رؤياه الطعن في الإمام أن يهيم، وأما سماعه من أبي نعيم فيما عرف، ومع كل ذلك فيبعد من لتحري بعد كونه يروي عن أحمد بن الحسن هذا أن لا يروي عنه بصيغة التحديث من يروي عنه بصيغة تحتمل السماعي وغيره، وإن كان غيره فلأما أن يكون أحمد بن الحسن من خرائج الخراساني الخدادي ذكره في (التهذيب) (١) و(خلاصة تذهيب التهذيب)، وقال في (خلاصة التذهيب): إنه يروي عن أبي نعيم وطبقته وثقه الخطيب مات سنة اثنتين وأربعين ومائتين عن مئتين سنة إلا عشرين يوماً، وقال ابن حجر في (تهذيب التهذيب) قلت وذكره ابن حبان في الثقات

أقول: ليس أحمد بن الحسن هذا من رجال البخاري في شيء من كتبه بل روى عن مسلم والترمذي كما هو في (تهذيب التهذيب) و(خلاصة التذهيب) فلا اعتبار بروايته إن كان أحمد بن الحسن الواقع في خلق الأفعال هو لاسيما إذا نقل عنه البخاري بصيغة ضعيفة محتملة للسمع وغيره، وهو لفظ: قال، وإما أن يكون غيره، وليس لغيرهما ذكر في نكتب المصنفة في الرجال.

وأما الكلام فيمن وقع بعد أحمد بن الحسن إلى صفيان فقد سبق الكلام فيهم، ولم يقع أحمد بن الحسن في غير هذا الموضع من كتاب خلق الأفعال ثم هذه الروايات كلها معارضة بالروايات الصحيحة التي رواها ثقات وبلغت التواتر - وقد مر ذكرها - فتكون مردودة لأن هذه الروايات وأهيات ساقطات منقطعات فلا تصلح لأن تعارض تلك الروايات المحكمات الصحيحة المتصلات؛ لأن القوي لا تؤثر فيه مخالفة الضعيف قاله الحافظ ابن حجر في (شرح نخبه المعكر في مصطلح أهل الأثر) في بحث المقبول من الخبر إذا عورض؛ فإذا كان الضعيف

الذي له أصل لا يؤثر في القوى ولا يعارصه فيما ظنك بهذه الروايات التي آثار
الوصع عليها لائحة وأمارات الافتراء فيها واصله، فالحمد لله الذي أبان الحق
ودمغ الباطل، فجاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً.

سبحانك يا ذا الجلال والإكرام



مرکز تحقیقات کتابخانه ملی و اسناد ملی

رمّالة

لأبي القاسم عبد الملك بن عيسى بن درياس

في الذب عن أبي الحسن الأشعري

رحمهم الله تعالى



مرکز تحقیقات و توسعه در مطالعات اسلامی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال أبو القاسم عبد الملك بن عيسى بن درياس:

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى، وخص نبينا محمدا وآله منه بالصيب الأوفى.

أما بعد: فاعلموا معشر الإخوان - وفقنا الله وإياكم للدين القويم، وهدانا أحسين للصراط المستقيم - بأن كتاب (الإسنة عن أصول الديانة) الذي ألفه الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري هو الذي استقر عليه أمره فيما كان يعتقد، وما كان يدين الله سبحانه وتعالى بعد رجوعه عن الاعتزال بمن الله ولطفه، وكل مقالة تنسب إليه الآن بما يخالف ما فيه فقد رجع عنها وتبرأ إلى الله سبحانه منها كيف وقد نص فيه على أنه ديانته التي يدين الله سبحانه بها، وروى وأثبت ديانة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث الماضين وقول أحمد بن حنبل رضي الله عنهم أجمعين، وأنه ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله فهل يسوغ أن يقال: إنه رجع عنه إلى غيره فإلى ماذا يرجع؟ أمراء يرجع عن كتاب الله وسنة نبي الله خلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون وأئمة الحديث المرضيون، وقد علم أنه مذهبهم ورواه عنهم؟ هذا لعمرى ما لا يليق بسبته إلى عوام المسلمين كيف بأئمة الدين، أو هل يقال: إنه جهل الأمر في بقده عن السلف الماضين مع إفنائه حل عمره في استقرار المذاهب وتعرف الديانات، هذا مما لا يتوهمه مصنف ولا يزعمه إلا مكابر مسرف، ويكفيه معرفته بتمه أنه على غير شيء.

وقد ذكر الكتاب واعتمد عليه وأئسته عن الإمام أبي الحسن رحمه الله عليه، وأئسى عليه بما ذكره فيه وبرأه من كل بدعة سست إليه، ونقل منه إلى تصنيفه جماعة من الأئمة الأعلام من فقهاء الإسلام وأئمة القراء وحفاظ الحديث وغيرهم.

منهم الإمام العقبة الحافظ أبو بكر البيهقي صاحب التصانيف المشهورة والعضائل الماثورة اعتمد عليه في كتاب الاعتقاد له، وحكى عنه في مواضع منه ولم يذكر من تأليفه سواه، فقال في باب القول في القرآن^(١): «ما أبانا الإمام الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر بقراءتي عليه قال: أبا أبو عبدالله محمد بن الفضل بن أحمد الفراوي الصاعدي قرأته عليه أبا الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي» قال: وقد حكى عن الشافعي رحمه الله ما دل على أن ما تلووه من القرآن بالسنة ونسبناه بأدانتنا ونكتبه في مصاحفنا كلام الله، قال: وبمعناه ذكره أيضاً علي بن إسماعيل يعني أبا الحسن الأشعري رحمه الله عليه في كتاب (الإبانة)، ثم قال: وقال أبو الحسن علي بن إسماعيل رحمه الله عليه في كتابه:

«إِنْ قَالَ قَائِلٌ حَدَّثُونَا، أُنْقُلُونَا، إِنْ كَلَامَ اللَّهِ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ؟ قِيلَ لَهُ: نَقُولُ ذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾^(٢) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ^(٣)» فالقرآن في اللوح المحفوظ، وهو في صدور الذين أوتوا العلم قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾^(٤)، وهو متلو بالأسنة قال الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾^(٥) فالقرآن مكتوب في الحقيقة محفوظ في صدورنا في الحقيقة متلو بالسنة في الحقيقة مسموع لنا في الحقيقة كما قال الله تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾^(٥). هذا آخر ما حكاه البيهقي عن كتاب (الإبانة)، وقال

(١) الاعتقاد (ص ١٠٨-١٠٩).

(٢) البروج: ٢١-٢٢.

(٣) العنكبوت: ٤٩.

(٤) القيامة: ١٦.

(٥) التوبة: ٦.

اليهقي أيضًا في أول هذا الدب بعد احتجاجه بآيات وغيرها مما هو مذكور في كتاب (الإبانة) فقال: وقد احتج علي بن إسماعيل بهذه المصنوع^(١).

ومهم الإمام الحافظ أبو العباس أحمد بن ثابت العراقي، فإنه قال في بيان مسألة الاستواء من تأليفه ما أحربا به: أبا الإمام الحافظ أبو العباس أحمد بن ثابت قال: رأيت هؤلاء الخهمية يتمون في عبي العرش وتأويل الاستواء إلى أبي الحسن الأشعري، وما هذا بأول باطل ادعوه وكذب تعدونه، فقد قرأت في كتابه الموسوم بـ (الإبانة عن أصول الديانة) أدلة من حلة ما ذكرته على إثبات الاستواء، وقد في جملة ذلك: ومن دعاء أهل الإسلام جميعًا إلههم رعو إلى الله تعالى في الأمر البار لهم يقولون: يا ساكن العرش، ثم قال: ومن حلقهم حيف قولهم. لا والذي احتجب بسبع سموات - هذا آخر ما حكاه، وفي (الإبانة) كما ذكره.

ومنهم الإمام الأستاذ الحافظ أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد الصابري، فإنه قال: ما أنبأني به الشيخ الخليل أبو محمد القاسم ابن الإمام الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر الشافعي بيت القلم - حرمه الله - سنة ست وسبعين وخمسة قال: أنبأني أبي قال: سمعت الشيخ أبا بكر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن بشار البوشنجي المعروف بالخربوي العقيبه الزاهد أراه يحكي عن بعض شيوخه أن الإمام أبا عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد الصابري النيسابوري ما كان يخرج إلى مجلس درسه إلا بيده كتاب (الإبانة) لأبي الحسن الأشعري ويظهر الإعجاب به ويقول: ما الذي يكر على من هذا الكتاب شرح مذهبه.

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر عقب هذه الحكاية: فهذا قول الإمام أبي

عثمان وهو من أعيان أهل الأثر بحراسان^(١).

ومهم إمام القراء أبو علي الحسن بن عبي بن إبراهيم النعماني فإنه قال ما أنبأني به الإمام الحافظ أبو طاهر السلفي عن أبي الحسن المبارك بن عبد الجبار بن أبي علي الصيرفي، وأخبرنا أبو الحسن عبي بن إبراهيم وفاطمة بنت الحافظ سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاريان قالا: أنانا الإمام أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم المقرئ، وذكر الإمام أبو الحسن الأشعري رحمة الله عليه فقال: وله كتاب في السنة سماه كتاب (الإبانة) صنفه بغداد لما دخلها، قال: وله مسألة في الإيمان أنه غير مخلوق، قلت أنا: وهذه المسألة قد ذكرها الحافظ أبو القاسم بن عساكر أثبتها عنه، وهي عندنا من رواية الإمام الحافظ أبي طاهر السلفي، ولم يقع لي شيء من تأليف أبي الحسن بالرواية المتصلة إكبه سواها.

ومهم الإمام الفقيه أبو الفتح نصر المقدسي رحمه الله، قال وجدت كتاب (الإبانة) في كتبه ببيت المقدس - حرسه الله، ورأيت في بعض تاليفه في الأصول فصولاً منها بخطه. ومنهم الإمام الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر، فإنه قال في كتاب (تبيين كذب المفتري على أبي الحسن الأشعري)^(٢) راداً على من رعم أن أبو الحسن لم يكن يدين الله تعالى بما ذكره في كتاب الإبانة فقال: ما أنبأني به إبه الشيخ الجليل أبو محمد القاسم أباً أبي الله قال: وما ذكره - يعني الراعم ما تقدم في كتاب (الإبانة) - فقول بعيد من قول أهل الديانة كيف يصنف في العلم كتاباً مجلده وقولاً يقول بصحة ما فيه ولا يعتقد بل هم - يعني المحققين من الأشعرية - يعتقدون ما فيها أشد اعتقاد

(١) تبيين كذب المفتري (ص ٣٨٩).

(٢) تبيين كذب المفتري (ص ٣٨٨-٣٨٩).

ويعتمدون عليها أشد اعتماد؛ فإنهم بحمد الله ليسوا معتزلة ولا نفاة لصفات الله معطلة، لكنهم يثبتون له سبحانه ما أثبتته لنفسه من الصفات، ويصفونه بما اتصف به في محكم الآيات، وما وصفه به نبيه ﷺ في صحيح الروايات قال: «ولم يزل كتاب الإبانة مستصوباً عند أهل الديانة»، ثم حكى ما حكيناه عن الأستاذ أبي عثمان الصابوني.

وقال في موضع آخر من كتابه هذا. فإذا كان أبو الحسن كما ذكر عنه من حسن الاعتقاد مستصوب المذهب عند أهل المعرفة بالعلم والانتقاد يوافقه في أكثر ما يذهب إليه أكابر العباد، ولا يقدح في معتقده غير أهل الجهل والعناد، فلا بد أن نحكي عنه معتقده على وجهه بالأمانة ونجتنب أن نزيد فيه أو ننقص منه تركاً للخيانة؛ لتعلم حقيقة حاله في صحة عقيدته في أصول الديانة، فاسمع ما ذكره في أول كتابه الذي سماه بالإبانة فإنه قال: الحمد لله، ثم استمر الحافظ أبو القاسم رحمه الله في إيراد الكلام على نصه وقصه من أوله إلى باب الكلام في إثبات الرؤية لله ﷻ بالأبصار في الآخرة حرفاً حرفاً كما شرط^(١). ثم قال عقيب ذلك: فتأملوا - رحمكم الله - هذا الاعتقاد ما أوصحه وأبينه، واعترفوا بفضل هذا الإمام العادل الذي شرحه وبينه، وانظروا سهولة لفظه مما أفصحه وأحسه، وكونوا ممن قال الله فيهم: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾^(٢)، وينسوا فضل أبي الحسن، واعترفوا بإضافه واسمعوها وصحة لأحمد بالفضل واعترفوا، لتعلموا أنها كانا في الاعتقاد متفقين وفي أصول الدين ومذهب السنة غير مفترقين، ولم تزل الحنابلة في بغداد في قديم الدهر على عمر الأوقات يعتقدون بالأشعرية حتى

(١) تبين كذب المفتري (ص ١٥٢-١٦٠)

(٢) الزمر: ١٨.

حدث الاختلاف في زمن أبي نصر بن القشيري ووزارة النظام ووقع بينهم الانحراف من بعضهم عن بعض لاحتلال النظم^(١).

ومنهم الفقيه أبو المعالي عجي صاحب كتاب الدخائر في الفقه فقد أنبأني عير واحد عن الحافظ أبي محمد المارك بن علي البغدادي ونقلته أنا من خطه في آخر كتاب الإبانة قال نقلت هذا الكتاب جميعه من نسخة كنت مع الشيخ الفقيه محلي الشافعي أخرجها إلي في مجلد فنقلتها وعارضت بها، وكان ثلاثة يعتمد عليها وعن ما ذكره فيها، ويقول: لله من صفه، وبأظر على ذلك لم يكسره، وذكر ذلك لي وشافهني به، وقال: هذا مذهبي وإليه أذهب - فرحنا الله وإياه، نقلت ذلك في سنة أربعين وخمسمائة بمكة - حرسها الله: هذا آخر ما نقلته من خط ابن الطباخ رحمه الله.

ومنهم الحافظ أبو محمد بن علي البغدادي ترمي مكة - حرسها الله - فلما شاهدت نسخة كتاب الإبانة بخطه من أوله إلى آخره، وفي آخره بخطه ما تقدم ذكره آنفاً، وهي بيد شيخنا الإمام رئيس العلماء لفقيه الحافظ العلامة أبي الحسن بن المفضل المقدسي، ونسخت منها نسخة، وقدمتها عليها بعد أن كنت كتبت نسخة أخرى مما وجدته في كتاب الإمام نصر المقدسي بيت المقدس - حرسه الله.

ولقد عرضها بعض أصحابنا على عظيم من عظماء الجهمية المتعين افتراء إلى أبي الحسن الأشعري بيت المقدس فأنكرها وجعلها وقال: ما سمعنا بها قط ولا هي من تصنيفه، واجتهد آخرًا في إعمال رؤيته ليزيل الشبهة بقطته، فقال بعد تحريك لحيته: لعله ألها لما كان حشويًا فما دريت من أي أمره أعجب: أم من جهله بالكتاب مع شهرته وكثرة من ذكره في التصانيف من العلماء، أو من جهله بحال شيخه الذي يفترى عليه بسمته إليه واشتغاره قبل توبته بالاعتزال بين

(١) نيس كذب المفتري (ص ١٦٣).

الامة عالمها وجاهلها، وشبهت أمره في ذلك بحكاية أسانها الإمام أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي الحافظ رحمه الله قال: أسأ^(١)

فإذا كانوا بحال من يتمون إليه بهذه ائمة فكيف يكونون بحال السلف الماصين وأئمة الدين من الصحابة والتابعين وأعلام الفقهاء والمحدثين، وهم لا يلوون على كتبهم ولا ينظرون في آثارهم، هم والله بذلك أجهل وأجهل، كيف لا، وقد قنع أحدهم بكتاب الله بعض من يتمي إلى أبي الحسن بمجرد دعواه وهو في الحقيقة مخالف لمقالة أبي الحسن التي يرجع إليها، واعتمد في تدينه عليها، قد ذهب صاحب التأليف إلى المقالة الأولى، وكان خلاف ذلك أخرى به وأولى لتستمر القاعدة وتصير الكلمة واحدة

والحمد لله رب العالمين، وهو حبينا ونعم الركيل.



(١) يباشر في الأصل بقدر أربعة أسطر.



کتابخانه

رسالة

ذم التأويل

للإمام الهمام شيخ الإسلام
العلامة صاحب التصانيف الجامعة
موفق الدين أبي عبد الله بن أحمد بن
محمد بن قدامة المقدسي
المتوفى سنة ٦٢٠ هـ
قدس الله روحه ونور قبره آمين



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
(وبه المستعان، وعليه التكلان)

الحمد لله عالم الغيب والشهادة، نافع القضاء والإرادة، المتفرد بتدبير الإشاء والإعادة، وتقدير الشقاء والسعادة، خلق طريقاً للاختلاف وفريقاً للعبادة، وقسم المنزلين بين الفريقين: للذين أساءوا والسوءى، وللذين أحسنوا الحسنى وزيادة، وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى وآله صلاة يشرف بها معاده.

(أما بعد) فإنني أحببت أن أذكر مذهب السلف من الصحابة ومن اتبعهم بإحسان - رحمة الله عليهم - في أسماء الله تعالى وصفاته، ليسلك سبيلهم من أحب الاقتداء بهم، والكون معهم في الدار الآخرة، إذ كان كل تابع في الدنيا مع متبوعه في الآخرة ومالك حيث سلك موعوداً بما وعد به متبوعه من خير أو شر، دل على هذا قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْمُتَجَرِّبِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة ١٠٠]، وقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِحْسَانٍ إِنَّا هَمُّنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور ٢١] وقال حاكباً عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَمَنْ تَوَعَّى فَلَئَهُ مِثْلِي﴾ [إبراهيم ٣٦] وقال في ضد ذلك: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولِيهِ مَا يَوَلَّى﴾ [الباء ١١٥] وقال تعالى: ﴿يَتْلُوا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخِذُوا بِالْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ يَتَوَلَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [المائدة ٥١] وقال: ﴿فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِشَيْءٍ﴾ [٥٢] يَفْقَدُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود ٩٧، ٩٨] فجعلهم اتباعاً له في الآخرة إلى النار حين اتبعوه في الدنيا.

وحاء في الخبر: أن الله يمثل لكل قوم ما كانوا يعبدون في الدنيا من حجر أو شجر أو شمس أو قمر أو غير ذلك ثم يقول: «أليس عدلاً مني أن أولي كل إنسان ما كان يتولاه في الدنيا؟» ثم يقول: «اتبع كل أمة ما كانت تعبد في الدنيا؛ فيتبعونهم حتى يهونهم»^(١)؛ فكنلك كل من اتبع إماماً في الدنيا في سنة أو بدعة أو

(١) بأن يسقطوهم في الجحيم، أخرجه بحره الغراري في المعجم الأوسط (١/ ٣٢) رقم (٨١) من حديث أبي موسى الأشعري. قال في مجمع الرواة (١٠/ ٣٤٣): وفيه قرأتين السائب وهو ضعيف.

خير أو شر كان معه في الآخرة؛ فمن أحب الكون مع السلف في الآخرة، وأن يكون موعودًا بما وعدوا به من الخيرات والرضوان فليستهم بإحسان، ومن اتبع غير سبيلهم دخل في عموم قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولِيهِ مَا تَوَلَّى﴾ [النساء ١١٥] الآية.

وجعلت هذا الكتاب على ثلاثة أبواب

(الباب الأول) في بيان مذهبهم وسبيلهم

(والثاني) في الحث على اتباعهم ولزوم أثرهم.

(والثالث) صواب ما صاروا إليه، وأن الحق فيها كانوا عليه، ونسأل الله تعالى أن يهدينا وسائر المسلمين إلى صراطه المستقيم، ويجعلنا وإياهم من ورثة جنة النعيم برحمته آمين.



الباب الأول

في بيان مذهب السلف وسيلهم

في بيان مذهبهم في صفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه في كتابه وتنزيله أو على لسان رسوله من غير زيادة عليها ولا نقص منها ولا تجاوز لها ولا تفسير لها ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها، ولا تشبيه بصفات المخلوقين ولا سمات المحدثين، بل أمرؤها كما جاءت وردوا علمها إلى قائلها، ومعناها إلى المتكلم بها. وقال بعضهم - ويروى ذلك عن الشافعي رحمه الله عليه: آمنت بما جاء عن الله على مراد الله، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ، وعلموا أن المتكلم بها صادق لا شك في صدقه فصدقوه ولم يعلموا حقيقة معانيها^(١) فسكتوا عما لم يعلموه، وأخذ ذلك الآخر عن الأول ووصى بعضهم بعضًا بحسن الانساع والوقوف حيث وقف أولهم، وحذروا من التجاور لهم والعدول عن طرقهم، وبينوا لهم سيلهم ومذهبهم ونرجحوا أن يجعلنا الله تعالى ممن اقتلدى بهم في بيان ما بيروه، وسلوك الطريق الذي سلكوه.

والدليل أن مذهبهم ما ذكرناه أنهم نقلوا إلیا القرآن العظيم وأخبار رسول الله ﷺ نقل مصدق لها مؤمن بها قابل لها غير مرتاب فيها ولا شاك في صدق قائلها ولم يفسروا ما يتعلق بالصفات منها ولا تأولوه ولا شبهوه بصفات المخلوقين؛ إذ لو فعلوا شيئًا من ذلك لنقل عنهم ولم يجوز أن يكتف بالكلية إذ لا يجوز التواطؤ^(٢) على كتمان ما يحتاج إلى نقله ومعرفة، لجريان ذلك في القبح مجرى التواطؤ على نقل الكذب وفعل ما لا يحل بأبلغ من مبالغتهم في السكوت عن هذا:

إنهم كانوا إذا رأوا من يسأل عن التشابه بالغوا في كفه تارة بالقول العنيف وتارة بالضرب وتارة بالإعراض الدال على شدة الكراهة لمسألته؛ ولذلك لما بلغ عمر رضي الله عنه أن صبيغًا يسأل عن التشابه أعد له عراجين النخل، فبينما عمر يخطب

(١) المراد بحقيقة معناه كنهه وكيميته في الخارج لا أصل المعنى اللغوي بدليل قولهم "الاستواء معلوم والكيف مجهول" وفي رواية الاستواء غير مجهول، وتراها في الصفحة التالية عن مالك، وتجد فيها بعدها أن مذهبهم إجراؤها على ظاهرها أي ظاهر معناها اللغوي ونفي التشبيه والكيفية عنها.

(٢) التواطؤ معناه التوافق

قام فسأله عن ﴿وَالَّذِينَ يَرْمِزُونَ﴾ فَتَحَمَلْتِ وَقَرَأَ [الذاريات: ١، ٢] (١) وما بعدها، فنزل عمر فقال: ما اسمك؟ قل أنا عبد الله صبيغ، قال عمر: وأنا عبد الله عمر، اكشف رأسك فكشعه فرأى عليه شعرا فقال: لو وجدتكَ مخلوقا لضربت الذي فيه عيبك بالسيف، ثم أمر به فصرب ضربا شديدا وبعث به إلى البصرة وأمرهم أن لا يجالسوه، فكان به كالبعير الأجرب لا يأتي مجلسا إلا قالوا: عزمة أمير المؤمنين، فنفروا عنه، حتى تاب وحلف بالله ما بقي مما كان يجد في نفسه شيء، فأذن عمر في مجالسته، فلما خرجت الخوارج أتى فقييل له: هذا وقتك، فقال: لا، فبعتني موعظة العبد الصالح.

ولما مثل مالك بن أس بن فقييل له: يا أبا عبد الله ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه ٥] كيف استوى؟ فأطرق مالك وعلاه الرخصاء - يعني العرق وانتظر القوم ما يجيء منه فيه، فرفع رأسه إليه وقال: الاستواء غير معقول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، وأحسبك رجلا سورا، وأمر به فأخرج.

وقد نقل عن جماعة منهم الأمر بالكف عن الكلام في هذا وإمرار أخبار الصفات كما جاءت، ونقل جماعة من الأئمة أن مذهبهم مثل ما حكينا عنهم أخبرنا الشيخ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن القور، حدثنا أبو بكر أحمد بن علي بن الحسن الطريثي [ذنا قال أخبرنا ابن القاسم هبة الله بن الحسن الطبري قال حدثنا أحمد بن محمد بن حفص، حدثنا أحمد بن محمد بن المسلمة حدثنا سهل بن عثمان بن سهل قال سمعت إبراهيم بن المهدي يقول: سمعت داود بن طلحة يقول: سمعت عبد الله بن أبي حنيفة الدوسي يقول: سمعت محمد بن الحسن يقول: اتفق المفهاء كلهم من الشرق إلى الغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفات الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر شيئا من ذلك فقد خرج عما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة، فإسهم لم يصموا ولم يفسروا، ولكن آمنوا بما

(١) الذاريات ذروا هي الرياح، والحاملات وقرا هي السحب التي تحمل ثقلا من الماء. قال الحافظ ابن كثير: وإنما ضرب به لأنه ظهر له من أمره نيا يأل نعمت وعدا.

في الكتاب والسنة ثم سكتوا، فمن قال بقول حهم فقد فارق الجماعة لأنه وصمه بصفة لا شيء، وقال محمد بن الحسن في الأحاديث التي جاءت «إن الله يهبط إلى سماء الدنيا»^(١) ونحو هذا من الأحاديث إن هذه الأحاديث قد روتها الثقات فحسن نرويا ونؤمن بها ولا نفسرها.

أخبرنا المبارك بن علي الصيرفي إذنا، أنبا أبو الحسن محمد بن مرزوق بن عبدالرزاق الزعفراني، أبا الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب قال: أما الكلام في الصفات فإن ما روي منها في السنن الصحاح: مذهب السلف رضي الله عنهم إثباتها وإجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها، والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، ويحتذى في ذلك حدوده ومثاله، فإذا كان معلوما أن إثبات رب العالمين عز وجل إسمها هو إثبات وجوده، لا إثبات تحديد وتكييف، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجوده لا إثبات تحديد وتكييف؛ فإذا قلنا: الله تعالى يد وسمع وبصر فلما هو إثبات صفات أثبتنا الله تعالى نفسه، ولا نقول: إن معنى اليد القدرة، ولا أن معنى السمع والبصر العلم^(٢)، ولا نقول: إنها جوارح ولا مشبهها بالأيدي والأسباع والأبصار التي هي جوارح وأدوات العمل، ونقول: إنما وجب إثباتها لأن التوقيف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنها لقوله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وقوله عز وجل: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ سَكُنًا أَحَدٌ﴾ [الإعلاص: ٤].

أخبرنا محمد بن حمزة بن أبي الصقر قال أنبا أبو الحسن علي بن أحمد بن منصور بن قيس الغساني أنبا أبي قال قال أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن

(١) أخرجه هذا اللفظ اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٤٤٩)، وأخرجه البحاري (كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿يُتَذَكَّرُ أَنْ يُبْذَلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِهِ﴾ (٧٤٩٤) بلفظ: «يسر»، وفي (كتاب: الدعوات، باب: الدعاء بصف النبي) (٦٣٢١) بلفظ: «يشزل».

(٢) أي العلم بكل شيء لأن العلم صفة أخرى وهو ليس كعلم المخلوق - ولا العلم بجميع الموجودات كما قال بعض المتكلمين لأن هذا محكم لا دليل عليه من اللغة ولا من الشرع، وإنما يتعلق السمع بالمسموعات والبصر بالمبصرات، فهو تعالى يسمع دعاءنا وتجاوزنا وتناجينا ويرى فواتنا وما يعرض لها وغير ذلك كما قال تعالى في المجادلة للهي ﷻ في روجها: ﴿وَأَلَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوَرَكُنَّ إِنَّ أَلَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

الصابوني قال: إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة يعرفون ربهم تبارك وتعالى بصفاته التي نطق بها كتابه وتريته وشهد له بها رسوله على ما وردت به الأخبار الصحاح ونقله العدول الثقات، ولا يعتقدون تشبيها لصفاته بصفات خلقه، ولا يكيفون بها تكيف المشبهة ولا يحرفون الكلم عن مواضعه تحريف المعتزلة والجهمية، وقد أعاد الله أهل السنة من التحريف والتكيف، ومن عليهم بالتفهيم والتعريف، حتى سلكوا سبيل التوحيد والتنزيه، وتركوا القول بالتعطيل والنسب، واتبعوا قوله عز من قائل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى ١١].

وذكر الصابوني العقهاء السبعة^(١) ومن بعدهم من الأئمة وسمى خلقا كثيرا من الأئمة وقال: كلهم متفقون لم يخالف بعضهم بعضا، ولم يثبت عن واحد منهم ما يصاد ما ذكرناه.

أخبرنا الشريف أبو العباس مسعود بن عبد الواحد بن مطر الهاشمي قال أنبا الحافظ أبو العلاء صاعد بن يسار الهروي أنبا أبو الحسن علي بن محمد الحرجاني أنبا أبو القاسم حمزة بن يوسف البسهمي، أنبا أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي قال أعلموا رحما الله ولياكم أن مذهب أهل الحديث أهل السنة والجماعة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وقبول ما نطق به كتاب الله تعالى وصحت به الرواية عن رسول الله ﷺ لا معدل عما ورد به ولا سبيل إلى رده، إذ كانوا مأمورين باتباع الكتاب والسنة، مضمونا لهم الهدى فيها، مشهودا لهم بأن نبينهم ﷺ يهدي إلى صراط مستقيم، محذرين في محالته الفتنة والعذاب الأليم.

ويعتقدون أن الله تعالى مدعو بأسمائه الحسنى وموصوف بصفاته التي سمي ووصف بها نفسه ووصفه بها بيبه ﷺ، خلق آدم بيده، و﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِثُ كَوْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤] بلا اعتقاد كيف، وأنه عز وجل: ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] بلا كيف؛ فإن الله تعالى أنهى^(٢) إلى أنه ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ ولم

(١) هم عبيد الله بن عبد الله وابن عتبة بن مسعود، وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمد، وسعيد

ابن المسيب، وأبو بكر بن عبد الرحمن، وسفيان بن يسار، وحارثة بن زيد.

(٢) يقال أنهى إليه الخبر إذا أعلمه به، وأصله أوصله حتى انتهى إليه. ولعله قد سقط من هنا المجرور بلى وأن أصله أنهى بلى بيبه أو إلى صاده أنه استوى على العرش.

يذكر كيف كان استواره.

وقال يحيى بن عمار في رسالته. نحن وأئمتنا من أصحاب الحديث - وذكر الأئمة وعد كثيرًا منهم ومن قلهم من الصحابة ومن بعدهم - لا يستحل أحد منا ممن تقدم أو تأخر أن يتكلف أو يقصد إلى قول من عده في الصلوات أو في تفسير كتاب الله عز وجل أو معاني حديث رسول الله ﷺ أو زيادة على ما في النص أو نقصان، ولا يغلوا ولا يشبه ولا تريد على ما في الكتاب والسنة.

وقال الإمام محمد بن إسحاق بن حزيمة إن لأخباري صفات الله موافقة لكتاب الله تعالى نقلها الخلف عن السلف قرناً بعد قرن من لدن الصحابة والتابعين إلى عصرنا هذا على سبيل الصدقات لله تعالى والمعرفة والإيمان به والتسليم لما أخبر الله تعالى في تنزيله وبه الرسول ﷺ عن كتابه مع اجتناب التأويل والجحود وترك التمثيل والتكييف.

أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أحمد أنبأ أبو بكر الطرثوشي إحصاء أنبأ أبو القاسم هبة الله أبي محمد بن أحمد بن سعيد أنبأ محمد بن الحسن أبي أحمد بن زهير حدثنا عبد الوهاب بن نجدة الحواطمي ثنا بقية ثنا الأوزاعي قال كان الأوزاعي ومكحول يقولان. أمرؤا هذه الأحاديث كما جاءت

قال أبو القاسم حدثنا محمد بن رزق الله، ثنا عثمان بن أحمد، ثنا عيسى بن موسى، قال: سمعت أبي يقول: سمعت سفيان بن عيينة يقول: كل ما وصف الله تعالى به نفسه في القرآن فقراءته تفسيره ولا كيف ولا مثل، وعن أحمد بن نصر أنه سأل سفيان بن عيينة فقال: حديث عبد الله ﷺ «إِنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَاءَ عَلَى إصْبَعٍ»^(١) وحديث «إِنَّ قُلُوبَ الْعِبَادِ بَيْنَ إصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ»^(٢) «وإِنَّ اللَّهَ يَعْجِبُ أَوْ يَضْحَكُ مَنْ يَذْكُرُهُ فِي الْأَسْوَاقِ»^(٣) وإنه عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا كل

(١) أخرجه البخاري في كتاب. تفسير القرآن، باب قوله «وَمَا تَدْرُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى قَدْرِمَةٍ» (٤٨١١).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: القدر، باب: تعريف الله تعالى القلوب كيف شاء (٢٦٥٤).

(٣) أخرجه بهذا اللفظ ابن بطّة في الإبانة الكبرى (٢٥٠٦) عن أبي صالح الحنفي.

ليلة»^(١) ونحو هذه الأحاديث فقل: هذه الأحاديث نروها كما جاءت بلا كيف.

وقال أبو بكر الخلال أخبرني أحمد بن محمد بن واصل المقرئ ثنا الهيثم بن خارجة ثنا الوليد بن مسلم قال سألت مالك بن أنس، وسفيان الثوري، والليث بن سعد، والأوزاعي عن الأخبار التي في الصفات فقالوا: أمروها كما جاءت، قال يحيى بن عمار: وهؤلاء أئمة الأمصار: فمالك إمام أهل الحجاز، والثوري إمام أهل العراق، والأوزاعي إمام أهل الشام، والليث إمام أهل مصر والمغرب.

وقال أبو عبيد: ما أدركنا أحدًا يفسر هذه الأحاديث ونحن لا نفكرها، وذكر عباس الدوري قال: سمعت يحيى بن معين يقول: شهدت زكريا بن عدي سأل وكيع بن الجراح فقال: يا أبا سفيان هذه الأحاديث - يعني مثل «الكرسي موضع القدمين» فقال: أدركنا إسماعيل بن أبي خالد وسفيان ومسلم بن عمار يحدثون هذه الأحاديث ولا يفسرون شيئًا قال أبو عمرو بن عبد البر: روي عن مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، والأوزاعي، ومعمّر بن راشد في أحاديث الصفات أنهم كلهم قالوا: أمروها كما جاءت قال رجل من فقهاء المدينة: إن الله تبارك وتعالى علم علما علمه العباد، وعلم علما لم يعلمه العباد فمن يطلب العلم الذي لم يعلمه العباد لم يزد منه إلا بعدا، والقدر منه^(٢)

وقال سعيد بن جبير: ما لم يعرفه البصريون فليس من الدين، قال أبو عمر: ما جاء عن النبي ﷺ من نقل الثقات أو جاء عن الصحابة رضي الله عنهم فهو علم يدان به، وما أحدث بعدهم ولم يكر له أصل فيها جاء منهم سلم له ولم يناظر فيه كما لم يناظروا فيه.

وقال أبو بكر الخلال أخبرنا المروزي قال: سألت أبا عبد الله عن أخبار الصفات فقال: نمرها كما جاءت. قال: وأخبرني علي بن عيسى أن حنبلا حدثهم قال: سألت أبا عبد الله^(٣) عن الأحاديث التي تروي «إن الله تبارك تعالى

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الجمعة، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل (١١٤٥)، وفي كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى «يُرْسِلُ السَّيْلَ لِيَكُونَ لَكُمْ لَبَدٌ كَالْأَنْهَارِ» (٧٤٩٤)، ومسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة (٧٥٨).

(٢) أي أن القدر من علم الدين الذي لم يعلمه الله تعالى بعباد فهم لا يعلمون ما قدره تعالى إلا بعد وقوعه.

(٣) يحيى والده الإمام أحمد.

ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا^(١) وإن الله بضع قصه^(٢) وما أشبهه فقال أبو عبدالله: يؤمن بها وتصدق بها ولا كيف ولا متى ولا يرد منها شيئاً، ويعلم أن ما جاء به الرسول حق إذا كانت بأسايد صحيح ولا يرد على رسول الله ﷺ قوله، ولا يوصف الله تعالى بأكثر مما وصف به نفسه أو وصفه به رسول بلا حد ولا غاية ﴿لَمْ يَلَمْسْ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى ١١] ولا يبلغ الواصفون صفته، وصفاته معه، ولا تتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال، ونصفه كما وصف نفسه، ولا نتعدى ذلك، يؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشاعة شعت

وذكر شيخ الإسلام أبو الحسن علي بن أحمد بن يوسف القرشي الهكاري قال أبا أبو القاسم عبد الله بن الحسن بن محمد بن الخلال حدثنا محمد بن العباس المخلص أنبا أبو بكر بن داود، حدثنا الربيع بن سليمان قال سألت الشافعي رحمه الله عن صفات من صفات الله تعالى فقال ﴿حرام على العقول أن تمثل الله تعالى، وعلى الأوهام أن تحده، وعلى الظنون أن تغط، وعلى النفوس أن تفكر، وعلى الصائتر أن تعمق، وعلى الخواطر أن تحيط وعلى العقول أن تعقل إلا ما وصف به نفسه^(٣) أو على لسان نبيه ﷺ.

وقال يونس بن عبد الأعلى سمعت عبد الله محمد بن إدريس الشافعي يقول: وقد سئل عن صفات الله تعالى وما يؤمن به فقال: لله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه وأحبر بها نبيه ﷺ لا يسمع أحداً من خلق الله تعالى قامت عليه الحجة ردها؛ لأن القرآن نزل بها وصح عن رسول الله ﷺ القول بها، فإن خالف ذلك ثبوت الحجة عليه فهو كافر بالله تعالى، فأما قبل ثبوت الحجة عليه من جهة الخبر فمعذور بالجهل لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالرؤية ولا بالفكر. وقال ابن وضاح: كل من لقيت من أهل السنة يصدق بها الحديث النزول،

(١) سبق تخريجه

(٢) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ (٤٨٤٨)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٢٨٤٦).

(٣) أي في كتابه بدليل العطف بعدم، ولعنها سقطت من النص.

وقال ابن معين: صدق به ولا تصفه، وقال: أقرءوه ولا تحذوه، وروى عن الحسن البصري أنه قال: لقد تكلم مطرف على هذه الأعواد بكلام ما قيل قبله ولا يقال بعده قالوا: وما هو يا أبا سعيد؟ قال: الحمد لله الذي من الإيثار به الجهل بغير ما وصف به نفسه، وقد سحنون: من العلم بالله السكوت عن غير ما وصف به نفسه

أخبرنا أبو الحسن سعد الله بن نصر بن الدجاحي الفقيه قال أبا الإمام الراهد أبو منصور محمد بن أحمد الخطيب أبا طاهر عبد العفار بن محمد بن جعفر أنبا أبو علي بن الصواف أبا بشر بن موسى أبا أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي قال: أصول الستة؛ فذكر أشياء ثم قال: وما ينطق به القرآن والحديث مثل: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَعْلُومَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيَهُمْ﴾ [البقرة ٦٤] ومثل: ﴿وَالسَّعَوَاتُ مَعْلُومَاتٌ بِمَجْمُوعٍ﴾ [الزمر ٦٧] وما أنبأ هذا من القرآن والحديث لا تزيد فيه ولا تفسره ونقف على ما وقف عليه القرآن والستة، ونقول ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه، ٥] ومن زعم غير هذا فهو مبطل جهمي.

أخبرنا يحيى بن محمود إجازة قال أبا جدي الحافظ أبو الفاسم قال: ما جاء في الصفات في كتاب الله أو روي بالأسياد الصحيحة فمذهب السلف رحمهم الله إثباتها وإجراؤها على ظاهرها وبني الكيفية عنها، لأن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، وإثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذاك إثبات الصفات، وعلى هذا مضى السلف كلهم، وقد سبق ذكرنا لقول مالك حين سئل عن كيفية الاستواء.

وروى قرّة بن خالد عن الحسن عن أمه عن أم سلمة أنها قالت في قول الله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان والجحود له كفر، وقال ربيعة بن أبي عبد الرحمن: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة ومن الرسول البلاغ، وعلينا التصديق، وهذه الأقوال الثلاثة متقاربة المعنى واللفظ، ومن المحتمل أن يكون ربيعة ومالك بلغها قول أم سلمة فاقتديا بها وقالوا مثل قولها لصحته وحسنه، وكونه قول إحدى أزواج النبي ﷺ ومن المحتمل أن يكون الله

تعالى وفقهما للصواب وألحمهما من لقول السيد مثل ما ألحمها.
وقولهم: «الاستواء غير مجهول» أي غير مجهول الوجود، لأن الله تعالى أحبر
به، وحبره صدق يقيناً لا يجوز الشك فيه، ولا الارتباب فيه، فكان غير مجهول
لحصول العلم به. وقد روي في بعض الألفاظ: الاستواء معلوم، وقولهم: «الكيف
غير معقول» لأنه لم يرد به توقيف، ولا سبيل إلى معرفته بعير توقيف، والجحود له
كفر لأنه رد لخبر الله، وكفر بكلام الله، ومن كفر بحرف متفق عليه فهو كافر،
فكيف بمن كفر بسبع آيات ورد خبر الله تعالى في سبعة مواضع من كتابه، والإيمان
به واجب لذلك، والسؤال عنه بدعة لأنه سؤال عما لا سبيل إلى علمه ولا يجوز
الكلام فيه، ولم يسبق ذلك في زمن رسول الله ﷺ ولا من بعده من أصحابه؛ فقد
ثبت ما ادعيه في مذهب السلف رحمهم الله بما نقلناه عنهم جملة وتفصيلاً.
واعترف العلماء من أهل النقل كلهم بذلك ولم أعلم عن أحد منهم خلافاً في
هذه المسألة، بل قد بلغني عن بعض السلف إلى التأويل لهذه الأخبار والآيات
الاعتراف بأن مذهب السلف فيها ما قلناه. ورأيت لبعض شيوخهم في كتابه
قال: اختلف أصحابنا في أخبار الصفات فمنهم من أمرها كما جاءت من غير
تفسير ولا تأويل مع نفي التشبيه عنها وهو مذهب السلف؛ فحصل الإجماع على
صحة ما ذكرناه، والحمد لله.





مرکز تحقیقات کتاب و اطلاع رسانی

الباب الثاني

في بيان وجوب اتباعهم والحث
على لزوم مذهبهم وسلوك سبيلهم،
وبيان ذلك من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة

أما الكتاب فقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(١)
[الباء ١١٥] فتوعده على اتباع غير سبيلهم بعذاب جهنم، ووعد متبعهم
بالرصوان والجنة فقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَٰئِكَ مِنْ الْمُتَجَرِّبِينَ وَالْأَنْصَارِ
وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة ١٠٠] الآية
فوعده المتبعين لهم بإحسان بما وعدهم به من رضوانه وجنته والفوز العظيم ومن
السنة قول النبي ﷺ: «عليكم بستي وستة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي
عضوا عليها بالنواجذ»^(٢) وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة
ضلالة»^(٣) فأمر بالتمسك بسنة خلفائه كما أمر بالتمسك بستي، وأخبر أن
المحدثات بدع وضلالة وهو ما لم يتبع فيه سنة رسول الله ﷺ ولا سنة أصحابه،
وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على أمتي ما أتى على
بني إسرائيل حذو النمل بالعمل حتى لو كان فيهم من يأتي أمه هلالية لكان في
أمتي من يفعل ذلك إن بني إسرائيل افرقوا على ثنتين وسبعين فرقة ويزيدون
عليها ملة - وفي رواية وأمتي ثلاثا وسبعين ملة كلها في النار الا واحدة» قالوا: يا
رسول الله من الواحدة؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»^(٤) وفي رواية: «الذي أنا
عليه وأصحابي»^(٥) فأخبر النبي ﷺ أن الفرقة الناجية هي التي تكون على ما كان
عليه هو وأصحابه، فمتبعهم إذا يكون من الفرقة الناجية لأنه على ما هم عليه،
ومخالفهم من الاثنتين والسبعين التي في النار، ولأن من لم يتبع السلف رحمة الله

(١) النواجذ: الأنابيب، وقيل: الأضراس.

(٢) أخرجه بلغظه أبو داود في كتاب: السنة، باب في لزوم السنة (٤٦٠٧)، وأحمد في مسنده، (١٢٦/٤) من حديث العرياض بن سارية.

(٣) أخرجه بلغظه الترمذي في كتاب: الإيمان، باب: ما جاء في احتراق هذه الأمة (٢٦٤١)، وقال: هذا حديث مفسر قريب، والحاكم في المستدرک (٢١٨/١) (٤٤٤) من حديث عبدالله بن عمرو.

(٤) لم أشر على هذه الرواية، ولكن ذكرها اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١٠٠/١).

عليهم وقال في الصفات الواردة في الكتاب والسنة قولاً من تلقاء نفسه لم يسبقه إليه السلف فقد أحدث في الدين واستدع، وقد قال النبي ﷺ: «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»^(١) وروى جابر قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «أما بعد فأحسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة» أخرجه مسلم في صحيحه^(٢)، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد»^(٣) يعني مردود.

وروى عبدالله بن عكيم قال: كان عمر - يعني ابن الخطاب - يقول: إن أصدق القليل قيل الله، ألا وإن أحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة ضلالة، وعن الأسود بن هلال قال: قال عبد الله - يعني ابن مسعود - إن أحسن الهدي هدي محمد ﷺ وإن أحسن الكلام كلام الله، وإنكم مستحدثون وبحدث لكم، وكل محدثة ضلالة وكل ضلالة في النار، وقال عبد الله: اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، وكل بدعة ضلالة، وقال: إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع ولن نضل ما لمسكنا بالأثر، وقال رحمه الله عليه: عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه أن يذهب أهله، وإنكم يستجدون قومًا يزعمون أنهم يدهون إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم فعليكم بالعلم، فإياكم والبدع وإياكم والتنطع وإياكم والتعمق، وعليكم بالعتيق، وقال: أنا لغير الدجال أخوف عليكم من الدجال أمور تكون من كبرائكم، فأياها مرية أو رجيل^(٤) أدركه ذلك الزمان فالسمت الأول السمت الأول فإنا اليوم على السنة.

وقال ابن مسعود: من كان منكم متأسياً فليتنأس بأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم،

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في لزوم السنة (٤٦٠٧)، والسنائي في كتاب صلاة العيدين، باب كيف الخطبة (١٥٧٨)، وأحمد في مسنده (١٢٦/٤).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة، باب تحميم الصلاة والخطبة (٨٦٧) عن جابر بن عبدالله.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب: إذا اصطلموا على صلح جور قال صلح مردود (٢٦٩٧)، ومسلم في كتاب الأفضية، باب: نقص الأحكام الباطلة (١٧١٨) عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) تصغير امرأة ورجل والمراد أن لزوم السمت الأول واجب على كل أحد.

واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدى مستقيمين، وذكر الحسن أصحاب رسول الله ﷺ فقال: إنهم كانوا أرهده الأمة قلوباً وأعماقها علماً وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله عز وجل لصحة سببه ﷺ فنشبهوا بأخلاقهم وطريقهم فإنهم ورب الكعبة على الهدى المستقيمين، وقد إبراهيم: لم يدحر لكم شيء حتى عس القوم لفضل عندكم، وقال حديفة: يا معشر القراء خذوا طريق من قدكم، هو الله لئن استقمتم لقد مستقم سقاً بعيداً، ولن تتركتموه يميناً وشمالاً لقد ضللتكم ضلالاً بعيداً، وروى نوح الخامع قال: كنت لأبي حيفة رحمه الله: ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام في لأعراض والأجسام؟ فقال: مقالات الفلاسفة^(١)، عليك بالأثر وطريقة السلف، وإياك وكل محدثة فإنها بدعة.

أخبرنا علي بن عساكر المقرئ حدثنا الأمير أبو طالب اليوسفي أنبأ أبو إسحاق البرمكي أنبأ أبو بكر بن حبيب أنبأ عمر بن محمد الجوهرى أنبأ الأثرم أنبأ عبد الله بن صالح عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلعة أنه قال: عليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن الله عصمة فإن السنة إليها جعلت عصمة ليستن بها ويقتصر عليها، فإنما سننها من قد علم بها في خلافها من الرلل والخطأ والحمق والتعمق؛ فارض لنفسك بما رضوانه لأنفسهم فإنهم على علم وقفوا، ويبصر نافذ كفوا، ولهم على كشفها كانوا أقوى، وبمصل - لو كان فيها - أخرى، وإنهم لهم السابقون، فلئن كان الهدى ما أنتم عليه لقد مستتموهم إليه، ولئن قلتم حدث حدث بعدهم فما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم، ورعب نفسه عنهم، ولقد وصفوا منه ما يكفي، وتكلموا منه بما يشمي، مما دونهم مقصر، ولا فوقهم محسر، لقد قصر دونهم أناس فجفوا، وطمع آخرون فغلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعل هدى مستقيم

أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي أنبأ أحمد بن أحمد الجلال أنبأ الحافظ أبو نعيم يأسناده عن عمر بن عبد العزيز بنحو من هذا الكلام، وقال الأوزاعي رحمه الله: عليك بآثار من سلف وإب رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوها لك بالقول. وقال أبو إسحاق: سألت الأوزاعي فقال: اصبر نفسك على السنة،

(١) أي هي مقالات الفلاسفة فأعرض عنها، عليك إنح

وقف حيث وقف القوم، وقل بما قدروا وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسلك ما وسعهم، ولزكك هذا - يعني ما حدث من البدع - خيراً مما خصصتم به دون أسلافكم فإنه لم يدحر عنهم خير خبيح لكم دونهم لفضل عندكم، وهم أصحاب رسول الله ﷺ الذين اختارهم الله لصحبة بيه ﷺ وبعثه فيهم ووصيهم به فقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الفتح ٢٩].

وقال الإمام أصول السنة عدد لئتمسك بها كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والافتداء بهم وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وقال علي بن المديني مثل ذلك، وقد ثبت وجوب اتباع سلف الله عليهم بالكتاب والسنة والإجماع، والعبرة دلت عليه فإن السلف لا يحرم من أن يكونوا مصيبين أو مخطئين، فإن كانوا مصيبين وجب اتباعهم لأن اتباع الصواب واجب وركوب الخطأ في الاعتقاد حرام، ولأنهم إذا كانوا مصيبين كانوا على الصراط المستقيم، وغالهم متبع لسبيل الشيطان الهادي إلى صراط الجحيم وقد أمر الله تعالى باتباع سبيله وصراطه ونهى عن اتباع ما سواه فقال: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِمَا لَعَلَّكُمْ تُتَّقُونَ﴾ [الأنعام ١٥٣].

وإن زعم أنهم مخطئون كان قادحاً في الإسلام كله لأنه إن جاز أن يخطئوا في هذا جاز خطؤهم في غيره من الإسلام كله، وينبغي أن لا تنقل الأخبار التي نقلوها، ولا تثبت معجزات النبي ﷺ التي رووها فتبطل الرسالة وتزول الشريعة، ولا يجوز لمسلم أن يقول هذا ولا يعتقد، ولأن السلف رحمة الله عليهم لا يخلو إما أن يكونوا علموا تأويل هذه الصفات أو لم يعلموا، فإن لم يعلموه فكيف علمناه نحن؟ وإن علموه فوسعهم أن يسكتوا عنه وجب أن يسكتوا ما وسعهم، ولأن النبي ﷺ من جملة سلفنا الذين سكتوا عن تفسير الآيات والأخبار التي في الصفات، وهو حجة الله على خلقه أجمعين، يجب عليهم اتباعه ويحرم عليهم خلافه، وقد شهد الله تعالى بأنه على الصراط المستقيم وأنه يهدي إليه، وأن من اتبعه أحبه الله ومن عصاه فقد عصى الله ﴿وَمَنْ يُعْصِ اللَّهَ

وَرَسُولُهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب ٣٦]، «وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَيَتَّقْ حُدُودَهُ يَدْخُلْهُ تَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ» [النساء ١٤].





کتابخانه

الباب الثالث

في بيان أن الصواب

ما ذهب إليه السلف رحمة الله عليهم

بالأدلة الجلية، والحجج المرضية،

وبيان ذلك من الكتاب والسنة والإجماع والمعنى

أما الكتاب فقولہ تعالیٰ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ مِنْهُ أَمْ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [ال عمران ٧] فلم مبتغي تأويل المتشابه وقرنه بمبتغي الفتنة في الدم، ثم أخبر أنه لا يعلم تأويله غير الله تعالى، فإن الوقف الصحيح عند أكثر أهل العلم على قوله: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾، ولا يصح قول من زعم أن الراسخين يعلمون تأويله لوجوه:

(أحدها) أن الله ذم مبتغي التأويل، ولو كان معلوماً للراسخين لكان مبتغيه ممدوحاً غير مذموم.

(الثاني) أن النبي ﷺ قال: ﴿إِنَّمَا رَأَيْتُمُ الظَّالِمِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَلَهُمُ الَّذِينَ عَنِ اللَّهِ فَأَحْذَرُوهُمْ»^(١) يعني كل من اتبع المتشابه فهو من الذين في قلوبهم زيغ، فلو علمه الراسخون لكانوا باتباعه مذمومين زائغين: والآية تدل على مدحهم، والفرق بينهم وبين الذين في قلوبهم زيغ، وهذا تناقض.

(الثالث) أن الآية تدل على أن الناس قسمان لأنه قال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ و«أما» لتعصيل الجمل، فهي دالة على تفصيل فصلين، أحدهما: الزائغون المتبعون للمتشابه، والثاني: الراسخون في العلم، ويجب أن يكون كل قسم مخالفاً للآخر فيما وصف به، فيلزم حيث أن يكون الراسخون مخالفين للزائغين في ترك اتباع المتشابه مفوضين إلى الله تعالى بقولهم: ﴿ءَاْمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [ال عمران ٧] تاركين لابتغاء تأويله، وعلى قولنا يستقيم هذا المعنى، ومن عطف الراسخين في العلم أحل بهذا المعنى، ولم يجعل الراسخين قسماً آخر ولا مخالفين

(١) أخرجه البخاري في كتاب: تفسير القرآن، باب: من آيات محكمات (٤٥٤٧)، ومسلم في كتاب: العلم، باب: النهي عن اتباع متشابه القرآن (٢٦٦٥).

للقسم المذموم فيها وصفوا به فلا يصح

(الرابع) أنه لو أراد العطف لقل: ويقولون بالواو: لأن التقدير: والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون.

(الخامس) أن قولهم: «فَأَمَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ» كلام يشعر بالتعويض والتسليم لما لم يعلموه، لعلمهم بأنه من عند ربهم كما أن للمحكم المعلوم معناه من عنده. (السادس) أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا إذا رأوا من يتبع المشابه ويسأل عنه استدلوا على أنه من أهل الربغ، ولذلك عد عمر صبيعا من الزائغين حتى استحل ضربه وحبسه، وأمر الناس بمجاوبته، ثم أقر صبيغ بعد بصدق عمر في فراسته فتاب وأقلع وانتفع، وعصم بذلك من الخروج مع الخوارج، ولو كان معلوما للراسخين لم يميز ذلك

(السابع) أنه لو كان معلوما للراسخين لوجب أن لا يعلمه غيرهم، لأن الله تعالى نفى علمه عن غيرهم، فلا يجوز حينئذ أن يتأول إلا من ثبت أنه من الراسخين، ويحرم التأويل على العامة كلهم والمتعلمين الذين لم يتهوا إلى درجة الرسوخ، والخصم في هذا يجوز التأويل لكل أحد: فقد حالف النص على كل تقدير فثبت ما ذكرنا من الوحوة أن تأويل المشابه لا يعلمه إلا الله تعالى، وأن متبعه من أهل الزيغ وأنه محرم على كل أحد، ويلزم من هذا أنه يكون ما قيل فيه أنه المجمل أو الذي يغمض علمه على غير العلماء المحققين أو الحروف المقطعة لأن بعض ذلك معلوم لبعض العلماء وبعضه قد تكلم ابن عباس وغيره في تأويله فلم يجر أن يجعل عليه، والله أعلم.

(وأما السنة) فمن وجهين أحدهما قول النبي ﷺ: «شر الأمور محدثاتها»^(١) وهذا من المحدثات فإنه لم يكن في عصر النبي ﷺ ولا عصر أصحابه، وكذلك قوله: «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»^(٢) وقوله: «من قال في القرآن برأيه فقد أخطأ وإن أصاب»^(٣) وهذا قول في القرآن بالرأي، وقوله في الفرقة الناجية:

(١) سبق تخريجه

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه (٢٩٥٢)، وقال: هذا حديث غريب، والطبراني في المعجم الأوسط (٢٠٨/٥) (٥١٠١).

«ما أنا عليه وأصحابي»^(١) مع إخباره أن ما عداها في النار، وقوله عليه السلام: «كل أمر ليس عليه أمرنا فهو ردة»^(٢) وهذا ليس عليه أمره.

(الثاني) أن النبي ﷺ تلا هذه الآيات وأحبر بالأخبار وبلغها أصحابه وأمرهم بتبليغها ولم يفسرها ولا أحبر بتأويلها، ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة بالإجماع، فلو كان لها تأويل لرمه بيانه ولم يجز له تأخيرها، ولأنه عليه السلام لما سكت عن ذلك لرمسا اتباعه في ذلك لأمر الله إيانا باتباعه، وأخبرنا بأن لنا فيه أسوة فقال تعالى: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» [الأحزاب ٢١] ولأنه عليه السلام على صراط الله المستقيم؛ فسالك سبيله سالك صراط الله المستقيم لا محالة، فيجب علينا اتباعه والوقوف حيث وقف، والسكوت عما عنه سكت، لنسلك سبيله فإنه سبيل الله الذي أمرنا الله باتباعه فقال تعالى: «وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ» [الأنعام ١٥٣] ونهى عن اتباع ما سواه فقال: «وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ».

(وأما الإجماع) فإن الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على ترك التأويل بما ذكرنا عنهم، وكذلك أهل كل عصر بعدهم، ولم يغفل التأويل إلا عن مبتدع أو مسوب إلى بدعة، والإجماع حجة قاطعة، فإن الله تعالى لا يجمع أمة محمد عليه السلام على ضلالة، ومن بعدهم من الأئمة قد صرحوا بالنهي عن التفسير والتأويل، وأمروا بإمرار هذه الأخبار كما جاءت وقد نقلنا إجماعهم عليه فيجب اتباعه ويحرم خلافه، ولأن تأويل هذه الصفات لا يخلو إما أن يكون علمه النبي ﷺ وخلفاؤه وعلماء أصحابه، أو لم يعلموه، وإن لم يعلموه فكيف يجوز أن يعلمه غيرهم، وهل يجوز أن يكون قد خبا عنهم علما وخبا للمتكلمين^(٣) لفضل عندهم؟ وإن كانوا قد علموه ووسعهم السكوت عنه وسعنا ما وسعهم، ولا وسع الله على من لم يسعه ما وسعهم، ولأن هذا التأويل لا يخلو من أن يكون داخلا في عقد الدين بحيث لا يكمل إلا به أو ليس بداخل، فمن ادعى أنه داخل في عقد الدين لا يكمل إلا به فيقال له: هل كان الله تعالى صادقا في قوله «الْيَوْمَ

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) لعل الأصل وخبا للمتكلمين.

أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ [المائدة ٣] قبل هذا التأويل؟ أو أست الصادق في أنه كان ناقصاً حتى أكملته أنت؟ ولأنه إن كان داخلياً في عقد الدين ولم يقله النبي ﷺ ولا أصحابه وجب أن يكونوا قد أخذوا ودينهم ناقص، ودين هذا المتأول كامل، ولا يقول هذا مسلم، ولأنه إن كان داخلياً في عقد الدين ولم يبلغه النبي ﷺ أمسه فقد خانهم وكنتم عنهم دينهم، ولم يقبل أمر ربه في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ يَلِغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [مائدة ٦٧] الآية، وقوله: ﴿فَاصْبِرْ وَمَا تَأْمُرُ﴾ [الحجرات: ٩٤] ويكون النبي ﷺ ومن شهد له باللاغ غير صادق، وهذا كفر بالله تعالى وبرسوله.

(ومن للمعنى) أن صفات الله تعالى وأسماءه لا تترك بالعقل، لأن العقل إما يعلم صفة ما رآه أو رأى نظيره، والله لا تتركه الأبصار، ولا نظيره ولا شبيهه، فلا تعلم صفاته وأسماءه إلا بالتوقيف، والتوقيف إنما ورد بأسماء الصفات دون كيميتها وتفسيرها؛ فيجب الاختصار على ما ورد به السمع لعدم العلم بما سواه، وتحريم القول على الله تعالى بغير علم بدليل قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَأَلَا تَمَّ وَالْأَنفَىٰ بِفَقْرٍ الْحَقِّ وَأَنْ تُفْرَكُوا بِاللَّهِ مَا أَلَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الاحزاب ٥٣] ومن وجه آخر أن اللفظة إذا احتملت معاني فحملها على أحدها من غير تعيين احتمال أن يحمل على غير مراد الله تعالى منها، فيصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه، ويسلب عنه صفة وصف الله بها قدسه ورضيها لنفسه؛ فيجمع بين الخطأ من هذين الوجهين وبين كونه قال على الله ما لم يعلم وتكلف ما لا حاجة إليه ورغب عن طريق رسول الله ﷺ وصحابته وسلمه الصالح وركوبه طريق جهنم وأصحابه من الزنادقة الضلال، ولأن التأويل ليس بواجب بالإجماع، لأنه لو كان واحداً لكان النبي ﷺ وأصحابه قد أخذوا بالواجب وأجمعوا على الباطل، ولأنه لا خلاف في أن من قرأ القرآن ولم يعلم تفسيره ليس بآثم ولا تارك لواجب، وإذا لم يجب على قارئ القرآن فعل من لم يقرئه أولى، ولأنه لو وجب على الجميع لكان فيه تكليف ما لا يطاق، ويجب على العامة أن يقولوا صلى الله ما لا يعلمون، وإن وجب على البعض فما ضابط ذلك البعض؟ ولأن هذا مما لا يحتاج إلى معرفته، لأنه لا عمل تحته ولا يدعو إلى الكلام فيه حاجة ضرورية أو غير ضرورية،

وإذا لم يجب لم يجوز أن يكون جائزاً للوحدة.

(أحدها) أنه إذا كان جائزاً كان السكوت عنه جائزاً فيكون الساكت سالماً بتعيين الإجماع على جوازه، والمتأول مخاطراً خطراً عطياً من غير حاجة إليه وهذا غير جائز، ولأن الساكت عن التأويل لم يقر على الله إلا الحق، والمتأول يحتمل أنه قال على الله غير الحق، ووصفه بما لم يصف به نفسه ومطلب صفته التي وصف بها نفسه وهذا محرم فتعين السكوت وتعين تحريم التأويل.

ومن وجه آخر وهو أن اللفظ إذا احتمل معاني فحملة على علم منها من غير واحد بتعيينه لم يخص وقول على الله تعالى بغير علم، وقد حرم الله تعالى ذلك فقال: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأصراف: ٢٣] ولأن تعيين أحد المحتملات إذا لم يكن توقيف يحتاج إلى حصر المحتملات كلها ولا يحصل ذلك إلا بمعرفة جميع ما يستعمل اللفظ فيه حقيقة أو مجازاً ثم تبطل جميعها لا واحداً، وهذا يحتاج إلى الإحاطة باللغات كلها، ومعرفة لسان العرب كله ولا سبيل إليه، فكيف بمن لا علم له باللغة؟ ولعله لا يعرف عملاً سوى محملين أو ثلاثة بطريق التقليد ثم معرفة نفي المحتملات متوقف على ورود التوقيف به، فإن صفات الله تعالى لا تثبت ولا تنفي إلا بالتوقيف، وإذا تعذر هذا بطل تعيين محمل منها على وجه الصحة ووجب الإتيان بها بالمعنى الذي أراده المتكلم بها كما روي عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمته الله أنه قال: آمنت بما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت بما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ، وهذه طريقة مستقيمة، ومقالة صحيحة سليمة، ليس على صاحبها خطر، ولا يلحقه عيب ولا ضرر، لأن الوجود منه هو الإتيان بلفظ الكتاب والسنة، وهذا أمر واجب على خلق الله أجمعين، فإن جحد كلمة من كتاب الله تعالى متصفاً عليها كفر بإجماع المسلمين، وسكوته عن تأويل لم يعلم صحته والسكوت عن ذلك واجب أيضاً بدليل الكتاب والسنة والإجماع، ثم لو لم يكن واجباً لكان جائزاً بغير خلاف، ثم فيه الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ واتباع الراسخين في العلم والسلف الصالح من

الصحابة والتبعين والأئمة المرضيين، والسلامة من أن يقول على الله ما لم يعلم، أو يقول في كتاب الله وصية ربه تعالى برأيه، وأن يصف الله تعالى بها لا يصف به نفسه ولا وصفه به رسوله، وأن يسلب عنه صفة رصيدها لنفسه ورضيها له رسوله؛ فإن - بحمد الله - وجوب سلوك هذه الطريق المحمودة واجتناب ما سواها، وتحقيق أنها صراط الله المستقيم الذي أمرنا الله تعالى باتباعه، وما عداها فهي سبيل الشيطان التي نهانا الله سبحانه عن اتباعها ثم أكد ذلك بوصيته به بعد أمره ونهيه فقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ إلى قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِمَا لَعَنَكُمْ تَنفَكُّونَ﴾ [الأنعام ١٥٣]

فإن قيل - فقد تناولتم آيات واحداً فقلتم في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] أي بالعلم، ونحو هذا من الآيات والأخبار فيلزمكم ما لزمنا قلنا: نحن لم تناول شيئاً، وحمل هذه اللفظيات على هذه المعاني ليس بتأويل لأن التأويل صرف اللفظ عن ظاهره وهذه المعاني هي الظاهر من هذه الألفاظ بدليل أنه المتبادر إلى الأفهام منها، وظاهر اللفظ هو ما يسبق إلى الفهم منه حقيقة كان أو مجازاً، ولذلك كان ظاهر الأسماء العرفية المجاز دون الحقيقة كاسم الراوية والظمينة وغيرهما من الأسماء العرفية فإن ظاهر هذا المجاز دون الحقيقة وصرفها إلى الحقيقة يكون تأويلاً يحتاج إلى دليل، وكذلك الألفاظ التي لها عرف شرعي وحقيقة لغوية كالوضوء والطهارة والصلاة والصوم والزكاة والحج إنها ظاهرها انعرف الشرعي دون الحقيقة اللغوية.

وإذا تقرر هذا فالمتبادر إلى الفهم من قولهم: الله معك أي بالحفظ والكلاءة، ولذلك قال الله تعالى فيما أخبر عن نبيه: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] وقال لموسى: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَتَمَعُ وَأَرْتَمُ﴾ [طه: ٤٦] ولو أراد أنه بذاته مع كل أحد لم يكن لهم بذلك اختصاص لوجوده في حق غيرهم كوجوده فيهم ولم يكن ذلك موجباً لنفي الحزن عن أبي بكر ولا علة له، فعلم أن ظاهر هذه الألفاظ هو ما حملت عليه فلم يكن تأويلاً، ثم لو كان تأويلاً فما نحن

تأولناه وإنما السلف رحمة الله عليهم الذين ثبت صوابهم ووجب اتباعهم هم الذين تأولوه، فإن ابن عباس والصحاح ومانكا وسفيان وكثيرا من العلماء قالوا في قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أي علمه ثم قد ثبت بكتاب الله والمتواتر عن رسول الله ﷺ وإجماع السلف أن الله تعالى في السماء على عرشه، وجاءت هذه اللفظة مع قرائن محفوفة بها دالة على إرادة العلم بها وهو قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة ١٧] ثم قال في آخرها: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فبدأها بالعلم وختمها به، ثم سياقها لتخريفهم بعلم الله تعالى بحالهم، وأنه ينشئهم بما عملوا يوم القيامة ويجازيهم عليه، وهذه قرائن كلها دالة على إرادة العلم فقد اتفق فيها هذه القرائن ودلالة الأخبار على معناها ومقالة السلف وتأويلهم، فكيف يلحق بها ما يخالف الكتاب والأخبار ومقالات السلف؟ فهذا لا يخفى على عاقل إن شاء الله تعالى، وإن حكى فقد كشفناه وبيناه بحمد الله تعالى، ومع هذا لو سكنت إنسان عن تفسيرها وتأويلها لم يخرج ولم يلزمه شيء فإنه لا يلزم أحدا الكلام في التأويل إن شاء الله تعالى

فصل

ينبغي أن يعلم أن الأخبار الصحيحة: الثابتة بنقل العدول الثقات التي قبلها السلف ونقلوها ولم ينكروها ولا تكلموا فيها، وأما الأحاديث الموضوعة: التي وضعتها الزنادقة ليلبسوا بها على أهل الإسلام، والأحاديث الضعيفة إما لضعف روايتها أو جهالتهم أو لعلة فيها فلا يجوز أن يقال بها ولا اعتقاد ما فيها بل وجودها كعدمها، وما وضعت الزنادقة فهو كقولهم الذي أضافوه إلى أنفسهم، فمن كان من أهل المعرفة بذلك وجب عليه اتباع الصحيح واطراح ما سواه، ومن كان عامياً فغرضه تقليد العلماء وسؤالهم لقول الله تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] وإن أشكل عليه علم ذلك ولم يجد من يسأله فليقف وليقل: آمنت بما قاله رسول الله ﷺ ولا يثبت به شيئاً فإن كان هذا مما قاله رسول الله ﷺ فقد آمن به، وإن لم يكن منه فما آمن به، ونظير هذا قول النبي ﷺ: «ما حدثكم به أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكلبواهم وقولوا آمنا بما أنزل إلينا وأنزل إليكم»^(١) فمنعهم من التصديق خشية أن يكون كذباً، ومن التكذيب خشية أن يكون حقاً، وأمرهم بالعدول إلى قول يدخل الإيمان بالحق وحده، وهذا كذلك وليست هذه الأحاديث مما يحتاج إليها لعمل فيها ولا لحكم يتلقى منها يحتاج إلى معرفته، ويكفي الإنسان الإيمان بما عرف منها.

وليعلم أن من أثبت لله تعالى صفة بشيء من هذه الأحاديث الموضوعة فهو أشد حالاً ممن تأول الأخبار الصحيحة، ودين الله تعالى هو بين الغالي فيه والمقصر عنه، وطريقة السلف رحمة الله عليهم جامعة لكل خير، وفقنا الله وإياكم لاتباعها وسلوكها.

والحمد لله رب العالمين

(١) أخرجه بنحوه أبو داود في كتاب: العلم، باب: رواية حديث أهل الكتاب (٣٦٤٤)، وأحمد في مسنده (١٣٦/٤).

الفهارس

الصفحة

٥	الرسالة الأولى: كتاب شرح الفقه الأكبر للماتريدي
٤٣	الرسالة الثانية: كتاب شرح الفقه الأكبر للمفتي أبي
٤٦	الفقه الأكبر للإمام الأعظم رضي الله تعالى عنه
٩٧	الرسالة الثالثة: كتاب الجوهرة الخفية في شرح وصية الإمام الأعظم أبي حنيفة
١٢٩	تنبيه في الترغيب والترهيب وغيره
١٢٩	الترغيب في ذكر الجنة
١٣١	الترهيب من ذكر جهنم - أعاذنا الله منها
١٣٢	الترهيب أيضًا من دخول بعض عصاة المؤمنين النار - اللهم أجرنا منها
١٣٣	لوائد في عجائب قدرة الله تعالى جل جلاله
١٣٥	الرسالة الرابعة: كتاب الإبانة عن أصول التهمة
١٤١	باب في إبانة قول أهل الزنبرج والبدعة
١٤٤	باب في إبانة قول أهل الحق والسنة
١٥٠	باب في الكلام في إثبات رؤية الله تعالى بالأبصار في الآخرة
١٥٩	باب في المروية
١٦٣	باب الكلام في أن القرآن كلام الله غير مخلوق
١٧٤	باب ما ذكر من الرواية في القرآن
١٨٠	باب الكلام على من وقف في القرآن وقال: لا أقول إنه مخلوق ولا أقول إنه غير مخلوق
١٨٣	باب ذكر الاستواء على العرش
١٨٩	باب الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين
١٩٦	باب الرد على الجهمية في نفهم علم الله تعالى وقدرته وجميع صفاته

الصفحة

٢٠٣	باب الكلام في الإرادة
٢١٠	باب الكلام في تقدير أعمال العباد والاستطاعة والتعديل والتجويز
٢١٢	مسألة في الاستطاعة
٢١٦	مسألة في التكليف
٢١٧	مسألة في إيلام الأطفال
٢١٩	الرد على المعتزلة
٢٢٠	مسألة في الختم
٢٢٢	مسألة في الاستثناء
٢٢٣	مسألة في الآجال
٢٢٤	مسألة في الأرزاق
٢٢٥	مسألة أخرى في الأرزاق
٢٢٧	مسألة في الهدى
٢٢٩	مسألة في الضلال
٢٣٤	باب ذكر الروايات في القدر
٢٤١	باب الكلام في الشفاعة والخروج من النار
٢٤٢	باب الكلام في الخوض
٢٤٣	باب الكلام في عذاب القبر
٢٤٥	باب الكلام في إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه
٢٤٩	الرسالة الخامسة: الملحق الأول والثاني للإبانة
٢٥١	الملحق الأول للإبانة
٢٧٢	تنتيهات

الصفحة

٢٧٣ الرسالة السادسة: الملحق الثاني للإيانة
٣٢١ الرسالة السابعة: رسالة في الذب عن أبي الحسن الأشعري
٣٤١ رسالة ذم التأويل
٣٤٣ مقدمة
٣٤٥ الباب الأول: في بيان مذهب السلف وسيلهم
 الباب الثاني: في بيان وجوب اتباعهم والحث على لزوم مذهبهم وسلوك سيلهم وبيان
٣٥٥ ذلك من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة
 الباب الثالث: في بيان أن الصواب ما ذهب إليه السلف رحمة الله عليهم بالأدلة الجلية
٣٦١ والجميع المرعية وبيان ذلك من الكتاب والسنة والإجماع والمعنى
٣٦٨ فصل
٣٦٩ الفهرس